

إيفان أوخانوف

# يد الحديد

• رواية •

ترجمة د . حسن البيهقي

مكتبة

مكتبة

الحجر



www.library4arab.co

www.alkottob.com

مكتبة كوتوب

www.library-tarab.com

www.alkottob.com

www.alkottob.com

مكتبة كوتوب

www.library-tarab.com

www.alkottob.com

www.alkottob.com

مكتبة كوتوب

www.library-tarab.com

www.alkottob.com

# ربا الحديد

دار المأمون

مكتبة كلية التربية  
www.library-tarab.com

www.alkottob.com

www.alkottob.com

www.alkottob.com

مكتبة كوتوب

www.library-tarab.com

www.alkottob.com

إيثار أوخانوف

# زيد الحديد

ترجمة

د . حسن البياتي

دار المأمون للترجمة والنشر

بغداد - ١٩٨٩

مكتبة العراق

www.alkottob.com

OKANNHA  
NABAH YXQHOB

زبد الحديد  
ايقان اوخانووف

دار المأمون للترجمة والنشر  
وزارة الثقافة والاعلام  
حقوق الطبع والنشر محفوظة  
رقم الايداع في دار الكتب والوثائق ببغداد  
توجه المراسلات الى :  
دار المأمون للترجمة والنشر  
وزارة الثقافة والاعلام  
بغداد - الجمهورية العراقية  
ص . ب : ٨٠١٨  
تلكس : ٢١٢٩٨٤  
طبع بمطابع دار الحرية للطباعة - بغداد

مكتبة العراق



## مقدمة المترجم

رَبُّدُ الحَديد ! وهل للحديد من زبد ؟ أجل ، انه ذلك الحَبَبُ الذي ينفيه كير الحداد ، تلك النفاية المتأكسدة التي سرعان ما تزيحها كَفَّ القين عن قطعة المعدن المتوهجة حتى درجة الحرارة البيضاء ، بعد أن تنزل عليه ضربات مطرقة القوية ، تزيح هذا الزبد فيذهب (كما في الآية القرآنية الكريمة / الرعد ١٧) جفاء ليمكث ، بعدئذ ، في الأرض ما ينفع الناس ويغنيهم .  
وهل الحديد -تَبًّا لتجاره ! -سوى مصدر من مصادر ذلك النفع والعطاء ؟ !

وبطل روايتنا هذه ، المقاتل المدفعي أوستين ديدوشيف هو واحد من الرموز الغذة لهذا الحديد الحديد ، على الرغم مما شابهه - بعض حين - من تلك النفايات «الزبدية» التي صارع وكابد كثيراً ، حتى أوشك أن يدفع حياته ثمناً ، في سبيل ازلتها عن كيانه ، ليذهب هباء جفاء ، وليمكث هو ، أوستين الحديد «عنصراً» نافعاً حتى بعد عودته من الجبهة مصاباً ، معاقاً ، فاقداً نعمة السمع والنطق اثر انفجار هائل لم يفقده الحيوية ولا الاحساس بغلبة الحياة الخيرة المجزية . ذلك لانه انسان يؤمن بضرورة وشرعية العلاقة المحترمة الصحيحة تجاه نفسه وتجاه حبه الحياة

والاطفال والعمل والناس . ولأنه قوي لايهاب المستقبل ، تراه سرعان ما يغدو - رغم عوقه - شخصاً مهماً ، لا غنى عنه في ورشة الخدادة ، وفي حياة قريته ومزرعتها التعاونية عامة ، فقد كان لها ولناسها الحداد والحصاد والبناء في آن معاً ، وحتى الغواص المنقذ حين تدعو الداعيات .

تجري احداث الرواية في احدى القرى السوفيتية ، اثناء الحرب العالمية الثانية . وقد كتبت بعد مضي اربعين عاماً على انتهاء الحرب التي عاش كاتب الرواية سني حياته الخمس الاولي في اتونها المستعر .

ابطال الرواية وشخصياتها جميعاً هم ابناء القرية وسكانها - من بقي فيها ، او نزع اليها - من النساء والشيوخ والعجائز والصبيان والصبايا والاطفال ، ومن عاد اليها من جبهات القتال جريحاً او معوقاً . كان الجميع يعملون - كلاً حسب طاقته - متكاتفين من اجل ان تجري الحياة في قريتهم الحبيبة التي هي فلذة من كبد وطنهم الكبير .

ويتميز في الرواية - فضلاً عن بطلها الرئيسي اوستين - شخص وابطال آخرون ، من امثال الحداد العجوز بانكرات ، ذلك الشيخ المحنك الذي ينضح فطنة وحكمة ، والعامل المجد الدؤوب الذي تقمّل فيه طيبة الشعب وتضحيته .

ومن الشخصيات الفعالة ايضاً مدير المزرعة التعاونية فاسينين ، الذي تميز بعقله المدبر وبقوة إرادته وبمساهمته في العمل مع الآخرين ، بغض النظر عن عوقه .

وحتى بريديخين ، زير النساء والرجل المحظوظ في كل شيء ،  
ذلك المكار الذي يستدرجك ويتسلل الى نفسك «بلا صابون» ، حتى  
بريديخين الذي يبدو - اول وهلة - شخصية سلبية خاوية ، هو  
انسان نافع ايضاً ؛ يعمل ويطيع ، بل ويتقبل «بلا زعل» التائب  
والتقريع .

اما العنصر النسائي في الرواية فابرز ممثليه فروسيا ؛ الرمز  
الاسمى للزوجة الوفية والام الحنون والمرأة العاملة المجدة  
والانسانة الطيبة القلب المتعاطفة ، لامع ذوي زوجها والناس  
الاخرين فحسب ، بل ومع بقيراتها الحبيبات ايضاً .

ومن الشخوص النسائية الطريفة الارملة الشابة نيورا ،  
سائقة الجرارة ، تلك المرأة النشيطة التي حرمتها الحرب - مع من  
حرمت - وهي في عنقوان انوثتها ، من بعلمها فبقيت هكذا بلا رجل  
يشاركها فراشها الناعم الوثير .

واخرون واخريات لا اريد ان اكشفهم جميعاً قبل ان يدركهم  
القارئ ويعايشهم بنفسه .

ينتمي هذا العمل الابداعي ذو المنحى الدرامي الى تيار في  
الاتجاه الواقعي يعتمد على معطيات التحليل النفسي ، ويتناول  
الانسان الحي الضمير الذي لا يستطيع العيش متوارياً خلف ستار  
من الكذب والجهتان والرياء .

ومع ان الاثر الخفي هذا يرجع في وقائعه الى سني الحرب العالمية  
الثانية ويتحدث عن مصير واحد من مقاتليها ، غير انه يدرج  
ايضاً - من حيث الجوهر - في سجل الاستكشافات الفنية الراهنة ،

بتناوله قوانين الضمير الصارمة ، سواء في زماننا هذا او في اي زمان  
اخر .

ومؤلف هذا السفر الروائي ، إيفان أوخانوف ، هو واحد من  
كتاب القصة السوفيت الواقعيين المنتمين الى الجيل الاول لما بعد  
الحرب ، الذين يعتمدون التحليل النفسي في اعمالهم الروائية  
وينطلقون في كتاباتهم من فهم جديد للبطل ، حيث ينظرون الى  
الاحداث من وجهة نظر القضايا الاخلاقية لوقتنا الراهن  
ويغوصون حتى الاغوار في تحليلهم الواقعي ، وفي سعيهم نحو  
الكشف عن طبيعة الاشياء ، ونحو الادراك الفلسفي للواقع ، غير  
معنيين - اقليلًا - بالجانب العسري المحض للاحداث .

ولد إيفان أوخانوف سنة ١٩٤٠ في احدى قرى مقاطعة غوركي ،  
وانهى تحصيله الجامعي في كلية التربية بمدينة اورينبورغ . وقد  
اعلن الكاتب جدياً عن نفسه في قصته الطويلة « لا تموتي يا أمي » .  
ومن اثاره القصصية الضريفة التي اثارت الانتباه :

« عزفت جوقة الآلات النحاسية » ، « نور الذاكرة » ، « زوبعة  
ثلجية في المدينة » . وهو كاتب غزير الانتاج جيده . صدرت له ،  
حتى عام ١٩٨٦ ، المجاميع القصصية والاعمال الروائية الآتية :  
« سماء الطفولة » - ١٩٧١ ، « غداً سيكون كل شيء مغايراً » -  
١٩٧٢ ، « في يوم خريفي مشرق » - ١٩٧٥ ، « نعيش مرة واحدة » -  
١٩٧٨ ، « معاناة ام » - ١٩٨٣ ، « زبد الحديد » ١٩٨٥ .

وقد اعتمدت في ترجمتي « زبد الحديد » الى العربية ، على الاصل  
الروسي المنشور في « مجلة الرواية » السوفيتية ( العدد ٢٣ سنة

(١٩٨٦) . تحت عنوان (OKALUHA = أو كاليينا . أي : الزبد .  
الرغوة . خبث المعادن) .

ولن أكون بجانب الحقيقة إذا ما قلت ان رحلتي مع «زبد الحديد» لم تكن نزهة ترفيهية سهلة . بل كانت - في واقع الحال - مسيرة شاقة استدعت الصبر الطويل والنفس المديد . في بعض محطاتها ذات المطبات التي ترص وتكدم . فالحوار في الرواية مشحون - حد الإغراق - بالألفاظ والتعابير الريفية الروسية المفردة في عاميتها التي تغفو المعاجم والقواميس اللغوية سادرة دون توضيح دلالاتها : وبالإمثال والحكم والاقوال الماثورة التي تسيل على ألسنة العديد من شخصياتها : إضافة الى النكات والهدايعات المغلفة المغلفة في مقاصدها أحيانا . وحتى استرسالات المؤلف نفسه واستدراكاته تندمج . هي الأخرى . في كثير من جوانبها . مع اللهجة القروية الدارجة التي هي لغة البسطاء من شعبيها . في حديثهم اليومي وفي تعاملهم مع الحياة وأحداثها . . .

وكانت معالجاتي أسلوب الحوار - بعد فك العضلات طبعاً - جعلته بلغة عربية سهلة بسيطة . تسمو على اللهجة العامية الشامية . مؤكداً من عربيتنا الوسطى الفصيحة . وسيجد القارئ في النص العربي بعض التعابير المسجوعة . وحتى المنطومة . التي جددت في ان تكون قريبة من الاصل الروسي . لكي لا يفقد - ما أمكن - على أسلوب هذا العمل الإبداعي وأطره

والغرض نجاح المؤلف حقاً في استخدام أدواته التعبيرية المنسقة

تنسيقاً موفقاً مع اجواء القرية ومساحاتها التي يتحرك فوق  
اديمها ابطال روايته ، نجاحه في المشاركة الوجدانية - سلباً او  
ايجاباً - بين الاحداث الجارية والظروف العامة والحالات  
النفسية للبطل والشخص الاخرى ، من جهة ، وبين مظاهر  
الطبيعة وظواهرها المختلفة من جهة اخرى . هذا اضافة الى تمكنه  
من اللجوء ، عند الضرورات ، الى الاستطراد والتداعي ورسم  
الصور الخلفية والمونولوج (المناجاة ، الحوار الداخلي) وكل ما  
يرتبط من قريب او بعيد - بأسلوب التحليل النفسي من سمات  
وادوات ...

«ان زبد الحديد، اثر ابداعى رائع ، يستهويك ويجعلك ترحل  
مع كاتبه حتى اخر المطاف الذي يتطور في ذروته الموضوع تطوراً  
عنيفاً ليكتمل ، فيما بعد ، ذلك الصراع الاخلاقي المحتدم في ذات  
البطل بين المروق وحضور الوجدان ، بين الحق الابي في العيش  
وفقاً لإرادة الضمير والترجيح المزري لمعيشة بهيمية تخدم فيها  
همسات الضمير الحي وتخرق نواميسه .

ولقد حسم هذا الصراع نهائياً لصالح الجانب الايجابي الخير  
في ذات البطل ، لصالح الحياة الحرة الكريمة نفسها .

د . حسن البيهاتي

بغداد ١٩٨٨

في اوائل شهر اذار ، في يوم عاصف ، دافء رطب من ايام عام ١٩٤٤ ، عاد من ساحة القتال اوستين ديروشييف . وصل من محطة القطار الى قريته الام كليوجوفكا على عربة نقل وقود عابرة يجرها فرسان . نزل من العربة عند السياج الريفى ثم راح يخطو نحو بيوت القرية ، متعثراً فوق الطريق العزق الرخو ، بفعل ذوبان الثلوج وسيحانها .

ومن بعيد لمحته ، بمعطفه العسكري ، نساء القرية وصبيانها ، فأخذ الجميع يتطلعون بوجل الى لقائه .

سار اوستين في وسط الشارع بقامته المعتدلة المديدة ، مبتسماً للناس ابتسامات باهتة ، كما لو انه قد اقتترف ذنباً ما . وسرعان ما تجمع حوله حشد من الناس غير كثيف . كانت النسوة يبتسمن ، يبكين ... ثم يحن يتسابقن ، وهن يتمخطن في مناديلهن ، الى استيضاحه عن ذنوبهن ... بعدئذ اندفعت نحوه من جانب وتعلقت بكنتفيه ، في حال من الخشيان ، امرأة جاسرة الرأس هي زوجته فروسيا ، فأخذ اوستين يربت ، مواسياً ، على مؤخرة كتفها الواسعتين الهزيلتين . وراحت فروسيا تتشجج من فرح وهي تحك ، بمعاناة ، خدها الناعم بذقن زوجها

ذي الشعر الخشن القصير ، الذي يشبه الصنفرة .  
على مهلكن ، أيتها العقائق ! .. أترك الرجل يستعيد أنفاسه ،  
افسحن له المجال لينطق كلمة ! .. دنا من أوستين رحل في مقتبل العمر  
واسع عظمي الوجدتين ، ذو نظرة صارمة . كان هذا ستيفان قاسينين .  
« في الصيف الذي سبق الصيف الماضي حملونا معا . على عربة نقل  
واحدة ، الى مقر لجنة المنطقة العسكرية . لقد تخرجنا في مدرسة  
المدفعية معا ... لكن يبدو أن ستيفان قد سرح ، لسبب ما ، من الخدمة  
العسكرية قبلي . ها اذه قد فقد يده اليسرى » . - فكر أوستين بحزن  
عندما رأى كم السترة الاجوف المحشورتحت الذطاق .  
ضغط قاسينين بشدة أصابع أوستين وحيّاة ، قاذلاً بصوت خافت  
مرخم دافء :

مرحبا ، أوستين ! .. انك تبدو على ما يرام ، سليما معاف ، سوى ان  
انفك قد رُقِعَ ترقيعا غير جميل . لكن لا بأس . هذه اموراتافهة ، المهم هو  
انك حي ترزق ! ..

أوستينوشكا ! .. وزوجي باقل . ألم تصادفه في مكان ما ؟ - جرته  
من كم معطفه امرأة تحمل على كاهلها طفلاً .

اه ، ما أعظم سعادتك يا فروسينكا ! - بين البكاء والضحك حتى  
الدموع . تكلمت امرأة اخرى ، حاشرة نفسها ما بين أوستين  
وفروسيا .

هس . هس . كفاكن ضجيجا ! .. - لوح قاسينين بيده امرا

- الصنفرة . السنماذج (السنبادة) .  
بقول (ورق السنبادة) - المترجم -



فتنحى الحشد مفسحاً امام اوستين وحوله ، كأنه يهيبه حلقه أوسع  
لأجل الرقص .. لا يتركز مجالاً لقول كلمة ما ... وكيف بعد  
يا اوستين ، هل جئت في اجازة أم بالمره ؟

نظر اوستين بارتباك الى الجميع ووقف صامتا كالحجر . هكذا اذن  
حتى النطق ضيعه من شدة الفرح ، - ربت فاسينين ، مع عتاب رقيق ،  
على كتف اوستين . - ولكن لا بأس ... سنلتقي مساء ، ان لم تكن  
متعباً ... سنجلس نثرثر بعض الوقت .

- نعم ، نعم . حقاً ، ايتها النساء ، تعالين الينا في المساء . وانت ايضا ،  
ياستييان يغوريتش . سوف نتناول العشاء معاً . ما أعظمها من فرحة ،  
ياإلهي ! - ومن جديد التصقت فروسيا بزوجها وهزته من منكبيه : -  
هيا تكلم ، حدث الناس يا اوستينوشكا !

حدّق اوستين في عيني زوجته بثقة يشوبها الحزن ، مجهداً نفسه في  
صمت .

فجأة انفرج فمه قليلاً ، متعوجاً ، متألماً وانزلت منه اصوات مبهمه  
يضغط بعضها بعضاً ، كما يحدث عند القيء :

- غي .. إيغي .. أوئي ....

سكت الناس جميعهم دفعة واحدة وراحوا يتفرسون في وجه  
اوستين ، ذاهلين مرتبكين ...

- إيئي .. غوئي .. أوئي ... - أخذ اوستين يعنصر من حنجرته حروفه  
قاسية وحشية ثم بدأ يحرك يديه بحدة ، كأنه يسعى جاهداً الى ان  
يشرح لهم مقصده ، راسماً بأنامله في الهواء مختلف الصور  
والاشكال .

ياإلهي ، انه مصاب بلوثة في عقله ! - صرخت مرعوبة واحدة من النسوة .

لقد شوّهوا الرجل ، ويل لهم من سفلة اوغاد .  
تباً لهؤلاء الفاشست المتوحشين ! .. - شرعت تولول ، بصوت خافت ، امرأة اخرى .

جفلت فروسيا كما لو انها جلدت بسوط ونظرت الى الناس بوجه مستفسر مذعور ، غير مصدقة ما يقولون .

كيف يكون هذا .. كفاكن ، ايتها النسوة ، لماذا تتفوهن بمثل هذا الكلام ؟ تباً لالسننكن ! . اخذت تتكلم بارتباك وذهول . ثم راحت وقد لاح التائر والقلق على وجهها الذي تضمير في لمح البصر ، راحت تستدير ببطء نحو زوجها وكأنها متهية وجلة . فمد اوستين يده نحو صدرها وشرع يزرر بلوزتها العتيقة التي انفرجت بفعل الرياح المشبعة بالرطوبة .

- غي .. اوئي ، - بدأ يعتمر من جديد وقد نديت مقلته الغامقتان وتآلق فيهما شيء ما .

حسنا ، ولكن هيا ... قل لهم ، حدثهم استينوشكا ، اخذت فروسيا ، وهي تصد دموعها الطافرة من عينيها ، تناشده بصوت مرتعش غريب ، لايمت اليها بصلة .

ها هو يقول لك : لماذا عريت صدرك ؟ لقد فات اوان الصيف ، - صاحت امرأة تحمل على متنها طفلاً .

انه يشفق عليك . فهيا شدي ازرار بلوزتك قبل ان تصابي بالزكام !

وليست به أية لوثة . واضح من النظر : بعينه ينطق . بعينه يسمع .  
اي نعم . انهم يفهم كل شيء لكنه لا يستطيع أن يتكلم ...

اخذت النسوة ، متكاتفات متوددات ، يواسين فروسيا ويصبرنها .  
وقد حزر اوستين من تعابير وجوه الحاضرين انهم فهموا كل شيء ، وأنهم  
يأسفون على حاله .

- وثاءة ؟ ... انت مصاب بوثاءة ، أليس كذلك ؟ - بدأ فاسينين يصرخ  
بصوت عال وهو منشد إلى اذن اوستين .

لم يرد عليه اوستين بأيما شكل ، بل جسّ الكَمّ الخاوي من سترة  
فاسينين وأوماً برأسه - مستفهماً - نحو الغرب ، نحو تلك الجهة التي  
قدم منها قبل قليل الى القرية .

أي نعم ، هناك . وأنا ايضاً مزقوني هناك - اجاب فاسينين بصوت  
كاب وايماءة رأس مكفهرة ، ثم اضاف قائلاً بخفة ومرح وهو يوجه  
حديثه الى اوستين والحاضرين جميعاً : - لا بأس . ان الرأس واليدين  
والرجلين كلها في عهدتك . اما اللسان ، ولكن ما اللسان ؟ انك لن  
تستطيع أن تجدل به ولو خُفّاً !

هو كذلك ، اللسان ؟ .. انه العدو الاول للانسان : كلما قل كلامك قلت  
اثامك .

هكذا بالضبط . من فينا لم يوقعه لسانه في بلية ؟!  
تطايرت مشاعر العطف والمواساة من كل جانب وصوب .  
هل تسمع ، يا اوستين ماذا يقول الناس ؟ أجل ، هكذا ، فلا تأسف  
على شيء . سوف نعيش ونعمل . ليس باللسان ، بل باليدين يعمل

الانسان . ما أسهل الأقوال ، أما الأفعال ؟! .. وأما يدك فنحن نعرفها جيداً .. استرح بعض الوقت . وبعدما تتعافى تماماً تعال الى ادارة المزرعة التعاونية الاشتراكية . كان فاسينين يوجه كلامه الى فروسيا والحشد المتجمهر اكثر منه الى اوستين ، في حين راح يصوب نظرة تشجيعية الى عيني الجندي .

غادر فاسينين المكان فوراً . اما النسوة فقد واصلن الحديث ، شارحات لأوستين بأصابعهن أنّ ستيبان فاسينين ، الذي كان فيما مضى رئيساً لفرقة العمال في المزرعة التعاونية الاشتراكية ، هو الآن يشغل منصب المدير فيها ... وقبل ان يتفرقن ، منصرفات الى بيوتهن ، راحت كل واحدة منهن تشجع بصوت عال فروسيا مرة اخرى ، منافساتٍ ومقاطعات بعضهم بعضاً ؛ منهن من فعلت ذلك بدافع الحنان والعطف الصادقين ، ومنهن بقصد الوقوع ضمن المدعوات الى مائدة المساء . اصغت فروسيا الى الجميع ، مسحت دموعها وهي تزداد ثقة بسعادتها الانثوية كزوجة وام . اجل ، لقد حالفها الحظ فعلاً ، ولا ينبغي لها الان أن تغتم ، بل عليها ان تشكر القدر : فزوجها وان كان مكلوماً ، مصاباً بعاهة ، لكن الاصابة على درجة من البساطة هي اقرب الى السلامة ؛ اذ انها - كما يبدو - لم تلحق بصحته ضرراً جسيماً . ثم انها قد عزلته عن الحرب الى الابد .. قلن لها ، فسلمت راضية مرضية ، إن الحياة ستغدولها سهلة مع زوج أصم أبكم : إن الصم البكم لينو العريكة ، وديعون ، هادئون ، مطيعون ... لن يبلغ السمع منهم ابداً اي هراء أو سباب او كلام فاحش بذيء ... ثم نقلن اليها ، بلهجة ناصحة وعظيمة ، أن هناك ، في المزرعة التعاونية الثالثة جندياً عاد من

الجهة الى زوجته وقد شوي داخل دبابته شيئاً فظيماً : عاد فاقداً  
ساقيه كليهما . اما جوفه فسليم تماماً ، يجرع الفودكا طوال النهار ،  
يبكي ، يتفوه بكلمات بذيئة ، يلعن الكون قاطبة ، يدب الى المشاجرة  
دبيباً ... اما هي ، زوجته المخلصة الحميمة ، فعليتها ان تصبر وتصابر  
على معاشرته ، ان تتكيف معه ، تأسى له ، تشفق عليه ، هو الكسيح  
المنقعد الى الابد . ياله من عقاب ، ياله من مصيبة أبدية فادحة ! ... اما  
اوستين ، فماذا به ؟ انه واقف على قدميه ، مالك كلتا يديه .

مساءً ، في المنزل القروي الذي ازدحم بالضيوف ، في دار آل  
ديدوشيف ، راحت تصر لوحات الأرضية الخشبية ، ترتج الاواني فوق  
المائدة ، تنطلق اصوات النسوة بأهازيج الجاستوشكا الشعبية ،  
ينطقطن بأقدامهن منغمرات في رقصهن الشعبي وكأنهن في نوبة من  
نوبات الصرع ... احتسى اوستين قليلاً من الفودكا ، بدأ يتشجع ،  
تحدث بيديه وشكر بمقلتيه جميع الذين فهموه . كان ولداه الصغيران  
فاسيك وباقليك يجلسان بقربه ، ينظران من حين لآخر الى والدهما  
بفضول مرح بهيج وبوجل ، دون ان يعرفا كيف يتفاهمان معه . في  
الركن الامامي ، الى اليسار من اوستين ، جلس شيخ ضئيل الجسم ،  
شكته صارم المظهر . كان يردشف بجرعات صغيرة وفي معاناة ظاهرة ،  
لأن يتجرع دواءه ، يرتشف الفودكا من كأس دسبت له مرة واحدة في  
ليلة السهرة ، ويحك بنامل حزين لحبته الخفيفة من حين لآخر . كان  
ينظف متجهماً الى اوستين . وبرجاء من الضيوف ، رفع النخب مرتين  
متتبعين ، لكنه لم يتكلم من ان يفوه بشيء ذي جدوى ، سوى انه راح  
يتشكى ويتظلم طويلاً .

نحن ، آل ديدوشيف ، هذا هو ديدننا ، هذه هي حالنا منذ غابر  
الزمان . كل الحصى ينهال على رؤوسنا . هكذا هو نجمنا وطالعنا .  
إليك ، مثلاً ، ولدي هذا ... رحل سالما ، لكنه عاد بلا صوت . نجلس  
واياه متلاصقين جنباً الى جنب ، غير ان الحديث صامت بيننا . قال اي  
المفر ؟ انها لمصيبة ... لكنها لا تجري في غابة ، بل تقع على الناس . هي  
ها هنا ، لدى كل واحد منا ، جاثمة على كاهله .

أوماً أوستين الى والده ، وهو لا يسمع بالطبع كلامه الشجي الاسي ،  
أوماً اليه بابتسامة نشيطة ، كما لو انه كان يرد على حديثه مؤكداً ، في  
حين اكتأب العجوز من ذلك اشد الاكتئاب وتقوس ظهره اكثر من ذي  
قبل . نظر في كبرخافت من تحت حاجبيه المتهدلين الاشقرين الضاربين  
الى الحمرة ، نظر الى النسوة اللواتي ملأن المكان صخباً وضجيجاً  
وكانه يريد ان يقطع كلامهن ، ان يقنعهن بحججه ... اما النسوة فقد  
رحن يعلن الشيخ العجوز في مرح مدوّ تتخلله الدموع ، وكأنهن كن  
يلمنه في سرهن :

«لقد تكدرت من بطريا دانيليتش . وهل لمثلك أن يحزن ؟ هاك انظر  
الى ولدك كيف عاد من الجبهة مورد الوجنتين ! .. واذا شئت فاذهب  
وطف على بيوت الاخرين : من ياترى حاله الحظ هكذا ؟»

اقتربت من العجوز الارملة الشابة نيورا كوريوشينا ، جلست الى  
جوارها ثم قالت له وهي تروح بمنديلها :

- حسبك تلكؤأ يا دانيليتش ! هيا بنا نغني ، من اجلك ومن اجل  
أوستين . آه ، كم كان يحب الغناء !

- لست راغباً في الغناء لأمرما ، يانيورا ، ولا في الشراب .. لوّح العجوز

بيده علامة الرفض .  
- وأنا ، لأجل اي شيء تراني أغني ، لأجل ان لا ابكي . وحين انتهى من  
الغناء ابدأ بعده بالعويل ! - هتفت نيورا في مرح مفاجيء ثم شرعت  
تدندن شيئاً ما بغير كلمات . وفي الحقيقة بدت وكأنها تولول .  
غنوا ، رقصوا ، بكوا ... ثم تفرقوا منصرفين بصمت وهدوء الى  
منازلهم .

في الصباح استيقظ أوستين من نومه حين كان المنزل خاليا من أيما  
إنسان ، فروسيا توجهت ، مع انبلاج النور ، الى زريبة البقر ، الولدان  
ذهبا الى المدرسة ... طرح معطفه العسكري على كتفيه وخرج الى سقيفة  
الباب ، مضيقا عينيه في مواجهة الشمس ثم راح ينظر على مهل الى  
شارع القرية نظرة العارف المبتهج ، بعيدا ، على مقربة من البئر ، كان  
شمة حديث صاحب يدور - طبقا لحركات اليدين - بين امرأتين ، وثب  
ديك فوق سياج من اغصان مجدولة ، رف بجناحيه وبدأ يصيح ، لم  
يسمعه أوستين ، واستدار استدارة حادة مفاجئة لكي لا يرى الديك  
الذي كان يصدح بلا صوت ... خمدت الفرحة الهادئة في صدره ،  
استولى عليه الفرع فجأة ، قد يظهر الآن من خلف ناصية الدرب رجل  
كريم ، يساله - هو الفاقد النطق - عن امر ما فيغدو امامه ، وهو يتبرج  
له مجيبا على سؤاله ، يغدو في هيئته ضئيلا ، مثيرا للضحك ، باعثا على  
الاسى ... مثل هذا الديك تماما .

سار أوستين مبتعدا ببطء عن سقيفة الباب ، اخرج الى الباحة  
الصغيرة المسججة باغصان مجدولة ، وبنظرة كنيية متحرية راح يقيس  
الباحة في خطى مننذة غير مقصودة ، ثم اخذ ، وكأنه لا يتق بنفسه ،  
يتحسس بيديه ، متأنبا متقصيا ، تارة الجرن المتداعي واخرى



البرميل الخاوي وثالثة عدة النجارة القديمة وادوات البستنة التي كانت كلها معلقة على جدران مخزن الغلال ...

عرف جميع هذه الادوات واللوازم المنزلية التي كانت ، في غالبيتها من صنع يديه هو ، عرفها ، بيد انها بدت في الوقت نفسه وكأنها لم تعترف به : اذ لم تستجب للمساةة بأيما صوت : الملاقط والكسارات لم تبعث صليلها المألوف ، الاعنة ذات السيور الجلدية غير المدبوغة لم تبدأ صريرها في يديه ... التلقط اوستين في ركن الباحة دلوا مبعجا في حافته العليا ، تناول من فوق الرف مدقا وشرع يقوّم على جذل<sup>١٧</sup> شجرة اناء الصفيح اياه . اخذ يطرق اول الامر بدقة وسداد ثم اذا به يلوح فجأة بغضب وتهور ، يضرب على غير هدى وكأنه يرغب في ان ينتشل ، ان يخرج بالندق ، عنوة وعلى كل حال ، الصوت المطلوب من قطعة الحديد ... لكن لم يكن ثمة من صوت . رمى اوستين ، وهو يتميز غيظا ويلهث متنهدا ، كلاً من المطرقة والدلو الذي دمر كل التدمير ثم وقف ، وقد أسبل رأسه كالثور ، وقف طويلاً وسط الباحة متأملاً في ذهول ... بعدها خرج ثانية الى سقيفة المدخل وعابن الشارع . كان الشارع اخرس صامتا مثل بقية الاشياء الاخرى المحيطة به . شعر اوستين برغبة في الذهاب الى الناس ، الى فروسيا ... هبط منحدر ادرجات السلم وراح يضرب خطاه في الطريق . فوق عمود الكهرباء المغرور مقابل مبنى ادارة المزرعة التعاونية سكنت واجمة فوهة مكبر الصوت السوداء . وقد اكد صمته ... كما خمن اوستين - عصفور كان يحط فوقها غافيا ، اخلي البال !

١٧ الجذل : اصل الشجرة وغيرها بعد ذهاب الفرع .

ملحوظة : جميع الشرواح والتعليقات الواردة في الحواشي هي للمترجم

من عطفة زقاق مجاور ، خرجت مستديرة سيارة بيكاب عتيقة  
واندفعت في الشارع ، ملاحقة الجندي وهي تزيق بجوفها المتصدع .  
وقد داهمته تقريبا وهي ترسل دونما انقطاع اشاراتها الصوتية ، بل  
وكادت تلقي به ارضا . ثم عرجت جانبا ، زاعقة بفراملها ، منزلقة الى  
داخل اخدود هناك . تنحى اوستين واندفع جافلاً ممتلكنا نحو حافة  
الطريق . تعثر وهوى ساقطا على الرصيف .

أي ، انت ، مابك ؟ سكران ، ألا تسمع صوت الزمور ؟! - شرع  
يصرخ ، غاضبا ، السائق الشاب المتين البنية ، الذي سرعان ما ميز فيه  
اوستين ابن قريته فيودور بريديخين .

أصم ، هو اصم ... مصاب بعاهة ! - اخذت تصيح ، ملوحة  
بأيديها ، نساء كن واقفات عند البئر .

وفي غضون ذلك نهض اوستين من على حافة الطريق واقترب نافضا  
- قبعته وعلى وجهه سيماء من اقترب ذنبا ، اقترب من السائق الذي بدأت  
تتلالا على وجهه بدلاً من سورة الغضب ، ابتسامة ذاهلة مرتبكة ...  
أوستين ؟ ... مرحبا ! - شد كل من الرجلين بقوة على يد الاخر - لم  
يقتلك الفاشست ، لكنني كدت ، بالمقابل ، ان ادهسك . تدبب ضاربا  
الارض بقدميك كالاطرش !

سكت بريديخين وراح يلامس اوستين بنظرة ما ، اخرى جديدة ،  
- خالية من البشاشة هذه المرة . ثم التفت بعد ذلك الى السيارة التي كانت  
تجدد على جانب الطريق صخباً ذا صريف خافت . وكمن لم يكن راغبا  
في ان يوغل في مصيبة هذا الأدمي الذي التقاه هكذا على حين غرة ، كذا  
ايضا أخذ يتكلم على عجل ، بصوت أجش وتشجيع متصنع :

- وليكن ، ان الامرتافه ... المهم هو انك حي ترزق !.. انا ايضاً  
انظر .- اراه بريديخين راحة يده اليسرى التي اصابها بعض  
التشويه .- تصور ، انني بيد واحدة ادير عجلة القيادة ...وبها ايضاً  
اعانق النساء . واذا كان ثمة ما يمكن العناق به فان ذلك يعني ان كل  
شيء لدى الرجل على ما يرام !  
بدأ بريديخين يطلق قهقهات عالية ثم اندفع راکضاً نحو السيارة  
وعيناه الكستنائيتان تتلألآن كما الضياء ..

اراد اوستين ان يعود الى عمله السابق في ورشات التصليح ، الا ان صممه لم يسمح له بذلك . كل السيارات والجرارات والماكينات اصبحت الان خرساء ، غير مسموعة بالنسبة اليه ، تجري بلا صوت ، كما في السينما الصامتة . ولم يكن اوستين يحس عمل محركاتها او يحكم عليه الابالرائحة او بالارض المرتجة تحت قدميه . ولم يعد يتمكن ، كما كان سابقا ، من ان يحدد بدقته المألوفة الباعثة على الحسد ، موضع الداء في احشاء المكاثن الحديدية عن طريق سماع اصواتها . فلقد ذاع صيته في كليوجوقكا - قبل الحرب - كميكانيكى تعلم الصنعة بنفسه ، بلا معلم . كان يستطيع دائما ان يعجل في تشغيل ابسط الاجهزة والالات الميكانيكية : فتارة يوصل جهاز نقل الحركة بالسيور من جرار الى مزاراة ، وطورا يثبت مروحة يدوية الصنع على آلة تجفيف الحبوب ... لم يبق الان في المزرعة التعاونية من بين المعدات المتحركة جميعها سوى عجلتي جرار وحافلة بيكاب واحدة . اما بقية الاليات فقد سحبت منذ بداية الحرب لغرض الاستفادة منها في الجبهة . كان في مقدور النسوة والصبايا ان يعملن على الجرارات وماكينات الحصاد الصالحة للعمل ، لكن ما ان يحدث عطب او خلل ما حتى تبدأ الدموع الانثوية تسيل مدرارا . وكم كان صالحا ومفيدا للمزرعة التعاونية في

الوقت الحاضر وجود انسان متخصص بالميكانيك مثل اوستين ديدوشيف لو كان عاد اليها من الحرب مثلما غادرها سابقاً ، سليماً معافى لامعوقاً من الدرجة الاولى . فأنى له الان ان يتفاهم اويعيش في وفاق مع المحركات ؟! ثم ان الاتصال فيما بينه وبين الناس هو الاخر من الصعوبة بمكان : تصرخ فيه بأعلى صوتك ، وان شئت فاسترسل صارخاً في اذنه ، اما هو فيظل - كعادته - يحدق فيك ويبتسم ، كأنك تحدثه أبداً عن شيء ما سار ولطيف .

حاول قاسينين ان يفرز لأوستين عملاً مناسباً : سائس خيل ، سائق جرارة ، خفياً ، مراقب عمال في المزرعة التعاونية .. راجع الرجل كل الاعمال والوظائف الملائمة التي يمكن ان تليق بالأصم الابكم اوستين . غير ان اي عمل لابد ان يحتاج ، في سبيل انجازه ، الى شخص ان لم يكن يملك صوتاً ففي الاقل ان يملك سمعاً . ولكن الا يصلح ان يكون ساعي بريد ؟ ان البنت تاتيانا قاسينينا ، مع انها تحمل البريد وتوزعه بانتظام ، لكنها صارت في الايام الاخيرة تخاف بعض الخوف ، ولو كان الامر يقتصر على الرسائل وحدها لها ، غير ان هناك الطرود والنقود ايضاً ، ثم ان طريق البريد يمتد عبر غابة كولغانسكي ، حيث يمكن ان يحدث اي شيء لا تحمد عقباه : انها الحرب ، وقد اصبحت الغابة موحشة مخيفة . زد على ذلك ان البنية رقيقة شفيقة وحساسة عاطفية الى ابعد حد . عندما تجلب نبأ باستشهاد احد المقاتلين تراها تكابد وتقاتل وتعاني ، على حد سواء مع كل ارملة او تاكل جديدة . ومن هنا فان المصائب والاحزان تدخل بيوت زوجات الجنود وامهاتهم في كليوجووكا وجولاً اشد دويماً وصجيجاً واعظم صارخاً وعويلاً .. خذ البريد في يديك

يا أوستين ، فعسى ان يساعد ذلك على التقليل من النواح والنحيب .  
تصبح به ، تتظلم ، تستعطف ... ولكن هل ثمة من فائدة ؟ ساكت ،  
ساكن كالقبر !

بيد ان فاسينين ، وهو يعرف جيداً شغف أوستين الجاد بقطع  
الحديد ، لم يكن ليرغب في ان يحشره داخل المتاهات النائية للمزرعة  
التعاونية التي تعاني من شحة في الايدي الرجالية العاملة .

سرعان ما عين أوستين طرّاقاً في ورشة الحدادة ، بديلاً للفتى الذي  
التحق بالجبهة . كان يمطل الحديد في هذه الورشة العجوز بانكرات  
سيميونوفيتش أفونين ، وبعبارة أبسط ، الجد بانكرات - كما كان  
الجميع ينادونه . كان رجلاً قصير القامة ، نحيف الجسم ، عريض  
المنكبين ، ذا لحية صهباء شقراء بلون قشٍ قدم به العهد . اما فيما  
يتعلق بعدد سني عمره فهو محال على التقاعد منذ زمن طويل ، لكن  
الحرب اعادته الى كور الحدادة من جديد . استقبل الحداد العجوز  
أوستين استقباله شخصاً يعرفه من زمن بعيد ، ونظر اليه نظرتة الى  
مساعد امين يركن اليه .

- اسمع يا بانكرات سيميونيتش ! وضح له بالمطارق ، أره كل شيء .  
- راح فاسينين يوصي الحداد بأوستين وقد جاء به الى ورشة الحدادة .  
وما حاجتنا ، امام السندان ، الى الحك باللسان ؟ على المطارق  
سيجري حديثنا . - نظر بانكرات الى أوستين بحفاوة ، من قمة راسه  
الى الخمص قدميه ... نظر اليه بعينيه الذابلتين الباهتتين تماما ، بفعل  
النار المتواصلة في كور الحدادة ، ثم غمزه مداعباً : - والآن ، الا  
نحرب ؟

ناول اوستين الملطاس<sup>(٧)</sup> ، وخطا هو نفسه نحو الفرن المتأجج حرارة . انتشل من الجمر بملقاطه العدة المتوهجة لدرجة الحرارة البيضاء ووضعها فوق السندان ذي القرنين . وبعد ان حول الملقاط الى يده اليسرى ، استل باليمنى ، من الفجوة الكائنة بين ساقه وجزمته ، مطرقة خفيفة ذات مقبض طويل وراح ينقربها عدة الحديد الرباعية ، مزياً عنها الغشاء الرقيق ذا اللون البني المصفر ، الذي تكون بعد تبريد المعدن المسخن ... صار لون قطعة المعدن المطروق ابيض مشوباً بالصفرة ، مثل لون كتلة من شمس الظهرية .. نقر بانكرات وهو يمسك القطعة المعدنية بالملقاط ، نقر على حافتها السميكة نقرة خفيفة .

«طاق» ، - دعت المطرقة . «بام !» - طرق الملطاس ، مستجيباً لدعوتها بتثاقل وكلال . «طاق» ، - سددت المطرقة ضربتها . «بام !» - هبط الملطاس على المكان المشار اليه ...

قف ، قف ! - اطلق بانكرات ، وقد توقف قليلاً ، صرخة عالية ثم راح يهدد اوستين بمطرقته مازحاً - ايه ، يالك ! أعجبت فاسترسلت في الطرق ... ولكن هيا أرني كيف تطرق طرفاً اخف ! .. هز اوستين رأسه بلطف ، كما لو انه قد اقتترف ذنباً .

(٧) الملطاس (ملاطيس) : المطرقة الكبيرة .

بشربيع عام اربعة واربعين بخصب وفير . كان اوستين ، وهو يحث خطاه مع باكورة كل صباح نحو ورشة الحداة ، كان يتخطف في كل مكان أمارات الصيف المخصب بمتعة ومسرة ؛ الكثبان الثلجية قامت على مستوى واحد مع السياجات والعنابر ، لكنها لم تكن ملتصقة التصاقاً مباشراً بالمباني بل تاركة بعض الفواصل والفجوات ؛ الاشجار كانت تجل في الليالي بندى مثلج بهي ؛ الثغرات الموجودة على جليد الساقية كانت مغمورة حتى اخرها بالماء - بشير فيض كبير . وكثير من الماء يعني كثيراً من العشب ... وقد اخذ الناس ، مستوثقين من سنة خصب جيدة ، يعلفون بسخاء ظاهر قطعان الماشية التي هزلت خلال فصل الشتاء ، نافضين بجرأة وبلا تردد مخزونات الدريس والعلف ... في كل مكان . في المزرعة التعاونية وفي بيوت الفلاحين ، وضعت الابقار نتاجها الجديد من العجول الصغيرة ... وفي الهواء البليل العليل راحت تعوم رائحة اللبن الحليب ، الى جانب روائح ربيعية اخرى لا يدركونها ، يضطرب لها القلب وتثار فيه الهواجس ...

كانت فروسيا تختفي اياماً بطولها في المزرعة التعاونية ، حيث تضع الابقار احياناً مواليدها اثناء الليل ، ولم تكن لتظهر في المنزل إلا مع الصبح . وقد استقبل اوستين ، ذات مرة في منتصف الليل ، عجلًا



صغيراً وضعته بقرتهم الخاصة . دثر العجل البليل ذا الجبهة البيضاء بقطعة من نسيج الجواليق وحمله من السقيفة الى داخل المنزل حيث الموقد الحجري الذي ينبعث منه الدفاء .

وقد لاحت ايضاً في بعض الامكنة ، عند السفوح الشمالية ذات المنحدرات الشديدة ، لاحت بلونها الناصع البياض اقراص من الثلج . وفي الصباح كان يطرأ على الجو ضباب بارد كثيف ، إلا أن الارض كانت تميل الى الدفاء . وقد غدت الايام المشمسة اطول من ذي قبل ، وشمخت السماء معلنة عن زرقتها ... كانت الطبيعة تسارع الى معايشة مسرات وشواغل هناءات الربيع ونعمه . وفي أمسية من أماسي شهر ايار بلغت الاسماع تلك الانات المرتقبة المنشودة التي راحت ترسلها الضفادع من الساقية ومن البركة الغزيرة المياه . وكان هذا يعني أنَّ الارض قد تسخت جيداً : لقد أن أوان البذار .

غدت ورشة الحدادة في هذه الايام مكاناً مزدحماً للغاية بالناس وذا أهمية مرموقة في القرية . تراكمت الاعمال بكميات كبيرة جداً . إلا أن الطقس الربيعي الملبد بالغيوم قد ايقظ في جسد الجد بانكرات جميع اسقامه المزمنة المتأصلة ، فكان اوستين غالباً ما يظل وحيداً امام السندان . لقد استنفذت الالات والادوات الزراعية التابعة للمزرعة التعاونية قواها ، استهلكت ، بليت تماماً ، وليس هناك ما يمكن استبدالها او ترميمها به : لم يبق في مستودعات محطة الالات الميكانيكية قطع غيار ولا اية قطعة معدنية . ان التلاميذ ومعهم جميع السكان القاطنين في البيوت الواقعة بعيداً عن الطريق العام نبشوا كثيراً وسحبوا الى ورشة الحدادة ، مزارع عديدة ، جميع القطع الحديدية الصدئة

التي عثروا عليها . كما ان قاسينين نفسه ، وهو يسرح عند محطة  
القطار بمفرده في اغلب الاحيان ، كان يطلب بالحاح - كما يفعل  
الغجري - شيئاً ما من العاملين في السكك الحديدية ومن مرافقي  
القطارات الصارمين الذين ينقلون من الجبهة الى اعماق الاورال ما  
تحطم من طائرات ومدافع ودبابات وجرارات قاطرة ... ولم يكن من  
السهل ادخال القراضات المعدنية المختلفة ، التي جلبت الى ورشة  
الحدادة ، في حيز العمل . لكن الحاجة ام الاختراع . فكما استطاعت  
النساء ان يتكيفن لتفصيل الملابس لأولادهن من شتى انواع الخلق ،  
كذلك راح الحداد يرقع ما امكن ترقيعه من الحديد الصالح للطرق ،  
مجدا ومصلبا اياه في النار والماء . ان شحة المادة المعدنية المطروقة  
غالباً ما كانت تدفع اوستين وبانكرات نحو اللجوء الى العمليات المعقدة ،  
الى لحام الحدادة . وكانت عملية اللحام تتطلب وجود الفحم الناعم  
المنتقى «البندق» والرمل النهري الاسود اللون الذي يسمونه الصهور .  
لقد وجب على الحداد ان يكون على مستوى عال من المعرفة والقدرة .  
لكن كان يترتب عليه قبل كل شيء ان يمتلك طاقة متزنة جلدة وثباتاً  
شديداً : كانت الملاطيس تدوي طوال النهار امام الكور ، ورنين الطرق  
الخفيف المتواتر ، المنبعث دونما انقطاع ، ينتشر فوق سطوح المنازل  
ليثير في نفوس الناس البهجة ويبعث فيها النشاط .. إلا اوستين ، فهو  
الإنسان الوحيد الذي لم يكن يسمع هذه الاصوات ، على الرغم من انه  
هو الذي يصنعها ويبدعها .

انه يعيش الان في صمت مطبق عميق ... كذلك السكون الذي كان  
يحسه أيام طفولته الصاعدة ، عندما كان يملأ رثتيه وهو يعموم في البركة

بكمية كبيرة من الهواء ثم يغوص بعيداً تحت الماء ويسبح ، مفتوح العينين ، في القعر الصامت الابلكم ذي المياه الضاربة الى الخضرة . وها هو ذا العالم الصاخب المألوف لديه يبدو الان وكأنه قد حجب عنه تماماً بطبقة سميكة من مياه جامدة صامدة ، لا سبيل الى اختراقها او النفاذ منها . غير انه لم يكن اصم ابكم من يوم ولادته ، هو الان كثيراً ما يعتمد على حافظة السمع عنده . وهي التي تنطق له اليوم صياح الديك ، خوار البقرة ، ضجيج المطر ، صريف الثلج ... وكل ذلك العالم الحي المتحرك الذي كان يتأمله من حوله ، لكن دون ان يسمعه . كان يدرك ويستوعب ما يحيط به بعينيه فحسب ، وبالرائحة ايضاً . فحيثما حل اكتنفه صمت رهيب كسكون القبر ! لم يكن يسمع حتى سعاله . لكن في هذا الصمت كانت تحيي ، بانتباه ودقة ، خواطره وافكاره : الكلمات الخفية غير المنطوقة التي لم يكن يسمعها احد سواه . كان احياناً يحدق ، اثناء الحلاقة ، في وجهه باهتمام وعمق وهو واقف او جالس امام المرأة : لم يبد له متغيراً البتة ، لقد لاح له مألوفاً تماماً ، فهو وجهه السابق الذي عرفه قبل نصف عام ، أو قبل خمسة اعوام مضت ، يوم كان سليماً ، غير مصاب بالصمم والبكم . وبدأ يؤمن ، متهيباً ، بأن هذا الخل الذميم الذي حدث في داخله ، والذي لم يؤثر مطلقاً وبأي حال في مظهره الخارجي ، هو خرق مؤقت مثله مثل أية علة بشرية عابرة . وقد زاد اعتقاده في ذلك ايضاً أنّ الاصوات كانت تعودده ، تؤوب اليه في احلامه : كان يغني ، يضحك ، يتحدث مع فروسيا والصغيرين ... غير ان الصحو كان يقطع الصوت فيحس ، بعد ان يهب مستيقظاً من نومه ، يحس من جديد كأنه مغلف ، مختوم عليه بإحكام من جميع الجهات .

راحت فروسيا ، محاولةً التقليل من شأن العطب الذي أصاب زوجها ، راحت تسر الى صويحيباتها ، زميلاتها في العمل :

مع انه كان في شبابه ، كما تعلمن ، يغني ، يعزف على الاكورديون ، لكنه لم يكن مهذاراً أطلق اللسان كثيراً . نسجع الى الاخرين وهم يثرثرون كأنهم يجدلون الدانتلا بالسنتهم ... أما أوستيا ، زوجي ، فهو أكثرما كان يرى ساكناً يلامح من حين لآخر بنظرات كلها لطف ومودة . وهكذا استطاع ان يستدرجني ، يستميلني ، يوقعني في شبابه ... بنظرات عينيه ...

واليوم هي تشفق عليه وتحبه ، هو المصاب بعاهة ، حباً أكثر رقة وحناناً من ذي قبل : تحبه بامتنان لاهتمامه اللطيف بها ، في الماضي وفي الحاضر ، ولأنه قد اجتلى فيها روحها ، دون اي شيء آخر .

كانت فروسيا في شبابه فتاة طويلة نحيفة ، تخطط لها خالتها جميع تنوراتها وفساتينها : اذ كان من النادر ان يلائم جسمها شيء من الالبسة النسائية التي ترد الى متجر القرية . وقد عانت ايضاً ، جراء طول قامتها ، من حالات احراج اخرى : ففي المدرسة كانت تجلس على المنعد الاخير ، وفي النادي تراها ضمن الصفوف الخلفية ... أما الحفلات الساهرة وما يتخللها من فعاليات رقص وغناء فانها ، هي الاخرى ، لم تجلب لها إلا القليل من المسرة : فأى من الشبان كان يرضيه ان ينزل الى حلبة الرقص بصحبة فتاة أطول منه قامته ؟ .. غير انها بالنسبة لأوستين كانت مناسبة تماماً ، قلباً وقالباً ... وبعدما أنجبت له ولدين ، الواحد تلو الاخر ، تضاعف احترامه لها . ثم جاءت الحرب ، كارثة الكوارث على وجه البسيطة كلها ...

لم يستطع اوستين ان يتكيف مع وضعه الجديد إلا بصعوبة وجهد .  
لكنه كان - وهو يتطلع بأمل ما الى الشفاء ، الى البرء مما اصابه  
- يتوجس خيفة من ان عاهة البكم والصمم هي كالداء اللدود الفتاك ،  
ستنمو منتشرة في جسمه كله ، تمتصه وتستهلكه برمته ، تطفىء النور  
في مقلتيه وتقمع التنفس في رئتيه ... فراح يضاعف ، متعجلاً ، من حبه  
فروسيا ، يشفق عليها ، يلاطفها ، يداعبها بنشوة روحية عارمة وكأنه  
ينظر اليها نظرة وداعية تلتهب حياً وحناناً ... وقد غمره سرور يسمو عن  
الوصف حين عرف انها حامل .

هل تسمع ؟ .. - قالت له هامسة ذات مرة وهما ضجيعان يلفهما  
فراش الزوجية . - أه ، ولكنك لا تسمع شيئاً .

عثرت فروسيا على راحة يده فوضعتها ، من فوق قميص نومها ، على  
بطنها . فهم اوستين ، حزر كل شيء ولس بيده لمسا خفيفاً رقيقاً بطن  
فروسيا الذي كان ما يزال مستويا منبسطاً كبطن فتاة عذراء .

منذ زمن بعيد لم تضع النساء عندنا مواليد جديداً ... سأكون انا  
الأولى ! .. هل تسمع ؟

وسر كذلك كوزما دانيلوفيتش ، الذي كان لا يفتأ يبكي في سره مصير  
ابنه اوستين السيء الحظ ! ولكن الله ، تأمل ! .. ، لم ينس اوستين .  
فعلى الرغم من انه مصاب بعاهة الا انه رجل سليم معافي داخلياً . يعني  
ان سلالة ديدوشيف مستمرة في العطاء ، صالحة للبقاء .. أجل ، ان  
الاحفاد سيترورعون ، ولسوف يصونون شرف العائلة . فهم واوستين  
الامل ، كل الامل ، بالنسبة للعجوز كوزما دانيلوفيتش . لم يبق لديه من  
أحد سواهم موضعاً لثقتهم ورجائهم . فابنه البكر قد استشهد في ضواحي

موسكو ، وزوجته العجوز واراها التراب منذ عهد قريب ، وهو نفسه يقف اليوم وأحدى قدميه على حافة القبر ...

أخذ أوستين على عاتقه - رافة بزوجه الحامل - الكثير من اشغال فروسيا المنزلية : صار يحمل يومياً الماء على النبت<sup>(4)</sup> من البئر الى الدار ، يوقد الفرن الحجري كل صباح . وحين يصادف ان تتأخر فروسيا في حقل تربية المواشي التابع للمزرعة التعاونية ، كان يقوم هو نفسه بحلب البقرة وبتحضير العشاء ، ثم يستقبل ، وهو في غاية التعب والاجهاد ، زوجته استقبلاً لطيفاً عطوفاً ، شاعراً باللذة من فكرة انه اذ يقوم ، قدر المستطاع ، بمساعدتها فذلك لكي تتمكن هي من أن تنهي لأداء مهمتها الاثنوية الرئيسية على الوجه الاكمل . ومع ان الامر المترقب هو من المسائل الاعتيادية المألوفة الا ان أوستين كان في حال من القلق لم يَمْرَبها في حياته قط . وكان ينتظر ولادة الطفل انتظاره حدوث معجزة ما ، مصداقاً وغير مصدق أنها ستقع ! .. ولد أستهبه فروسيا أم بنتاً ، كان الامر لديه سواء . المهم هو ان يكون طفلاً صحابياً صراحاً ، قوياً معافى ... أجل هذا ما كان يرجوه ، يتمناه لأجل الدار ، لأجل فروسيا بخاصة فكر أوستين انه عندما تستقبل الاسرة اطفالاً اكثر صحباً واشد ضجيجاً لن يكون حينئذ صممه اللعين ملاحظاً او محسوساً بما هو عليه الان ، ان الحياة ستغدو اكثر اشراقاً وأعظم فرحة ...

يا كادوا يلتقطون انفاسهم بعد موسم البذار حتى دهمهم موسم الحنق الذي قاد الى المروج والمرايع سكان القرية جميعاً . أرجأ أوستين

٤ - النبت : مقرون الدفة (الحمالة التي يعلق في كل من طرفيها دلو وما اليه) .

عمل الملطاس اسبوعاً بكامله لكي يمضي مسانداً جماعة الحاصدين الضعيفة المتكونة اصلاً من النساء والفتيات ، باستثناء فيودور بريديخين وسيميون غروليوف ذي الساق الاصطناعية الخشبية ، اضافة الى ستيفان فاسينين الذي ثبت بالسيز الجلدي مقبض المحشة الى جُذُمور<sup>(٥)</sup> يده اليسرى المبتورة . كما بذل كوزما دانيلوفيتش جهده في ان يقدم ، قدر ما يمكنه ، المساعدة للحاصدين . فكان يصلح المحشات ، يشحذ المناجل ، يقلب بالجرافات الخفيفة - على قدم المساواة مع الصبيان - الدريس في الاكوام المتراكمة ، ويقدم النصائح للفتيات عن كيفية التحكم بأكداس الدريس المحصود .

كان اوستين يتحرك - بقميصه المسودّ الصدر والكتفين - على الجناح الأيمن ، في الخط المتعرج من جماعة الحاصدين والحاصدات . وكان احياناً يرسل من بعيد نظرة ترحيبية باشة الى والده ، متذكراً كيف كان آل ديدوشيف في مواسم ما قبل الحرب يخرجون كلهم ، عن بكرة ابيهم ، الى هذا المرج الصغير . وحتى في اوقات الاستراحة كان كوزما دانيلوفيتش القوي الساعدين ، المكتنز البدن أيامذاك ، يظل وهو يعد لنفسه «سيكارلف» يعمل ، ساحباً معه كلاً من ولديه أندري وأوستين . وما أكثر الارشادات والتلقينات الذكية التي كان يسمعها اوستين من والده ! .. انه يستذكر ، على سبيل المثال ، ان افضل الدريس هو المحصود من حافات رقاع الاراضي المزروعة بحبوب الحنطة ومن الاماكن المرتفعة . ان مثل هذا الدريس يدخر للماشية الناشئة الفتية او للعجول والحملان المفصولة عن امهاتها ... اما الاماكن المنخفضة

(٥) - الجذُمور : اصل الثوب او اوله ...

الرطوبة ، ذات الاراضي البور ، فيأتي منها دريس خشن ، حامض يصلح للكباش والخيول والبهائم المستخدمة في مجال النقل .  
«كانت حياتنا تسير بمنتهى البساطة والالفة . الوالدة وأندريوشا حيان يرزقان ، والوالد لا يشكو من علة أو وهن أو عجز ... إن شئته على الجرار ، وإن شئته على الآلة الحاصدة الدارسة ، أو شئته في ورشة النجارة تجده مستعداً ابداً . أما الآن ، فانظر اليه تره اشبه ما يكون بشجرة قطعت من اسفلها . هي لا تتداعى الى السقوط ، إلا انها لم تعد ، في الوقت نفسه ، قادرة على الوقوف منتصبية . لقد تقوس ظهر الوالد واشتعل رأسه شيباً وما عاد يجد له بين رجال كليوجوفكا من عمل او مكان ، لم يبق امامه سوى ان يلهي الصبيان بالاقوال الفكاهة المسلية وسوى ان يحرس عنابر المزرعة التعاونية» . - اخذ اوستين يتفكر متعباً قليلاً ... ثم راح ، وهو يلوح بالمشقة ، يشق طريقه عبر جدار من الغلال والحبوب الخضر ، نحو والده الذي كان يقف فوق أكمة صغيرة .



في صبيحة اليوم التالي كان أوستين يشتغل في الورشة وحده . فقد انخرفت من جديد صحة الجد بانكرات ، والله أعلم الى اي أجل . وفي مثل هذه الحالات كان أوستين يطلب لنفسه مساعداً . وكانوا يختارون له في عمل الطرق عادة ذلك الفتى الفاره الحثيث والفظن الأريب كوليا أوسينكوف . حين جاء أوستين بطلبه الى ادارة المزرعة التعاونية رأى حشداً من الناس : كان يجري هناك توزيع الناس الصباحي المؤلف وتوجيههم نحو أعمالهم . كان يقف على سقيفة المدخل فاسينين ، ملوحاً بيده الوحيدة وهو يصدر أوامره التي حاول أوستين ان يدرك فحواها من خلال تعابير وجه مدير ادارة المزرعة التعاونية .

اليوم سنعمل على الوجه الآتي : الذين هم أكثر قوة ينقلون الدريس ؛ والذين هم اقل تحملاً يستأصلون البطاطس . أما الطاقة العظمى فادخرنها ، ايتها النسوة ، لأجل الحصاد . انظرن ، اية سنابل قمح ترتفع عالية ، تناديكن هناك ! - كان فاسينين يتكلم بصوت واطيء لكنه ذونبرة حازمة صارمة ...

وصاحت النساء طارحات ، بالمقابل ، همومهن وطلباتهن :  
الصابون ، وعدتنا بأن سنناله ، ايها المدير ! .. اين هو الآن ،  
حقرنا ، هذا الصربيون !؟

والمح ، متى سيجلبونه ؟

- هكذا اذن ، ايتها النسوة ! - اخذ فاسينين يطم في كلامه .. - ولكن

لماذا لا تطالب كوريوشينا بألواح الخشب ؟

- لأنك ستقول ان الواح الخشب نحتاجها لأجل زريبة البقر .. - اطلقت

نيورا كوريوشينا ضحكة ساخرة ذات معنى .

- إليكن ، ايتها النسوة ، - واصل فاسينين حديثه . - خذن مثلاً

للوعي من سواقة الجرارة كوريوشينا .

وقبل ان يتسنى للنساء التجاوب مع كلمات مدير المزرعة التعاونية ،

ارتفع من جديد صوت نيورا :

- لا تعطني الواحاً خشبية ، بل أعطني رجلاً .. متى كان الحبيب الى

جانبي تكن الألواح الخشبية وكل الأشياء الأخرى ...

أرسلت إحدى النساء صفقة خفيفة الى قفا صبية كانت تحوم

بقربها ، ناهرة اياها : «هيا اجري الى بيتكم ... مالك مددت

اذنيك !؟ ...»

- حقاً .. حقاً ، ما هو كذلك يعني انه كذلك ، - قال فاسينين وهو يحك

صدغه .. - نصف سكان القرية عندنا من الارامل وزوجات الجنود ، ثم

هاكم الصبايا اللواتي بدأن يدركن سن الرشد .. - وأشار بعينه الى

سرب صغير من الصبايا ذوات الخمسة عشر والستة عشر ربيعاً ، كن

واقفات عند إحدى المصاطب وفي ايديهن مجارف العمل .. - هن ايضاً

يجب ان نعطينهن أحبة ، عرسانا . لكن من اين نأتي بهم ؟ ... سننتظر

حتى النصر ...

شيء ما بدأ يحدث خشخشة في فوهة القمع الاسود اللون لمكبر

المسوت المثبت فوق عمود الكهرباء ثم انفجر مدياً ، بعنف واحتفالية ،  
صوت المذيع ليقيتان :

... مكتب الانباء السوفيتية ...

- هسّ ! ... - ما ان بدأ قاسينين حتى تجمد في منتصف الكلمة ،  
والناس الحاضرون ايضاً صمتوا دفعة واحدة : لوطارت ذبابة لسمعت  
حفيف اجنحتها .

-...أمس ، الثالث من تموز ، تمكنت قوات الدبابات لجهة  
بيلوروسيا الثالثة من الصوب الشمالي الشرقي وجهة بيلوروسيا الاولى  
من جهة الجنوب ، تمكنت من ان تندفع الى داخل مدينة مينسك ،  
مطاردة قوات العدو المتقهرة ، ملتفة حول أجنحة تجمعها ... وقبيل  
انتهاء النهار كانت عاصمة جمهورية بيلوروسيا السوفيتية محررة  
بكاملها من يد المحتلين الفاشست ! ..

اما بقية كلمات المذيع التي كانت تبلغ عن عدد القوات العسكرية  
الهتلرية المطوقة في ضواحي مدينة مينسك فقد غرقت وسط هتافات  
«أورا!» المتباينة الاصوات .

وقف اوستين بلا حراك ، غير واعد سبباً للاندماج في الابتهاج العام  
الشامل لهذا الحشد الصغير من الناس ذوي الملابس البسيطة المتغايرة  
الالوان .

هل سمعت ، يا اوستين ؟ لقد استولت قواتنا على مينسك ! - هتف  
قاسينين وقد دنا ، راكضاً ، من اوستين ثم راح يعانقه . ابتسم اوستين  
مرتبكاً ، دون ان يدرك - على كل حال - الدافع الحقيقي لاحتفال ابناء  
قريته .

عندهما خطف فاسينين غصينا أملوداً ثم اخذ ، وهو يردد : «تنحين ،  
ايتها النسوة ، تنحين جانبا» ، اخذ يستنبت على الارض الرملية ،  
بحروف متقطعة مضطربة ، كلمة «مينسك» .  
شرع اوستين يهز رأسه ، أمسك بياقة قميصه ثم فتحها وكأنه صار  
يشعر بحرارة الجو .

ما ان تفرق الناس منصرفين حتى اقترب من فاسينين وبين له  
بالحركات والايامات ان بانكرات متوكم الصحة ، وان الحاجة تدعو  
الى ارسال كولكا أوسينكوف لكي يساعده فترة من الزمن في ورشة  
الحدادة .

أمس استلم نيكولاي دعوة الى الخدمة العسكرية ، - تكلم فاسينين  
ولوح بيده موضحاً . وبعد ان سكت لحظة أضاف قائلاً بصوت  
خافت : - لكن ابنتي تانكا قد تعلقت بالفتى تعلقاً تاماً ... واذا حدث له  
- لا سمح الله ! - شيء ما من قبيل ... فسوف تقضي الصبية نحبها غما  
عليه ...

لقد استطاع فاسينين ان يتحدث الان بشجاعة عن هذا القلق الخفي  
للغاية مع شخص واحد فقط ، هو اوستين الذي راح ينظر اليه بفضة  
لكن بدون اجابة ، كما الايقونة تماماً .

ذات مرة ، في ظهيرة يوم خريفي صاح لكنه بارد ، اخذ اوستين يعد بنفسه عدة اللحم ، غيرمنتظر مجيء بانكرات ، بذرقدرأ من «البندق» والرمل ، قطع بالازميل قضيباً معدنياً معداً الى اجزاء دفع بها الى جمر الفرن النافث نيراناً ومضى ليدخن سيكارة تحت اشعة الشمس . وسرعان ما شاهد ابته بافليك يسير في الطريق حاملاً بيده صرة صغيرة . «هاهوذا الفطور قادم» ، - بدأ اوستين يبتسم لابنه المقبل نحوه . وفي حين كان اوستين يأكل طعامه تناول بافليك لوحة من الخشب الرقائقي وقطعة من الطباشير ، كتب لأبيه كلمات وارقاماً تبلغه بالاخبار المنزلية : ساعدت ماما في كنس باحة الدار وفي تقطيع الكرنب ...

ضم اوستين ابنه - في شيء من الغلظة - الى صدره وكأنه يريد ان يجعله يسمع في جسمه الصامت نبضات قلبه الحنون .

وفي تلك الاثناء لاح في فتحة الباب سائس الخيل «جدو» غافريلا ومن خلفه خطماً حصانين . وضع السائس بالاشارات الغاية من مجيئه . ترك الجوادين عند مربط الخيل وبعد ان دخل الورشة ، جلس على المصطبة جنب اوستين . انهى اوستين ، على مهل ، تدخين سيكارتته اللف ، اخرج درجاً فيه أطقم من الحدوات والمسامير الخاصة بحدوات الخيل . وبعد ان تناول المطرقة من فوق السندان خرج منطلقاً الى

الفضاء حيث الحصانان .

كانت الفرس المسنة الصهباء ، ذات العطفين المحكوكين المتدليين والبطن المرتخي ، تقف ناعسة على قائمتيها القصيرتين المنفرجتين نحو الجانبين ، وكأنها تحتذي خفين مهلهلين باليين تماماً . اما حافراها ، اللذان كانت تغطيهما نتوءات دائرية ناعمة ، فقد تصدعت حافتاهما المقوستان المثومتان ... مسح اوستين برافة على غارب الفرس ثم رفع قائمتها اليمنى وعابنها ، هي وما تبقى من حدودها العتيقة المسحوجة المسوحة . ليس عملاً ، بل عقوبة تصليحك مثل هذه الحوافر . لو كان يانكرات هنا لما سكت ، لوجد كلمة قوية منشطة تليق بكل من الفرس والسائس معاً . لكن اوستين نعل ، بصمت وبسرعة الفرس المسكينة ، قضب حافات الحوافر المثلومة ثم ساواها بالمبرد .. عادت الفرس وكأنها قد اقتنت حذاء جديداً ؛ وقفت ثابتة فوق العشب الأملس الزلق ولاحت كما لو انها قد استعادت شيئاً من شبابها !

اما الفرس الاخرى الكستنائية اللون ، التي كانت ما تزال بعد في عزّ فتوتها ، تميزها حوافر ذات اغشية لامعة ملساء ، اما هذه فقد تصور اوستين انه سوف ينعلها في وقت اسرع . لكن الكستنائية كانت مضطربة ، غير هادئة ، تشذربعينيها ، تحرك بسرعة اذنيها وتجفل من ادنى لمسة .

- طرررر ، مكانك ! هيه ، ماذا دهاك ؟ ... مهما وثبت الفرس فانها تظل في النهاية داخل الطوق . اما أنت فتحملي قليلاً ، ها ، ها ... - راح غافريلا يلاطف الفرس بصوت خشن جهير ويلف ، أقوى ، فأقوى ، زمام اللجام على مرفقه . غير انه لم يتمكن من السيطرة على زمام الفرس

الفتية .

- ابتعد والا كدمتك ! - صاح غافريلا ، محذراً بإفليك الذي كان واقفاً قرب المربط .

تناول أوستين المقود الجلدي من يدي السائس وربطه الى عارضة خشبية معمولة من جذوع الشجر . ارخت الفرس رأسها صاغرة ، لكن ما ان تسنى لأوستين ان يمسك قائمتها الامامية ليضعها في الجلاخة حتى تنحت عنه مجفلة نافرة . وفي اللحظة ذاتها أطلق غافريلا صرخة وبدأ يثب على احدى ساقيه ، نافضاً وهو يتجشأ ساقه الاخرى التي تعرضت للدوس . ثم اندفع فجأة ، وقد التوى وجهه من شدة الالم ، نحو الفرس وانهال بقبضة يده على وجهها ضرباً بكل ما لديه من قوة ... ارتمت الكستنائية الى الجانب سريعاً ، فلوى الزمام المتوتر رأسها بعنف وألم ، واحتكت الشكيمة المعدنية بشفتيها . قفزت الفرس شاخرة الى الخلف ، نجو المربط ، شبت ثم انطلقت - بعد ان قطعت الزمام - تجري نحو البرية . لم يشاهد أوستين كيف اصابت الفرس بإفليك بركلة وطرحته ارضاً . ركض مسرعاً نحو ولده ، اخذه في يديه ونظر في وجهه . كان بإفليك غائباً عن وعيه .

- غنثيئي ... أوئي ... ئي ! - بدأ أوستين يصرخ بضراوة وهو يتطلع الى عيني ولده شبه المغمضتين . اقترب غافريلا راكضاً ، الصق اذنه في صدر الصبي ، ملطخاً خده بالدم .

- يتنفس تنفساً قصيراً . هلموا به سريعاً الى الموظفة الصحية ، - اعتصر السبائس كلماته وهو مصعوق رعباً وعجزاً ...

لم يعد باقلبك الى وعيه الا في المركز الصحي ، حيث جاء به اوستين .  
ازلوا بالغسل التراب والدم عن وجهه المتورم ، ضمدوا له خدوشه  
فابتسم لوالده ، شاعراً بالذنب وسار من المركز الطبي الى البيت  
بنفسه . اما اوستين فلم يستطع بأية حال ان يعود الى سابق هدوئه ، ان  
يتخلص مما به من قلق وانفعال ومعاناة ... ظل مبهوتاً ، يسير بشكل آلي  
تلقائي جوار ولده ، ممسكاً به - غير مصدق عينيه - من يده حياً عزيزاً  
غالياً ، هذا الذي كاد قبل قليل ان يذهب منه هدرأً وتهوراً ...  
بعد ان اوصل ابنه الى البيت عاد ثانية الى السورشة ، شرع يلتقط  
- نابذاً - من الفحم قطع الحديد المتقوسمة التالفة بتأثير الحرارة  
المفرطة ... ثم جلس يستريح ، بعض الوقت ، عند النافذة ، وفجأة حل  
محل الصدمة ، الهزة التي انتابته ، اعياء بل نعاس مباغت ، سريع ،  
غير طبيعي ... أمام النافذة كانت ترتع في سكينه - كما في المنام - عجول  
فتية على المرج الصغير ذي العشب الباهت الخضرة ، راح ينفث دخانه  
جرار يسحب خلفه مقطورة شحنت حتى حافاتهما بالدريس ... كان كل  
شيء يتحرك بدون صوت وبشيء من البطء . في حين اخذت تضرب النافذة  
المغبرة نحلة كبيرة طنانة . ساعية الى الافلات نحو الفضاء الطليق . راح  
اوستين يرنو طويلاً وبلا تفكير اليها .



شعر بغتة بخطر مبهم ، وهمي . لاح له ان في السماء ، في الكوى  
الزرقاء ، ثمة شيئاً ما قد تغير تغيراً مضطرباً ، منذراً بالأذى ، صار  
يطن طنينا دقيقاً ، رفيعاً ، غير واضح ... تلفت اوستين حوله ، هز  
رأسه وتوتر بكامل كيانه ، حتى انه أغمض لبرهة عينيه ، جاهداً أن  
يلتقط ، يلمس ، يحس ، يدرك ذاك الشيء الذي بدا له طنين بعوضة  
خافتاً قصياً : ميلاد صوت ...

جلس أوستين هكذا نحواً من دقيقتين اثنتين كأنه يتسلل عميقاً ،  
يوغل بنهم ولهفة في ذاته ، في احساسه المبهم هذا ، معتبراً تلك  
الضوضاء الغريبة في اذنيه لعبةً شريرة ، مغالطة اخرى جديدة من  
مغالطات وثأته ، عاهته ... لكنه ادرك فجأة ، باحساس الجندي ، ان  
هذا ليس تشوّف بعوضة اطلاقاً ، بل هو ذلك الهدير الكامن في الذاكرة ،  
المخيم عليها ابد الدهر ، يستفز الروح ويقشعر منه الجسد : هدير  
الموت المجنح : المشرّع نحوك من أعالي السماء ...

«اي نعم ... يطلقون هم الخسيسون الاوغاد ، لعنهم الله ! ها  
إنهم ، ويل لهم ! يقتربون خفية ، على رويدهم . لكن ، من ذا الذي  
تستهدفون قصفه هنا ؟ العجول الصغيرة تلك ، اياي ، ام من ؟ .. يالكم  
من سفلة لئام ! ..» - أزيد أوستين من بغض قديم ، شاعراً بالعجز  
المأساوي الذي يلف قريته الحبيبة وبعدم قدرته هو على ان يحميها ،  
يدراً عنها الهدير الزاحف نحوها من قاذفات القنابل المعادية . راح ،  
وقد انقبض في سره ، ينظر بعناد الى السماء ، باحثاً عن الطائرات  
المألوفة ، بلونها الاخضر الموحد وبصلبانها السود المعقوفة ، لكنه لم  
يشاهد شيئاً . بيد ان الازيز المرعد المتوعد لم يهدأ ، بل اخذ يزداد

ويقوى . هز أوستين رأسه : ما هذا الذي في داخله ؟ أهو حلم ام  
وسوسة شيطان !؟

«ززو .. ززو .. ززو .. وو» ، - كان الصوت يلامس مسمعيه ملامسة  
اكثر جلاء ...

فجأة رأى النحلة الكبيرة الطنانة التي ما فتئت تضرب باصرار  
ومثابرة في زجاج النافذة . ضغط عليها عفوياً ، دون ان يفكر ، براحة  
كفه فأختفى الصوت . افرج اوستين عن النحلة فبدأت هذه تنطن  
بقوة ، معيثةً بالزجاج ، واذا بالكون كله يمتلئ مرة اخرى بخطر  
القصف الجوي ! ..

وقف اوستين متسماً ذاهلاً ، خافق القلب ، يتملكه شعور بالهلع  
والبهجة في أن معا امام الحياة ، امام تلك الطاقة الصوتية التي انبعثت  
فيه من جديد بعد ان كانت صلته قد انقطعت بها ، نسيها ، اختفى عنها  
اختفاء اكيداً يحميه درع واق لا نفاذ منه . والان ، تحطم الدرع ، تهرأ  
كاشفاً اوستين امام الحياة امام الوجود الناطق الذي راح يعلن عن  
نفسه ، بجلاء اكثر ، مع كل دقيقة تمر ... كصرير باب غير موحد ،  
كشقشقة عسافير تحدث ضوضاء فوق السطح ، كقطقة جمر متقد في  
الكانون ...

لم تكن الاصوات تبلغ سمعه بعد بوضوح تام ، بل كأنها كانت تأتيه  
عبر حاجز قطني ، ولذا بدت غير حقيقية . فلم يصدقها : لم يصدق  
عودته من اسر الصم البكم الذي كان قد وقع فيه قبل اشهر عديدة ،  
بفعل الانفجار الهائل الذي احدثته تلك القذيفة التي سقطت في  
موضعه ... وبعد محن ومصائب طويلة مرت به في المستشفيات

العسكرية ، سُرَّح من الجيش المحارب باعتباره معوقاً . ورحل الى اهله في القرية .

تسللت الى باب الورشة ، خلسة ، كلبة سائبة وراحت تشمشم في الزاوية ، غير منتبهة الى وجود اوستين عند النافذة . لَوَّح لها اوستين مهدداً ، ثم راح يصرخ بها ناهراً :

غي... ئي... ولي!

انكفأت الكلبة بسرعة نحو الباب وهي تهرهريراً خافتاً . اما اوستين فقد وقف مذهولاً من فرح وخوف ، بعد ان سمع هريرها الخفيف وصوته المتلعثم . ثم أخذ يمشي بهدوء ، ذهاباً واياباً ، على ارضية الورشة الترابية ، حاملاً في سره - بعناية وحرص - النبا النفيس ، مسروراً به وغير مصدق . ولكي لا يُنفر بل ليرسخ هذه الفرحة ويؤكد لها ، تناول المطرقة ونقر بخفة على السندان . اصطدم رنين المعدن رخيماً بأذنيه فتلقف بمتعة وتلذذ صوت تماس المطرقة والسندان . كانت مثل هذه اللحظة تتأكد ، فيما مضى ، باليد والعين فقط . اما الان فهو يسمعها سمعاً .. وكما يبدو مهماً مثل هذا الامر بالنسبة للحداد : أن يسمع صوت المطرقة !

أخذ اوستين وهو يشتغل بالمنفاخ يرمي في الجمر المتوهج بعضاً من قطع الحديد ، وحين احمر لونها تناول الملقاط وانتشل من الجمر الابيض قضيباً حديدياً متوهجاً ووضعه فوق السندان . كانت تقف على طول الجدار عدة مطارق وملاطيس ، بعضها الى جنب الاخر حسب

قاماتها ، مكونة شكلاً هرمياً منسقاً ... اختار اوستين اللطاس الاوسط ثم لوح ، وهو يمسك المعدن المطروق بملقاطه ، لوح باللطاس الناطق الذي غدا جراً ذلك ، خفيفاً في يده . وبطاقة متجددة وحماس بهيج ، ظل يمطل الحديد اكثر من ساعة ، صانعاً منها اسناناً للمسلفات . وفي لحظات الاستراحة والتدخين كان يجلس مواجهاً الباب ، منتظراً بلهفة وقلق مجيء الناس ، ماسحاً موجات العرق عن جبينه .. كان يعيش تقريباً ذلك الاحساس الذي يحمله الانسان وهو يقترب بوجل - بعد غياب طويل - من مأواه الحبيب ويفكر كيف سيتلقونه ، أية جلبة سيحدثه قدومه المفاجيء هذا ؟ .. ومع كل لحظة كانت تنمو في داخله اللهفة الى مشاطرة أي من الناس فرحته العظيمة هذه ، ولم يعد راغباً في ان يبقى وحيداً اكثر من ذلك . غسل يديه وبدأ يتأهب للذهاب الى داره . بعد ان خرج اوستين من الورشة حاد عن الطريق وراح يمشي الى اسفل ، عبر المرتع مباشرة ، بخطوات سريعة نحو بيوت القرية .

فوق شجرات الحور الرجراج الضخمة القائمة عند البركة كانت  
غريان القيظ تصرخ بفاعلية مرحة ، مجتمعة في اسراب مرتدة ، ومن  
سطوح العنابر والسقائف راح يتعالى في روح قتالية بهيجة صياح ديكة  
بديعة مختلفة الالوان والانواع ، وفوق الرؤوس كانت تحوم خطاطيف  
جميلة جذابة ، وفي المرايع والمرجات الصغيرة المخضرة امام نوافذ  
البيوت كانت ترتع ، هنا وهناك ، متبختره مزهوة ، بطات ربلات<sup>(٦)</sup>  
تتربص وتترقب في حذر وغلو وغيره حاقدة وهي تحرس نتاجها الناشء  
النابت حديثاً .

عندما حاذى اوستين واحدة من هاته الاوزات ربات العيال ، اندفعت  
الام الفتية ، في اللحظة ذاتها نحوه مقوسة عنقها بضراوة وفدت فحيح  
أفعى حانقة . توقف منتظراً باستسلام لذيذ إقبالها عليه وبسط في وثام  
يده للقائها كي يمسدها ، يمر بها على رأسها السنجابي المستطيل  
ومنقارها الأحمر المفلوع ، المنفرج في غضب عنيف .

كل هذه الاصوات التي لامست اذني اوستين : فحيح طائر الاوز هذا  
المنذر المهدد ، ونعيب الغريان ، والصرير الخشن الفظ الذي ترسله

---

٦ - ربلات : سمينات (مفردها ربله) . كثيرات اللحم . والربله ايضاً كل لحمه غليظة ، او هي  
باطن الفخذ . وامرأة ربله وربلاء اي عظيمة الربلات .

البوابات من مكان ما ، ونخير الخنوص<sup>(٧)</sup> المضجر المسئم في حظيرة امرىء ما ، وحتى خفقان جزمته العتيقة على الطريق الأحرش الوعر ... ، كل هذه الاصوات المألوفة ، التي لم تكن في السابق ملحوظة - كما الهواء - تقريباً صارت الآن تبعث في نفسه الفرح بما يعجز عنه الوصف ... راح ينظر بعينين جديدتين الى الاشجار والاسوار ، الى البهائم والأطيّار ، الى المنازل والاجواء ، والى الارض والسماء ... كل شيء كان موجوداً في السابق ، وكلّ كان مغايراً تماماً : كل كان يزقزق ، يشقشق ؛ يحف ؛ يخشخش ؛ يصدح ، يغرد .. لقد ولى ، الى غير رجعة ، كل الفراغ الاخرس الصامت ...

وامتنانا لما حدث في داخله ، معه ، وفي ما يحيط به من عالم رنان ، اراد اوستين ، من فرط المتعة النامية في نفسه ومن فرط السعادة التي غمرت قلبه ، اراد الان ، في هذه اللحظة بالذات - دون ان يفقد اية دقيقة من وقته - ان يندمج بهذه الحياة ، ان يتوحد معها ... لقد أحس إحساساً حاداً بأن الاصوات المتبجسة المتدفقة من كل مكان قد غمرت جسمه المخلّج المبتهج كله ، فصار رخيماً مثل اغنية مجنحة جميلة الايقاع ...

شرح يهمهم ، يهتف مخرجاً بعض الاصوات ، ثم اذا به يغني فجأة بصوت اخرق متناقل :

أ ... أه ، استق ... بلت أم ... م وليد ... دها ... بدالسانه متناقلأ متعثراً ، كانت الكلمات تتشكل بعسر ، بدون انصياح ، فأدرك اوستين

---

٧ - نخير الخنوص : الخنوص : ولد الخنزير . والجمع خنايص ونخرينخر : اي مَد الصوت في خياشيمه .

ان عليه ان يتعلم النطق من جديد . وحين مر بمحاذاة دار والده ، مال نحو الباب الخشبية المألوفة .

كان الوالد العجوز يشغل بدون كلال في أحواض الخضار الصغيرة الخالية من الزرع ، جارفاً ومكوماً أوراق البطاطس . اقترب منه أوستين من الخلف ، احاطه بذراعيه ، وبعد ان دارا معاً بعض الوقت أجلسه فوق عرمة أوراق البطاطس .

إيه ، أوستين ، مابك ؟ هل فقدت عقلك بالمرة؟! خَلّ عني . سوف تأخذني الدوخة ... دع المزاح والرعونة للآخرين ، فهما لا يليقان بك . ان بليتنا فادحة ، - كان كوزما دانيلوفيتش يرسل صيحاته وهو يتملص ، متخلصاً من يدي ولده القويتين المرحتين . - ها ، قل لي كيف حال بافليك ، أفضل ؟

وقف أوستين قبالة والده وراح ينظر في وجهه بعينين تبدوان مشدوهتين تقريبا ، دون ان ينتبه الى يديه الملوحتين المستفصرتين عن أمرما . صارت الاشارات الان من الامور الفائضة . لقد سمع الصوت الحبيب ، صوت والده الخافت المصحوب ببجاح الشيوخوخة المتهدج ... إلا انه ، وهو في غمرة السعادة ، فكر فجأة بمرارة في تلك الاحاديث الصامتة الكثيرة التي كان والده ، شأنه الآن بالذات ، يلوح بها بيديه ويحركها بين شفثيه . «كان في كل مرة يثرثر معي وكأنه يحادث شخصاً مساوياً ، مثيلاً ، مع انه كان يعلم انني لا اسمعه . ان كثيراً من الكلمات التي وجهها الوالد إليّ كانت تطرقني - كما تطرق الجدار الحجري - لترتد دونما جواب ...» .

- طيب ، ما دمت مرحاً ومنتعشاً يعني أن الهم قد انفرج ... - نهض

كوزما دانيلوفيتش ، نفض عن نفسه شيئاً ما ، ثم راح يدنوم الممر الداخلي ، صارخاً في الباب المفتوحة : - أي فارقارا ، مدي السماء ، أوستين عندنا ! .. أجل ، يابني ... نسكن غير بعيدين عن بعضنا ولا نتزاور إلا لماما . لكن مهما يكن فعليك ان تأتي فيرى كل منا الآخر . إن ذلك سوف يخفف عني - أنا الرجل العجوز - كثيراً ... انني اعيش وحيدا ، ماذا أقول لك اكثر من هذا ؟! أما فارقارا فهي تعيش هنا لتتعهد الامور المنزلية . حسنا ، والان هيا بنا لتطعم من حسانتنا الكرنبى ... - لا ... أنا الى بيه ... حتنا أريد ، - قال أوستين ذلك متلجلجا ... ارتعش كوزما دانيلوفيتش وحملق باضطراب في وجه ولده .

- يا الهي ، أتراني أخطأت في السمع ؟ ... يشبه ان شخصا ما كان يتكلم الآن ..

- أنا - ... حكمت يا أبي ، - تحدث أوستين بصوت أعلى ثم تحرك يخطون نحو والده .

تراجع كوزما دانيلوفيتش الى الورا ، وهو يطرف بعينه مرتعباً ، ثم جلس كالمصعوق على الجرن القديم ، قرب السياج ذي الاغصان المجذولة .

- بُني ، ولكن كيف ؟ .. أحقا انك تسمعني ، ها ؟ أوستينوشكا ، ها اننا قد عشنا وسمعنا ! .. أه ، يا إلهي ! .. كلا ، لم تذهب صلواتي ودعواتي ادراج الرياح . ولكن هيا اجلس لنتحدث ، يابني ، تعال خبرني .. هيا ، عن كل شيء . كيف عاد اليك موتك ؟ - انتابت كوزما دانيلوفيتش ، من فرط التهيج والاضطراب : نوبة من النهجان وضيق النفس ، وتلبدت بالدموع عيناه الرماديتان الكابيتان .. هيا قل كلمة ما



أخرى ، يابني !.. لا تصمت ، كلمني ، تحدث معي ! .. لقد سمعتُ ،  
يحدث مثل هذا ، هيأينا نذهب الى داخل الدار ، ولكن لماذا جلست انا ؟  
مثل هذا الحدث يستحق الآن أن ...

قام كوزما دانيلوفيتش من فوق الجرن الخشبي ، الصق رأسه  
الاشيب الحاسر بصدر ابنه وتسمر ساكنا في مكانه .

مرحبا ، دانيليتش ! .. الجريدة وضعتها لك في مكانها ، - طرق  
السمع صوت فتاة ذومرح متكلف ، وعلى السياج كان يلوح للانظار ،  
بين حين وآخر ، منديل ساعية البريد تانكا فاسينينا ، عائماً بتموجات  
لونه الاحمر .

تطلع كوزما دانيلوفيتش باهتمام وتجهم الى ناحيتها :

- تحمل الاحزان والبلايا الى البيوت .. انني اخافها . صرت انفر من  
منظرها منذ ذلك اليوم الذي حملت فيه الينا نبأ استشهاد اندري . ما ان  
تظهر تانكا سائرة في مواجهتي حتى اذهب باحثاً عن ركن ما التجيء  
اليه .- تنحى عن اوستين جانبا وراح يتلفت ، متوجساً ، حول مختلف  
الجهات .- ألم تسترق السمع الينا ، يا اوستين ؟ هل كانت هنا عند  
الباب منذ زمن طويل ؟ - فجأة شعر العجوز بالقلق .

- لـ ... لا أدري ، - اجاب اوستين ، غير مدرك سبب هذا التحول  
الذي طرأ على والده .

اخذ كوزما دانيلوفيتش يتمشى في باحة المنزل ، متلفتاً وراءه وكأنه  
يحاول ان يجد مكاناً يختبئ فيه . وقف قليلاً يتفكر ، ثم دنا من صندوق  
البريد الذي كان معلقاً في الجهة الداخلية من البوابة ، انتشل منه  
الصحيفة وعاد ادراجه الى اوستين .

- لا أستطيع ان ارى الحروف بدون نظارات . وانت ، ألم تفقد القدرة على القراءة ؟ هاك اقرأ . كيف تسير الامور هناك ؟ .. - قدم كوزما دانيلوفيتش الجريدة الى ولده فقلبها هذا نحواً من دقيقتين في يديه ، ماراً عليها بعينه .

- يا ... يتأهبون لـ ... لفصل الشتاء .... - ردّ أوستين .

لا ، لا . ابحث لي عن اخبار الجبهة . ماذا هناك ؟

- ولكن ، لـ ... لاشيء . إليك ما كـ .. كتب ... «على جـ ... جبهات القتال لم تـ ... تتحدث تـ .. تغييرات مـ ... ملموسة ، تـ .. تتدور مـ ... معارك ذـ ... ذات أهمية مـ ... محلية» .

- اين الالمان الان ، واين جماعتنا ؟ - قاطع كوزما دانيلوفيتش ولده في لهفة ونفاذ صبر .

- لم يـ ... يكتبوا هنا عـ ... عن هذا .

- لكنني اعرف . بصري ضعيف ، غير انه يوجد - والحمد لله ! - في الدار راديو . فاسمع ما اريد أن اقوله لك ، يا بني ! .. لم يبق لقتالنا مع الالمان إلا القليل من الزمن ...

نظر كوزما دانيلوفيتش ، متلصصاً ، نظرة ارتياب الى باب الدار ، قبض على مرفق ولده وقاده الى الركن القصي من باحة المنزل حيث حفظت تحت السقيفة اكوام من الدم المجلف على شكل قوالب لغرض التدئة اثناء فصل الشتاء . جلسا صامتين فوق كتلة من مفروش خشبي .

« انني في غاية السعادة من أجلك ، يا بني ، لدرجة الارتعاش بكيانني كله . انك الان تبدو وكأنّ قد اتيت من جديد الى هذا الكون ، - واصل كوزما دانيلوفيتش كلامه بحرارة وتأثر . - أنت الآن ولدي الوحيد ،

أجل الوحيد الذي لدي في هذه الدنيا ... وانني لا أريد أن أفقدك ، لا أريدك أن تضع مني ، لن يبقى لي بعدئذ احد ... وفي الحرب لن يُدخر الناس ، انها تلتهم الجميع . انظر ، لقد اجترفت القرية اجترافاً ، شطفتها تماماً ؛ شبان كليوجوفكا جميعهم هناك . وقد بكينا الكثيرين منهم ، لحدناهم دون ان نراهم . وانني لن ادفع بك اليها ، لن اسمح لك بالرحيل ! لا اريد ... كفاها ، هذه الهوة الخرقاء ، هذا المزرد البشع النهم الذي لا يشبع ... أجل ، كفاها مصرع شقيقك ئندريوشا . انه راقد تحت التراب . وسترقد انت ايضاً ، يا بني اذارحلت . هيا بنا الآن نتناول لقمة من الطعام ما دامت الفرحة قائمة ... وستمسك عن الكلام الى حين . نعم . لا ينبغي لك الاعلان في الوقت الحاضر عن انك سليم معافى ، سيرحلونك فوراً الى هناك ، الى المكان الذي قدمت منه . لا مجال الآن للثرثرة والمناقشة والجدال ... يتفقدونك : ان وجودك سليماً فاقراً السلام ! .. لا ، لا اريد ! .. لن اسمح ! ..

نشج كوزما دانيلوفيتش ، وضع طية صدر سترته على عينيه المخللتين بالدموع . لكن اوستين لم يبد عليه انه قد فهم بعد مقصد والده تماماً . جلس متخسباً باهتاً ، محدقاً امامه في الفراغ ، في لا مكان .

- هكذا اذن ؟ .. جـ .. جنّت لكي أ ... أ .. أفركك ، ولكن .. قال اوستين ذلك متنهداً .

- أنت قدّمت يا بني ، عطاءك ، قاتلت بما فيه الكفاية . وأنا عدت من الحرب الاهلية مصاباً بجرحين . شقيقك اندري يرقد عظاماً في ضواحي موسكو . خلاص ! كفانا ، نحن آل ديدوشيف ! لقد وهبنا الحرب ما

علينا من ضريبة دم . دع الآخرين كذلك .. ما ان توقف كوزما  
دانييلوفيتش عن النسيج حتى بدأ فجأة يصرخ باكياً بكاء عنيفاً  
مريراً ..

- أنا ذ .. ذاهب الى البيت . أ .. أفرح فروسيا في الأقل ، - تكلم اوستين  
ثم نهض واقفاً .

- هل جننت ! شدّ كوزما دانييلوفيتش ، بغتة ، على سروال احدى  
ساقى ولده - أم عاد اليك الصمم ثانية ؟ ألا تسمعي ؟ «يفرح فروسيا»  
هي بحاجة اليك حياً ترزق ! ومن اجل هذا عليك ان تعض على لسانك .  
ارجوك ، التمس منك ، بحق المسيح ، يا اوستين ! ليس سوى البليد  
الاحمق من يشي بنفسه عن نفسه .

- يعني ان لا اخبرك .. حتى ز .. زوجتي !؟

- افش سر ك للدجاجة فتشره بكل لاجاة ! اليوم تعلم الاسرة دون  
غيرها ، وغداً القرية بأسرها .. أما أنت فما عليك الا أن تنتظر اقل من  
شهر .. انك الكن ، تعتاع ! أية جدوى تجنيه الجبهة منك وانت على هذه  
الحال !؟

- ع .. عبثاً .. تخوفك يا ابي . لن يد .. يحدث لي اي شيء ..

وثب كوزما دانييلوفيتش من جزلة الخشب ، وقف قبالة اوستين ،  
وضع يديه على كتفيه ، كأنما يهدئه ويثبطه :

- ان المزرعة التعاونية أحوج اليك الان ، ورشة الحدادة قائمة على  
عاتيق ، مصيرها كله متعلق بك . حارب هنا بالملاطيس والمطارق ..  
وأمسك لسانك الان مربوطاً بمقود !

- ف .. فروسيا .. ك .. كلمة واحدة اريد ان اقولها لها ، بدأ اوستين

يحتج .

- من صبر ظفر ! والرغبة دواؤها الأناة والجلد ! - بقساوة مصحوبة بتلك الصرامة الأبوية القديمة ، المألوفة من سالف العهد ، قاطع كوزما دانييلوفيتش كلام ولده - المهم هو القليل من الانتظار . اذا حكمنا الأمر ، ناقشناه ... فانك لست واحداً من أولئك الذين هربوا من الجندية ، لست فارعاً أبقاً او شخصاً عاصياً متمرداً .. لست من أولئك الذين يتسكعون متوارين في الغابات .. أو ممن يختبئون في الأقبية والعلّيات .. انك هنا في وسط الناس ، امام أنظارهم بهي عمك ، نفيسة صنعتك .. ان فاسينين - اسمع - لعظيم المسرة بك ، كثير الامتنان منك . فلتعش اذن . ولا تحرق بي هكذا . لا ابتغي لك سوى الخير !  
نعم !

أحببت كلمات الوالد الفرحة المتوقدة في قلب اوستين فراح يقاوم هذا التغير الفجائي المؤلم القاسي .. لم يتسن له ان يتفهم ، بل انه احس فقط - في استياء وحيرة - اتجاهها ما ، منقلباً غادراً في سير الامور وتطورها : لقد عجل في المجيء الى بيت الوالدين لكي يسعد أباه ، لكنه كدره واقلقه ، اشغل باله ليس إلا ، اراد أن يفرح اسرته ، غير ان مثل هذا العمل يبدو مستحيلأ تماماً ، بل وخطيراً ! فأية فرحة ، اية سعادة هذه اذن ، مادام محظوراً عليه ان يشاطر حتى اقرب المقربين اليه ؟  
- هـ ... هراء مات .. تقوله ، يا أبي . انالم اكن من الجبناء . هـ ..  
هناك . قـ .. قاتلت بشرف الوجدان ، بما يد .. يمليه عـ .. علي  
ضميري ، كـ .. كرمتم بنوطين .. والان كـ .. كأنما عـ .. علي ان اتكتم  
عـ .. عن أطفالي الاحياء ، ان العب لعبة الصمت .. مع الناس ، صـ ..

صحيح ؟ ان افرض عـ .. على نـ .. نفسي .. مثل هذه العبودية ؟  
لا ، ابدأ ! هـ .. هذا مالن استطيع فـ .. فعله .. مـ .. مطلقاً تكلم  
اوستين بتأثر وانزعاج ، بارتباك وتشوش ، بمشقة وجهه .. مشيحاً  
بوجهه قليلاً عن والده .

هو الان يشعر بالندم ان قد عرج في طريقه من الورشة على بيت  
والديه . فلو كان تجاوز هذا الحديث مع ابيه لتم ، على الأرجح ، كل ما  
هو أت بسهولة وبساطة ومسرة .. أما الان فان الفرحة قد امست  
مجعدة ، مدعوكة من اصلها تماماً .. تلبدت نفس اوستين بببلبة  
مضنية ، فالقى نظرة عتاب على والده الذي كان منكشأ ، منقبض  
النفس من كلمات ابنه الاخيرة . وشعر اوستين فجأة بالحزن والاسى على  
العجوز .

- لماذا تـ .. تنوح وتتحسر سلفاً ؟ تكلم اوستين بلهجة اكثر ليناً -  
لماذا يـ .. يجب ان ارحل الى الجبهة ؟ انا مـ .. مسرح من الخدمة .  
حملت هذه العبارات الى كوزما دانيلوفيتش بعض العزاء  
والسلوان ، بشرته بالامل : ليس اوستين على هذا المستوى من العقوق  
البليد بحيث يركل نصيحة والده ، ضارياً عنها عرضاً .

- ما الذي سأنالُه انا ؟ بقي لي من الحياة قدر ذراع . انني اكثرث من  
اجلك يابني ، من الافضل لك ان تصغي الي والافسوف يكون الوقت  
متأخراً جداً - اخذ العجوز يتكلم ، متضرعاً ومتوعداً في آن معاً وهو ينظر  
بيأس شجي في عيني ولده - ان عوقك هذا كان من الممكن ان يزول عنك لا  
في هذا اليوم ، بل لنقل في آن اخر . بالنسبة لك ولي ان صممك الابكم  
العين قد انتهى - والحمد لله ! - الان . اما بالنسبة للناس فدعه ينتهي

في وقت اخر ، أجل .. من سيعلم بهذا الامر سوانا ، نحن الاثنين . خذ  
بالك من نفسك يا اوستينوشكا . من اجلي ومن اجل طفليكَ . ثم ان  
فروسيا - كما تعلم - على وشك ان تضع مولودها الثالث فلننتظر اذن او  
ان يجيء طفلك الجديد . تطلع اليه !

وقف اوستين امام والده متجهماً عابساً ، في تلبدْ خامل ، ساعياً  
جهده لى ان يلم اطراف افكاره فيوطد عزمه على شيء ما . وهذا الامر  
كان يتطلب كما بداله ، ان يخلو الى نفسه . ان ينصرف بأسرع ما يمكن  
عن والده . اما كوزما دانيلوفيتش الذي حزر تماماً قصد ولده ، فانه  
شرع يبتسم له في حنان ولطف .. ثم مسكه من كفه :

- فلتمض يا اوستين . سنتناول الان حساء الكرنب الساخن قبل ان  
يلج كوزما دانيلوفيتش في داخل ممر الدار ، وضع اصبعه المعقوف قليلاً  
على شفثيه وهتف هامساً وفي مقلتيه بصييص ضياء متوسل توسلاً مؤناً  
لكنه محذر تحذيراً صارماً :

- لا تهلك نفسك يا بني !

أتما تناول طعام الغداء صامتين . اغترف اوستين بلا شهية من صحن حساء الكرنب الساخن ثم قام ، تاركاً المائدة مع سابق رغبته الحالكة في ان يذهب الى مكان ما ويخلو الى نفسه . كان يختلج في صدره نوع من الاحساس كما لو انهم يحشرونه في مبنى ارتفاعه اوطأ من قامته ، مما يستحيل عليه ان يستوي قائماً ؛ لان في ذلك خطراً جسيماً حدّ الهلاك . وكان من العسير عليه ان يدرك ، يقرباًن هذا الاكراه والقسر اللطيفين الرقيقين المفعمين بالدموع ، قد صدرا حقاً من والده الحبيب الذي يرجوله - لابنه - الخير والسلامة والهناء .. انه لطف ماكر مخادع كالفخ ، وهو ليس مقبولاً ولا صالحاً بالنسبة اليه ، على الرغم مما يبدو فيه من حجج متزعزعة بعيدة المرمى ..

بهذه الافكار والخواطر خرج اوستين الى الممر الداخلي للدار وتقاهاهم بالحركات الايمائية مغ فارقارا ، المرأة العانس الضخمة الجسم ، ذات الخمسين عاماً ، التي بقيت هكذا دون ان يرمي لها القدر بالقرين المبتغى . كان اوستين يخص عمته دائماً بمعاملة تتسم بالاحترام الشجي الاسي . وكان كلما التقاها شجعها قائلاً : « انك ، ياعمتي قار ، تزدادين كل يوم شباباً ! » وكانت العمّة تجيبه في كل مرة - على كلمات المجاملة والاطراء الثابتة هذه ، تجيبه بحزن ضحوك : « من أين ! ها



انذا اتفرق شبابيا !»

مدّ أوستين نظرة عطف ودية طويلة الى وجه فارقارا الاسمر الشائخ  
ذي الانتفاخات الشحمية ، الذي كان ، مع ذلك ، وجهاً لطيفاً وديعاً  
عزيزاً .. ثم ربت برفق على كتفها المستديرة . وكادت تغلص كالمعتاد من  
شفتيه تلك العبارة المشجعة المنشطة للعبوب ...

- نعم ، نعم ، أوستين . لقد عدت شابة أنا ، عدت شابة ، وما انذا  
ازداد ، اتفرق شباباً بالمرة ! قالت فارقارا وكأنها قرأت في عينيه افكاره  
فهدأت بكلماتها الخافتة هذه ما كان يعتمل في نفس أوستين من رغبة  
ملحة في ان يتكلم ، ان يفرح عمته بصوته الذي انبعث من جديد .  
وحين لاحظ كوزما دانيلوفيتش كيف وقف أوستين يتململ متردداً  
قرب فارقارا ، مسك به على عجل من كوعه ، قائلاً :

- انفكي عنه يا فارقارا ، لا تعيقه ! .. ان ورشته بقيت مفتوحة ..

وحين خرجا وراء الباب معاً ، قال له بصوت خافت :

- حسناً ، فلتذهب الان ، يا بني . ولا تنس ما اتفقنا عليه : الزم  
الصمت . وبعد ذلك سيأخذ كل شيء مجراه من تلقاء ذاته .. واذا  
اشتقت الى الحديث ، اذا رغبت في ان تلعب لسانك فتعال الى هنا . ان  
بيتنا - انظر - قلعة الابواب ودفات الشبابيك مضيبة كلها ، محكمة  
الغلق بالترابيس ، وان شئت فغن باعلى صوتك ، من يسمعك ؟ لكن  
فارقارا هذه احذرها ! فهي امرأة كتوم ، مكاره ، جسور .. ذات يوم  
من ايام الصيف الفائت توقفها هنا سائقون عسكريون . كانوا مارين  
عابرين .. فانهمكت ، منذ الوهلة الاولى ، مع واحد منهم ، اجعد  
الشعر .. وبعد هذا صار يتردد اليها ، من حين لآخر ، رجل يعمل في

الطاحونة . حسناً ، ما علينا . ان ذلك ، بطبيعة الحال ، امر دنيوي  
حياتي معتاد : فالبقرة الهلوك تحب الثور !.. الا انني لست في هذا  
الصدد .. هل تعلم ماذا تريد فارقارا هذه ؟ انها تتقرب اوان موتي لكي  
تستقر في الدار مالكة !.. بعد مصرع اندري بوقت قصير راحت  
تحدثني :

مادمت ، يعني ، في صحة وعافية فاكتب لي الدار باسمي لكي استطيع  
فيما اذا حدث شيء ، ان اسكن فيها بطريقة قانونية مشروعة وشريفة .  
يالها ، الى اين تسمى .؟! لم تشيد لم تنضح عرقاً ، تدرجت الى هنا  
صلوكة رثة عزباء ، لا تملك شروى نقير ، جاءت من بطاطس ارزاماس  
الى اراضينا الغنية بالقمح . ولم يكفها ! انها تعيش في ركن دانيء مريح  
بكل ما توافر فيه من زرع وضرع .. اجل لم يكفها والان ، اكتب لها ، هي  
الضخمة الكرش ، المنزل كله باسمها ، القصر هذا المشيد بأجود انواع  
الخشب ... لقد وضحت لها عندئذ كل شيء ففيه وئام كأخ لاخته . قلت  
لها ان لي ما عدا ولدي الشهيد اندري ، ثمة ابناً آخر غالياً حبيباً .. هو  
حي معافي ، لكنه الان في الجبهة . انه ولدنا اوستين كوزميتش . زفرت  
متبرمة ، ثم اذا بها تقول : آه ، انهم الان قليلون ، اولئك الذين يعودون  
احياء من هناك .. هذا صحيح ، انني متفق معك ، ولكن يجب - مع  
ذلك - ان ننتظر ، فعمل ولدنا اوستينوشكا يساعده الحظ .. واذا بك ،  
ابن الحلال انت ، سرعان ما اعلنت عن حضورك . ومنذ ذلك اليوم  
صارت فارقارا ، واقولها صريحة ، لاتهتم بأمور البيت الاماماً وبتوان ،  
اصبحت لا تساعدني الا مساعدة متراخية بالقياس الى ما كانت عليه  
سابقاً . ولم يعد يعجبها في البيت شيء . هل فهمت ؟ وحاول الان فقط ان

تفتح فمك ، ان تقوه بكلمة واحدة ستكون فارقارا اول من يبلغ عنك ،  
يشي بك . نحن وان كنا قريبين الى بعضنا ، ذوي رحم ، غير انه  
يستحسن... يفضل التنحي بعيداً عنها ، عن الخطيئة ! ولكن تعال  
افهمك كيف ينبغي لنا ان نتدبر .. نظر كوزما دانيلوفيتش متلفتاً حول  
نوافذ الدار ثم واصل كلامه بإنفعال واضطراب كمن يبيت امرأ اويتامر  
سراً نحن سنقلب كل شيء راساً على عقب . انقل عائلتك الي . ما الداعي  
لسكناكم في كوخ من اللين ، في حين اننا نملك دارسكن ممتازة ، واسعة  
خالية ! سنعيش معاً في الفة ووثام .. وسوف ابذل جهدي في ان لا اثقل  
عليكم . اما فارقارا فيما انها امرأة وحيدة ، فسوف نتنازل لها عن  
الكوخ . سيتسع لها المكان هناك . واذا لم يعجبها فلترحل عائدة الى  
ارزاماس !.. تعال يا اوستين ، دعنا نقرر هكذا ، ما قولك ها ؟ انا ساجد  
راحتي ومستقري وانت سيكون لك العيش ها هنا افضل واسهل ..  
سحبنا جنباً الى جنب ، يدفع كل منا عن الآخر ..

في الظل ، عند البوابة ، من الجهة المحاذية لشجيرات عباد  
الشمس ، كان الجومعتدلاً منعشاً ، مفعماً بالنسيم العليل ..  
- عد الى الداخل ، يا انتي ، قد ... قبل ان يزكحك ت ... تيار الهواء ،  
تكلم اوستين باعياء .

- دعك مني ! لا تشغل نفسك بأمرى ! ولكن اسمع ما يقال لك !  
وارتقع مرة اخرى صوت كوزما دانيلوفيتش بصرامته الابوية المعهودة  
سالفاً . الا انه وقد لاحظ سيماء النفور والارتباك على وجه ولده .  
المشغول البال ، سألته بلباقة يصحبها امل وجل هيباب في اطاعة الابن  
اباه ، سألته :

عندنا الى امين انت ذاهب الان ، الى البيت في حياض وبقايا ، سلمه بيده  
 مسكت اوستين بعض الوقت ، فلما كسأ رأسته غملاً وحزناً كم كيان  
 يشتهي ، لا يتحرق شوقاً لان ينضع الان الى البيت الى زوجته وولديه  
 الصغيرين ما كان اسعد كويحة القزوي العتيق وهو يقيق جدراناً مبهتجاً  
 على زنين أصوته المناطق ! قبيل سابعة واحدة فقط كان يسيراً يعيد  
 تقويلاً بقلب يكاد يتجمد فرحاً بمن ورشة الحديد الى بيوت القرية الى  
 امرته الى الناس حياضاً معه اليهم اعجوبة وآية اعجوبة افلانة  
 يقمنية تتغنون تولان عند بولية دار اللؤلؤيين المراءى في حياض  
 الى اللؤلؤية نساء ذاهب الان ، اكمل طاً بطرق استبان المنسلقات متقال  
 ذلك في مشفقاً على والدمحيم اضاف ، ملتئماً من ضعيف الناتي ، يقول :  
 حصناً ، لان ان سيطرة قد تقا لتعديت قلاباً الى داعي اللهايا الى  
 البيت سناء ذهب في المساء ، ويحيا طاً زعيم سماع من قسود رحمان  
 - نعم ، نعم ، عليك الان ان تذهب الى القوشة ، اطرق ووفكر اجيد في كل  
 شيء ، لا تحرق نفسك غملاً ، يا بني ما فرؤسيا بنوف يتسنى اللبان كفرحها  
 في اياما وقت تيشة ، فيها اكثر حاجة اليك وانك حي ترزق ، تحدث كورنا  
 دافيلو فيتبل راضياً مريضاً ، سقاء ، رتال ، راضاً على بعد  
 استدار اوستين ، دون ان يتم الاستماع الى حديث والدته جتى

نهايته ، ثم راح يخطو مبتعداً عن ذلك المكان

في حياض راضياً مريضاً ، سقاء ، رتال ، راضاً على بعد  
 استدار اوستين ، دون ان يتم الاستماع الى حديث والدته جتى  
 نهايته ، ثم راح يخطو مبتعداً عن ذلك المكان

... فاستعملت في ذلك الحين ... كاستخدمه في ذلك الحين ...  
 ... في الجبهة، كانت له لحظاته ولحقاته ، يغمز قلبه قرح صبياني لعوب  
 حينما يفلح في الخروج سائلاً غافماً غيب معركة عنيفة شديدة الوطأة  
 للغاية . كان عندها يبتهج ، يعجب ذهنياً ، في خياله ، كيف أنه استطاع  
 ان يحارب هكذا باقدام واقحام ، بتطولة وبسالة ، بنجاح وتوفيق ..  
 وأنه لم يبق الا ان يواجه العدو بعدد من امثال هذه المعارك الطاحنة  
 المدمرة ليصل الامر الى نهايته . فتضع الحرب اوزارها ويحل يوم  
 النصر ، يعني ليسمح حينئذ لجميع الجنود بالعودة الى بيوتهم  
 واهليهم .. هكذا كان يمني نفسه في ذلك الحين ...  
 اما الان ، وقد مضت عدة اشهر على وجوده في مأواه ، فهو مكب  
 ايضاً على العمل ، في المزرعة التعاونية ، بجهد واداب عند الاستهلاك  
 وبمقاييس زمن الحرب . غير ان تفكيره في الحرب عرضي ، جانبي نوعاً  
 ما ، خال من تلك الاحاسيس والافكار التي كانت تملأ عليه يوماً حياته  
 في خندق القتال . الان ملك يديه كل ما كان يمكن ان يحمله له النصر في  
 افضل الاحوال . عاد الى بيته ، يشغل بجزبي طفليه بجواره زوجة  
 طيبة لطيفة .. ان الحرب بالنسبة اليه كانت مهماً قلنا . منتهية ..  
 لقد انهاها معوقاً . وهذا الخرس الايمن ، الذي قطع قوسراً اصلته  
 الاعتيادية بالناس وعلاقته الطبيعية بالعالم ، اعطاه حقاً محرناً

متكدرأ لعلاقة ما خاصة ، متوازنة - حد المكابدة والمعاناة - بكل ما يكتنفه ويتصل به . حتى الانباء الواردة من الجبهة كان يستقبلها كما الاطفال والشيوخ الواهنين العاجزين ، يتلقاها بالامل الحتمي في العاقبة الموفقة السعيدة لخطر الحرب واهوالها . اي انه اذا حدثت اية تعقيدات او مضاعفات فليس عليه هو واجب انقاذ الاخرين ، بل ان على الاخرين ان يبادروا ساعين الى انقاذه هو بالذات ، كانسان منكوب ، محروم منبوذ عن كثير من مباحج الدنيا ، وغير اهل لان يدافع في الوقت الزامن عن نفسه .

بيد انه قد اكتشف الان لاسيما بعد حديثه مع والده - انتماؤه المشروع الى الحرب ، انحيازه كجندي الى المساهمة العسكرية في مثل هذه القضية المقلقة العصبية والمهمة الخطيرة العنيفة التي كان منشغلاً بها ، في مكان ما ناء بعيد ، جميع الشبان الراشدين الاقوياء والرجال الاصحاء الاشداء من سكان قرية كليوجوفا . لا ، انه لم يخش العودة الى ميدان المعركة . فهو حين استجاب لداعي التعبئة منذ الوهلة الاولى لاعلان نفير الحرب ، لم تخطر بباله عندئذ اية فكرة ، لم يتبادر الى ذهنه ابداً ان الحرب يمكن ان تضربه ، ان تقنيه ، هو ابن الثلاثين عاماً . هكذا في عنفوان ازدهار سني الرجولة ! لاسيكون ذلك سوء تدبير لمصير قاس عسوف ، لا يدرك كنهه . لا ، انه يجب ان يكون مصوناً بخالص ما في حوزتها من حرص ربوي !... كان يؤمن ويثق بانصافها وعطفها اللذين يكادان يكونان خارقين للعادة في تعاملهما معه شخصياً هو الانسان الوديع البسيط ، المولع بالعديد من الحرف والاعمال ، الذي عاش ويعيش على هذه الارض دون ان يضمرا لاحد شراً او ضغينة ..

وبقي مؤمناً بذلك حتى باغته ذلك الانفجار المهلك الرهيب الذي تركه  
اصم ابكم . غير ان ما يربعه - حتى في الوقت الراهن ايضاً - هو ليس  
الحرب ذاتها بما فيها من معارك وحملات عسكرية ، بل الحرب  
بضراوتها الطائشة العمياء ، ببلادتها الوحشية الشعواء : كل جندي ،  
في ايما لحظة ، يمكن ان يكون ممحياً من الوجود غدرأً وبلا سبب ،  
ومدعوأً كغالية<sup>(٨)</sup>

« ان المزرعة التعاونية احوج اليك الان ، ورشة الحدادة قائمة على  
عاتقك ، مصيرها كله متعلق بك » تذكر اوستين كلمات والده ، وكان من  
المستحيل الان عدم التسليم بها . أجل ان پانكرات سيميونوفيتش  
امسى ضعيفاً واهناً للغاية . ليست الشيوخوخة مسرّة .. ثم أتراها كافية  
هذه المؤمن والجرائيات التي تقدم الى القين في ايامنا هذه ؟ وأطفىء  
الكور الآن يا اوستين فتعيش متسولة مستعطفية - بدون قينها -  
كليوچوفكا ، ويبد ممدودة الى الجيران سيرحل مدير مزرعتها  
التعاونية ! . ليس ثمة من بدائل اخرى ، بطبيعة الحال . من الممكن ان  
يرسلوا الى پانكرات سيميونوفيتش امرأة ما او غلاماً ما ، كطراقة او  
طراق ، لكن هذا معناه ان ورشة الحدادة كلها ستقع على عاتقي العجوز  
العليل . اما هو ، اوستين ، فيطرق بالملطاس من الفجر الى الفجر دون  
ان يبلى ريقاً او يسحب نفساً ! انه مستعد لان يستهلك ذاته ، كيانه  
جميعه حتى نهاية الحرب ، لصالح القضية ثم ان الناس ليسوا كلهم  
الان في جبهات القتال ، ثمة من يملك امتيازات معينة او حقوقاً  
مضمونة ، وثمة من هم في مؤخرة الجبهة ، قرب اماكن اعمالهم ، ممن

---

٨ - الغالية : حشرة صغيرة كالخنفساء .

هم أكثر خطراً وأشدّ وقعاً على العدو. وهل تراه ستتركب مخالفة كبيرة  
 إذ ما تدبر بنفسه دون ملائمة أو مباشرة أو منفعة ذاتية إذا وضع نفسه  
 في موضع تجري منه للناس فائدة عظيمة ويصناف إلى ذلك أنه ليس  
 فإراً من الجيش، ليس بهارب من الخدمة العسكرية، ولا حاجة به إلى  
 أن يتقارن أبداً عن أعين الناس، أما الأعمال فما أوفرها بهذه الأفكار  
 والخواطر المضطربة دخل أوستين ورشة الحدادة، دقغ إلى القرن  
 بعض الفحم، حرك الكبر بحذوية، تأقماً الجمر حتى الأشتعال، وبعد  
 انقطار قصير نثر في الوطيس النافث لهناً عدداً من القصبان الحديدية  
 المعدة، وحين بدأ لونها يتورد وراح يملغ منها أسناناً للمسالف، أخذ  
 يتفناقط، بفعل الضربات من المعدن المطروق بحيث رمادي اللون،  
 وأفضت متظاهرة شرارات ناعمة جداً، ظل أوستين يهوي ويهوي  
 بمطوقته نحواً من ساعة ونصف الساعة، دونما توقف أو راحة، كان  
 العرق يقطر من أرنجة انفه، وأزاح ملغ كما ويترو مشرباً إلى عقيقته  
 أخيراً توقف عن الطروق ثم خطا، وهو يتهاوى مترشماً نحو المنضبطة  
 وذلك يده في جيب سرواله مستلداً منه الماخوركا، ثم انقلب إلى  
 الأذن، تكلم بصوت أحش مبجوح بعض الشيء، أصبح بنوع من  
 الاستد علم والتجدي كأنه يسأل شخصاً ما عن نفسه ثم أجاب هو نفسه  
 متأملاً مع بعض الاقتناع والارتياح: «أستطيع، فحسبي في الجبهة لا  
 نتفق لكل واحد إن ينضع عرقاً هكذا، إن التقا تسلمت به في  
 بعد أن اشعل لفافة التبغ، خراج من الورشة إلى مهبط النسيم،



جلس فوق قرمة مربط الخيل ، وإذا بوجهه يتحول تلقائياً نحو بيوت القرية ، وزاحم مقلداً تجعتان فحسرتا قوراً أصلياً دائرياً والدهم فكانت الدار هذه هي البثروة الرئيسية التي، وقرها كوزماناً انيلوقيتش على المنحدر الطويل ليسني بحجر الفلاحي، راقه شيدت من خشب المصنوبر الذي أتبع في إشكيريا، لا ويتوقف بالصقح الخديث المنحني كلفه ثقله غالياً بعض النظر عن لوان الفصول عليه قهرتم بوسيلة من البلور عة المتعاقبية ما وقد ساعد الشقيقان اندري وبلوبيتين والدهما في التجارة ، على الرغم من أنهم لم يملكنا من لسان قديركا خلفاً للدافع الذي تحدا به إلى تشييد مثل هذا الدار الصعكنية قنينة ومساكن الخشب ، فحسبوا قواماً رضوا

سواء ربحوا أو خسروا ، في يوم حفلة التبرك بالسكن الجديد ، راح كورما دانيلوقيتش وهو يضرب الأرضية الخشبية الخذية الطلاء بدميه ويشكن الجميع على مساعتهم ، راح يتحدث ويتحدث حتى صان وأصحا للحاضرين جميعاً أنه لم تكن له أية نوايا مستغفة في أن تكون الدار له وحده ، عاش دائماً مع أمينة بسيطة هي أن تبرك بعده هذا البيت كمبرر وأقر من بعده ، فعلى الرغم من أنه كان يملك يدين عاملتين خادمتين ، لكنه ظل طوال حياته تقريباً يسكن في ابنته خشبية مكنطة وبيتوت طينية مختلفة ولم يكن ذلك بسبب من كسل أو اهمال ، بل لأن الفاقة والضيك كانا

يجتمان كالنير على عنقه . ولكن ما ان تنفست المزرعة التعاونية الصعفاء ، بمجرد أن توافرت الغلال والأموال حتى بدأ ، هو كورما دانيلوقيتش ، يعلن ، رغم كبر سنه ، عن موهلات مفتحة متجلية في

10 - القرمة : الجذع المهذب من الشجرة التي يصل إلى عشرة أمتار ويتجعد ويتواءم ويتواءم

فبيديه الاثنتين ، وعلى مرأى من القرية كلها ، اقام هيكل بناء على درجة من المتانة بحيث يمكن للناس ان يعيشوا فيه مئة عام او تزيد ! من يقطنه ؟ الجميع طبعاً : الابناء والاحفاد . غير ان الدار لم يقطنها على مدى خمس سنوات ، اي قبل بدء الحرب تماماً سوى كوزما دانيلوفيتش مع زوجة العجوز لوجدهما . ولم يكن فيها رب بيت بالمعنى ، بل حارساً اجيراً وشغياً لا يقر له قرار ولا يهدأ بال ، شغله الشاغل ان يكشط ويثبت في هذا المكان من المسكن ، وان يزخرف ويزين في ذاك المكان منه . بل انه نادراً ما كان يدخل الغرفة الرئيسية للدار ؛ عاش في غرفة المدخل الدافئة الفسيحة ، حيث كان يقاسم قرينته العجوز المأكل والمأوى .. وكان الولدان الشقيقتان يزوران والديهما بين حين واخر يمتعان النظر ، بدون تحفظ ، بالدار التي كان لهما قسط من الجهد في تشييدها . الا انهما لم يبديا للوالد يوماً اية ادعاءات حتى وهما في نشوة السكر : أولاً ، ان كلاً منهما كان يعيش في غنى او في عوز - في بيته القروي الخاص به ؛ وثانياً ، ان الوالدين لم يساورهما شك في ان الدار ستؤول ، عاجلاً ام اجلاً ، اليهما تلقائياً .. وهل ثمة من احد سواهما ؟ ولو خطر للوالد حينئذ ان يدعوهما اليه للعيش معاً في داره لما سعيا راكضين اليه حالاً ؛ لان الحرية والاستقلال عندهما الذ واحل من كل شيء .

لقد غيرت الحرب اشياء كثيرة في حياة كوزما دانيلوفيتش ، خطفت منه ابنة البكر الذي أتى مصرعه على البقية الباقية من حياة زوجته العجوز الغليظة . وبعد ان وارى قرينته التراب ، هرم في الحال وصار يتبرم ببيته الجديد وبمزرعته وبالحياة نفسها .

نظر اوستين الى دار والديه الحسنة وراح يفكر فيها وفي نفسه ، لا من وجهة نظره هو ، بل بافكار ابيه . كانت الافكار هذه اكثر ملاءمة من افكاره الخاصة . وقد تذكر ، مع توجس والده وارتياحه ، العمة فارقارا على الرغم من انها لم تظهر تجاهه اي مقصد سوء على الاطلاق . لكنها الان تهدده ، تنذره بالخطر من غير قصد ، وذلك بمنافستها اياه على البقاء في المسكن ، وبكونها تملك فرصة أوفر لكسب القضية والاستقرار في الدار كمالكة ، فيما اذا عاد اوستين الى الجبهة ثانية .

«لم تشيد ، لم تنضح عرقاً ، تدحرجت الى هنا صعلوكة رثة ..» - تذكر اوستين كلمات والده ، وبدت له منصفة تماماً . «ولكن ، كم نضح الوالد عرقاً ، والفقيد اندري ، وأنا !...» - وكانت هذه اول مرة ينظر فيها اوستين الى دار والده نظرة محذقة مدققة ، غير مألوفة الى حد ما ، كما لو انه كان يهدف مصوباً نحوها ! ...

كانت حبيبتي في كهفٍ هائلٍ من الحجر والطين والرمال والبرص والدموع  
 في ذلك اليوم كنتُ في كهفٍ هائلٍ من الحجر والطين والرمال والبرص والدموع  
 أن نرى له قميصاً ، حريميتان بيضاء عاليتان ، ١١ -  
 لوتشيد ، في كهفٍ هائلٍ من الحجر والطين والرمال والبرص والدموع

لم يلاحظ كيف جاءت إلى الورشة نيورا كوريوشينا ، جارتهم الأرملة ،  
 جارية ثبوت الدلاء لاصلاخه ، فقد اتحك كلابته الايسر وانفصل سناقطاً .  
 - هيا ، اوستين ! اغثني ! فمّن دون الثبوت والبعل اشعر وكانني  
 بدون يديين ! ضاقت به ملوحة يديها ، وهي تضحك بصوت عال جداً ،  
 كما لو كان ذلك غير جدول ماء عذب ما تنسج . سناط تاملت ريشها باليد  
 وتأكد لأوستين في اكثر من مرة خلال هذا اليوم ان الناس حين كانوا  
 يلتفتون به لم يتعاملوا معه بالاشارات والايماءات فضطبت ، بطل  
 وبالكلمات ايضاً ، على الرغم من علمهم انه لا يسمع . لكنهم كانوا  
 وكانهم لم يصدقوا ذلك ، يصرخون به عالياً هكذا ، . على امل ان يخترقوا  
 صممه اللعين ، ان ينتهروه بهتافهم المستمر ، لكي يجلبوا اهتمام  
 صاحبه وانتباهه اليهم .. ما اكثر الكلمات التي لم تطرق سمعه ، لم  
 تحزنه ، لم تفرحه !

انتقى اوستين قطعة من الحديد سمكها بسمك الخنصر ، دسها في  
 لهيب النار ، والى حين ان تحمى ، تناول اللطاس وشرع يقوم سكة  
 محراث معوجة .

- رويدك ! كفاك طرماً شديداً !.. اذا كانت اذنك قد تقحفتا فاشفق على  
 اذني ! تقدمت نيوركا نحوه ، تشبثت بجرأة - الى حد ما - بيده ثم  
 نظرت في عينيه ، وعلى شفقتها ابتسامة عتاب : وتسمى نفسك جاراً لي ،

يا رجل! لو خرجت مرة على جارتك، زرتها، زيارة خاطئة في الأقل، اعتنتها  
 بعض العيون!... ان عارضة سقف حمامي بعدات جميل وتحتكي  
 سكتها، وانت لا تسمع لي بالاستحمام في حمامك... اه، اوستين ليتني  
 استطيع ان استعيرك ليلة واحدة في الأقل، من قروشيا اللذات اذن  
 في احضانها اوستينوشكا، بشكل... ايه، مالك تحديق بي هكذا؟ لا  
 تسمعني؟ حسن اذن انك لا تسمع والا كنت نظرت بطريقة اخرى،  
 ربما... ولكن، من اين جاعك هذا الدم الذي فوق عنقك، هناك خلف  
 اذتك؟ هل خدشتها بقطعة حديد؟ هيا اجلس على المصطبة لكي  
 اضمدك بمندبلي...  
 اخرجت نيوركا مندبليها، رطبتها بلعابها وراحت تمرره برفق على رقبة  
 اوستين. وقفت بين ركبتيه، ضاعطة عليهما ضغطاً خفيفاً لطيفاً  
 يستعانتني<sup>(١٦)</sup> ساقها اللذتين اللذتين...  
 تحير اوستين وتهيب وهو يحس بهذا المس الناعم. لم يسبق له ان  
 لمس شيوركا هكذا عن كتب كما الان. كان يراها كل يوم، يلتقيها -  
 كجارة - بعض الوقت. وقد الف، كما يبدو، عينها الرقاوين، الا انه  
 كان في اغلب الاحيان يرسل الى قوامها الفتان نظرات تحمل نوعاً من  
 الاعجاب المبهم الحائر الذي يشوبه شعور بالذنب... كانت تفصل بين  
 منزليهما بثرذات شادوف. وسواء كان الطقس مشمساً ام ممطراً ام اذا  
 ربح شمالية قارضة البرد، كانت نيوركا تجري نحو البئر، حاسرة  
 الرأس، لا ترتدي غير ثوب بسيط خفيف، تملأ الدلوين ماء وتدلف عبر  
 الممر الضيق، تتلوى لدنة مرية تحت الثبوت وكانت ترقص، متمائلة في

١١ - سمانه الساق: بطتها او ربلتها (باطن الفخذ).

مشيتها . تراها هكذا بكامل هيئتها : حسنة القوام ، خفيفة الحركة ،  
مستديرة ملفوفة ، بيضاء كراس فجل منظف مغسول !  
احتضنت نيوركا ، خفرة هياية ، رأسه بلطف .. ارتد اوستين  
ارتداداً خفيفاً ضعيفاً ، كأن قد لفحته لمسة صدر نيوركا الذي كان  
يتنفس تنفساً مضطرباً متقطعاً .

- في احلامي اراك ، اقبلك يا اوستينوشكا ، وانت تلاطفني بعذوبة  
وحلاوة .. أه ، ما الذها من ملاطفة ! ليتني اظل هكذا دون ان افيق من  
نومي !.. اصحوفينتهي الحب .. اضطجع مرمضة متوترة ، ملتبهة  
المشاعروسطوسائد عالية محشوة بالزغب . ولكن ، لماذا ؟ .. ما حاجتي  
الى الفراش الناعم الوثير ان لم يكن ثمة من رجل يشاركني الرقاد فيه ؟!  
كانت نيوركا تتحدث بهمس دافئ كأنها تكلم نفسها - ها انني الارملة  
بنت السادسة والعشرين ، ماثلة امامك بكل كياني الانثوي .. زوجي  
فاسيا راقد منذ ثلاث سنوات تحت التراب ، حفظه الله في ملكوته  
وادخله فسيح جناته ! لم يكن قولها - لطيفاً جداً معي ولكنه على كل  
حال ، يُعيلي . زارني ، تراءى لي في المنام مرتين : عابس الوجه ،  
مستغرقاً في التفكير . اما الان ، فانني لم اعد اراه في احلامي .. ايه ،  
لماذا تنظر الي بلامبالاة ، يا اوستين . شخت انا ، حقاً .. ولكن ما باليد  
حيلة ، فالحزن لا يمنح المرء الشباب - ان الصدا يأكل الحديد ، اما  
الحزن فيأكل القلب .. لا ترمقني بنظراتك هكذا ، فأنا يا اوستينوشكا ،  
اشعر بالخلج .. أه عيناى تخجلان، اما قلبي فما ابهجه !

في الواقع انه كان من المحرج جداً لاوستين ، بل ومن غير اللائق به ان  
يجلس معانقاً نيوركا في السديم المعتم للورشة المفتوحة المكشوفة تماماً .

لكن الانكى والاشد ايلاماً من كل ذلك هو شعوره بالرياء الاضطرابي في سلوكه الشخصي : كشفت نيوركا عن دخيلتها كلها امامه ، واثقة بأنه لا يسمعها . اما هو فقد جلس يصغي ملء اذنيه ونيورا امامه كالعارية تماماً .. لقد رآها ذات مرة - صدفةً مجردة من ملابسها كان واقفاً خلف الاحراش ، وكانت هي تستحم في البحيرة ولم تنتبه اليه . وهو الان يبدو وكأنه يختلس النظر ويسترق السمع اليها رغم ارادته وبلا وعي منه ! فأحس من ذلك بانحراف في صحته . كما انه شعر بالاسف على نيوركا . لكنه عثر على يديها فكهما عنه وتخلص منهما ثم قام فجأة ، وهو يحس الروائح المنعشة الجذابة المنبعثة من شعرها ويديها ، قام من المصطبة وخطا نحو الفرن .

توهجت حتى درجة الحرارة البيضاء ، تلك القطعة المعدنية المستقرة في لهيب الجمر . التقطها اوستين بالمقاط ووضعتها فوق السندان .

حين صار الثبوت جاهزاً اخذته نيوركا ، ثم سارت وهي تشكر اوستين بعينيها ، سارت صامته متناقلة نحو المنفذ . وبالقرب من الباب التفتت اليه ، انحنت انحناءة خفيفة وقالت :

- سامحني يا اوستين ، لقد ثرثرت كثيراً ... لكنني الهبت النار في قلبي وحسب . فلا تسخط علي : دجاجة جائعة برأت في منامها دخناً ! ولكن ماذا ينتظر مثيلاتنا الان ، ها ؟

فاهت نيوركا بكل هذا بدون اية اشارات او ايماءات تواكب كلامها ، كما لو انها كانت تعرف ان اوستين يسمعها . وقد اثار ذلك انتباهه وحذره .. وانتقل الى كيانه الداخلي ، كما التيار الهوائي البارد ، سيل

من الخوف والشك . . . واذابه يتصرف ، اول مرة في حياته تصرفاً مخالفاً طبيعته الحقيقية الواضحة الواثقة بالناس ، فينظر فجأة الى نيويورك الطبية البسيطة نظرة ارتياح مصحوبة بالانزعاج وبرغبة ما شهيدة في الخلاص منها بانعادها سريعاً عن نفسه . . . ودون ان ينظر (وكم كان يشتهي!) في وجهها المترقب المشوب بممتحة رقيقة من الحزن ، بدأ يهر ، على غير انتظار ، يديه نحوها بفضاظة تصدبها ضعيفة مبهمته سخيفة مما يحدث لدى الضم المتخدمين غيظاً. وكانت حركات يديه تصرخ قائلة : «هيا انقلعي ، غوري من هنا ! بعداً لك!» . . . نظرت نيويورك الى مرتبكة ، اتحسر الاحمرار من وجفنتها تجمعت متكه شة على نفسها وكأنها مسمرة من اسفل ، ثم راخت تحت الخطى ، معلونة الى خارج العتبة .

نظر اوستين الى ظهرها المشحني المتنائي ، جلس في تناقل على المصطبة ، مستغرياً بأسى من احساسه الحاقد هذا تجاه نيويورك المسكينة البريئة . ومن ذلك التحول الغامض الذي طرأ على ذاته ، في الانتقال نحو ما هو سييء ايضا لم يسبق له مثيل . . .



في الاماسي كان اوستين يعود الى البيت منهوكاً متعباً حدّ الاغماء  
 تقريباً ، وجهه قد تضمّر ، ذبل تماماً ، اغبرّ فيدا وكأنه مغشى يلون زيد  
 الحديد الرمادي الهامد ، «لكن قل لي ، برينك ، من ذا يدمر نفسه  
 هكذا ؟» - «من غير ان يفسد نفسه» - «تفعلها» - «وما  
 عبرت فزوسيا عن تدمرها ، بدافع الشفقة والحرص على زوجها ، اما  
 اوستين نفسه فلم يكن يتضابق ابداً من وضعه هذا : لقد امتصه العمل  
 كلية ، ولم يترك له الا القليل من الوقت للتأملات ، التي تخدش النفس  
 وتقشط القلب ، في ما يتجمل بحياته القائمة الان - بسوجه عام - على  
 الجهد المضني المتواصل داخل ورشة الحدادة ، وعلى الرقاد القصير  
 الشبيه بلحظة التدخين الغائبة عن الذاكرة ، وكان الاعياء الجسدي  
 بالنسبة لاوستين اخف من نوبات الارق التي كانت تنقابه في ليالي السهاد  
 الطويلة ، وكلما زاد افراطاً في انهاك نفسه بالعمل احس يراحة اعظم  
 وانفراج ارحب في داخله ، ويرغبة اشد في الاستئناس بأولئك الذين  
 كانوا يترددون على الورشة .  
 كان الناس ينقلون اليه نفس الانباء المألوفة ، بالكلمات والإشارات  
 في ان واحد : الاشارات له ، والكلمات لانفسهم ؛ كأنهم لم يكونوا  
 يرغبون تماماً في ان يقايضوا نفس هذه الاشارات الغريبة وغير المألوفة  
 في العلاقات الطبيعية ، بتلك الالفاظ البسيطة والمريحة التي لغوها ، لم

يكونوا يسمحون لانفسهم بالهبوط الى مستواه هو «الشخص الاطرش»  
المنيع الحريز على الاصوات . وكان اوستين - وهو يدرك ذلك - يحس  
احساساً اشد توتراً واعمق عذاباً باستحالة التعويض عن النطق الذي  
هو اروع معجزة واغرب اعجوبة في الانسان . أخذ، وهو ينافع باستمرار  
ضد عدوه الداخلي الذي لا يلين ، الا وهو الرغبة في الحديث ، أخذ يطبع  
نفسه على العيش صامتاً بالمرة . غير ان هذه الرغبة كانت ، في بعض  
الاحيان على درجة من القوة واللاكيح تجعله يبرح الى مكان ما بعيد في  
اعماق الغابة فيتحدث - متلجلاً تلجلاً شنيعاً - بصوت عال ، مع  
نفسه او مع الحصان ، ويرفع عقيرته منشداً اغانيه المفضلة التي كانت  
شائعة قبل الحرب .

وكان يجد الطمأنينة والتمسك في علاقته الصامتة بالجد بانكرات .  
صحيح ان بانكرات كان ينطلق احياناً في احاديثه ، الا انه لم يكن  
يتحدث ، على ما يبدو ، معه ، هو اوستين ، بل مع السندان ، مع قطع  
الحديد ، مع جميع ادوات الحدادة الصامتة الصماء ، وان كان  
يفترض عن قناعة غريبة انه اذا كان اوستين قربه ، جبيناً لجبين ، يعمل  
يتأوه ، يعطس ، يبتسم .. فهذا يعني انه يجب ان يدرك احاديثه بكيانه  
الحي كله ، لا سيما وان كلمات بانكرات كانت مسرة مبهجة دائماً ،  
سواء بالنسبة اليه هو ذاته او بالنسبة لاوستين :

- لا بأس ، اوستين . المهم هو ان لا نستسلم ، ان لا نُضرب من  
تحت . يضعف الانسان وعندئذ هو ارق من الماء ، يتقوى فاذا به اصلد  
من الصخر اي نعم . ليس ثمة من شيء في الدنيا يوجد بهيئة جاهزة ، بما  
في ذلك المعدن القلز ، لناخذ الفولاذ مثلاً .. فهو ليس سوى حديد

صلب ، مقسى : لقد مرّ بالتقسية واجتاز السقي وحصل على بعض الاضافات من خلائط معدنية اخرى مكملة .. وكذلك الناس . فنحن نبدو كلنا من عجينة واحدة ، من الطينة ذاتها ، لكننا لسنا جميعاً متساوين في المتانة والمناعة والرسوخ : لكل صلابته ، سقيه الخاص ...

ياشر القينان في هذا اليوم عملية اللحام ، لقد وطدا عزمهما على ان يدخلوا في حيز العمل جميع القراضة من قطع الحديد العتيقة المستعملة التي حصل مدير المزرعة التعاونية عليها في المحطة . كان بانكرات ، منذ اول الصباح ، صارماً صامتاً ، ينبش باهتمام في ركام قطع الحديد التي جلبت الى الورشة ، باحثاً عن الخامات الصالحة للحام . بعد ذلك طلب من اوستين ان يحجز من الداخل نافذة الورشة بلوح من الخشب الرقائقي للحيلولة دون نفاذ النور . وفي الظلام بدأ يحدد ، بحك المعادن على الشرر ، نوع المعدن المفحوص وعلامته . فعل ذلك ببساطة: كان يأخذ السبيكة المعدنية ، يدنيها من عجلة صنفرة في حالة دوران . فكانت تضرب ارضية الورشة - في تلك اللحظة ذاتها - حزمة صغيرة من الشرر الساطع كالنجوم . ووفقاً لالوان المعادن اطوالها واشكالها ، كان بانكرات يعرف الكثير عن عوائد وخواص هذا المعدن اوداك .

- سليكونية .. لا بأس بها للزبركات والنوابض . الصلابة ضئيلة ، لكن ما العمل ؟ نحى بانكرات وكان قد طمأن نفسه بصوته المسموع جهاراً ، نحى جانباً قطعة الحديد المفحوصة التي قطع الصنفر قبل قليل عنها خزيماات الشرر الساطعة الاصفرار . كانت الشرارات تظهر بالوان مختلفة : تارة حمراء غامقة ، واخرى بنفسجية ، وثالثة بيضاء ... وقد

يدت لعبة الالوان هذه كأن لا نهاية لها . بيد ان الجداد العجوز المحنك  
 يسبق بحبوية قطع الحديد - متذكراً كلاً منها - تبعاً لخواصها الطرقية  
 ومشى نحو الكرنى ، لوانا غيبها زهواً ، لوانا غيبها زهواً لساناً .  
 احترق الفحم جيداً . اشار بانكرات برأسه الى اوستين ، فأسرع  
 هذا يدس الحاجات الثقيلة الوزن داخل النار ، ذاراً عليها كمية اضافية  
 من الفحم . بعدئذ اخذ بانكرات يتمشى ، مترقباً ، جيئة وذهاباً بمحاذاة  
 الفرن . اما اوستين فراح يدخن في ناحية اخرى ، مقتظراً الاوامر .  
 وسرعان ما غمزه بانكرات مبتسماً وقام بحركة واضحة مفهومة ان :  
 تعال انظرن واعرف بنفسك ، اجيدة هي حرارة اللجام ، الم يحن الوقت  
 لسحب المواد المطرقة ، اما ان اوان البدء بالعمل .؟

خطا اوستين نحو الكور وخلق النظر ، مضيقاً عينيه في قطع الخزين  
 المتوجهة الشبيهة بكتل مستديرة من الجمر الارجواني التي راحت  
 تتحرك فوقها شرارات بيض مزرقه وألسنة من نيران تكاد تكون عديمة  
 اللون ، دلت جميعها على ان حرارة اللجام قد بلغت مداها ، غير انه لما  
 يحن الوقت بعد لاجراج المعدن من النار كان من المهم ، حفاظاً على  
 درجة الحرارة ، ان يوقف مؤقتاً اشتعال المعدن نفسه ، لتفادي  
 الاحراق المفرط او الكلي الذي قد يؤدي الى اتلاف الخزين من المادة  
 المعدنية . وهنا جاء دور الرمل الناعم الذي جلبه اوستين من النهر  
 سلفاً . هال مغطياً المواد المخزونة ، التي كانت تتلأ لأ مطلقه الشرر ،  
 بطبقة متساوية من الصهور الذي تحوّل فوراً الى خبث شبيه بالزجاج ،  
 منقذاً الخزين من التأكسد . وبعد فترة انتظار وجيزة ، انتشل اوستين  
 من الفرن بالمقاطب شظية من محور عجلة ، وضعها على السندان ذي

القرنين ، تناول من فوق عارضة الادوات ازميلاً كبيراً قدمه الى  
بانكرات ، وكأنه في واقع الحال - يقول له : المحور سوف نلحمه اجزاء ،  
قطعاً قطعاً ..

- احسنت يا اوستين ! ارى انك الان من المرجح قادر على توجيه دفة  
الامور بدون وجودي - كالم بانكرات نفيمته بصوت عال ، باتجاه ذقنه ،  
في حين ارى اوستين قبضته الضخمة السوداء من اثر الفحم ، بايهاهما  
الجان يفرح الى اعلى من المضطربين ويروي قلبه شبحه ابدان  
بقايا ، حتى الغداء تماماً ، يلحظ ان سدادات وحلقات مختلفة ،  
مجاور عجلات ، سلك محاريث .. اكما انهما راحا يدقان ويشدان  
الاطواق والاحزمة المعدنية المسخنة على العجلات وعرائش المركبات  
الخشبية فأخذت تعوم في الورشة رائحة الغثة لم يتمكن لها ان تتعرض  
للجو فيمتصها ويغزلبها ، تلك هي رائحة الحديد الحامي لدرجة  
الاحمرار . كما اخذ ينتشر ايضاً دفر<sup>(1)</sup> غاز الفحم الخانق ، المتبعث مع  
بخار زيد الحديد وبخانه التلصاعيين ، رفق .  
شرح اوستين يحمل ناقلاً وحده - حفاظاً على العجوز بانكرات  
جميع الاشياء الثقيلة على بطنه ، فتصيب جسمه عرقاً وضخان يلمع من  
اثر النتج وسرعان ما غدا اشبه بالوقاد الحقيقي منه بالحداد !

عند الغداء ، حينما نشر كل من بانكرات وأوستين زادهما البيتي ، اقتربت من الورشة سيارة البيكاب وهي تتصيب وحلاً . وفي اللحظة ذاتها حجت جثة فيودور بريديخين الضخمة المربع الشمسي لفتحة باب الحافلة . في اثر السائق راح يخمع<sup>(١٣)</sup> في مشيته رجل ضئيل الجسم ، قصير القامة ، ذوساق خشبية ، هو محاسب المزرعة التعاونية كوستيوشكا .

- السلام عليكم ، معشر الحدادين ! ادى بريديخين التحية بصوت جهوري وراح يتمشى على ارضية الورشة الترابية متخذاً مظهر من قدم لكي يعطي الاوامر .

رد عليه بانكرات ، وهو يزيل القشرة عن قطعة من البطاطس المسلوقة ، رد عليه بايماء خفيفة من رأسه ، ثم اشاح بوجهه عنه نحو منضدة الطعام .

- ارى ان زادكم رديء ، ايها الاخوة الطراقون، من الفجل البري الحار .. ترى الى اين ينظر مدير مزرعتنا التعاونية ، كيف يفكر؟! لم لا يلتفت الى هذا ؟ .. اسمع يا كوستيوشكا ! بلغ فاسينين حالاً ان يخص للحدادين ارزاقاً اضافية ! ... - دوى باهتمام صوت

---

١٣ - يخمع: يطلع (يعرج).

بريديخين ، غير ان في نظراته وفي حركاته كانت تبدو نفس تلك الوقاحة المرحة ونفس ذلك الزهو اللعوب المؤلف الذي كان يحماه معه ، هوسائق السيارة الوحيدة في المزرعة التعاونية كلها ، كلما عرج على ورشة الحداد وكانت له ، اضافة الى ذلك عادة سيئة هي انه يتسلل الى جميع زوايا الورشة ؛ يخطف ادوات الحدادة دونما اذن ، يضايق الحدادين بنصائحه ، الامر الذي كان يغيظ بانكرات الى ابعد حد . وكان ينشأ في الورشة بفعل صوت بريديخين المملع وضحكته القاصفة ... ، وبسبب من جسده الكبير الحجم والكثير الحركة كان ينشأ نوع من التشويش الصاخب والاضطراب المخل بالنظام داخل الورشة .

- باختصار، ما الغاية من مجيئك ؟ موقفاً بريديخين المهذار عند حده ، سأله بانكرات بصرامة ..

- الزنبركات ، هلا عملتها للعربة المقطورة بشكل من الاشكال ، وبسرعة ... ! فانا لا استطيع الانتظار بأية حال . يوم السبت علينا ان نرحل الى المحطة لجلب الفحم - واخرج بريديخين ، اثناء كلامه هذا ، من جيب بنطاله كيس تبغ نثر منه حوالي نصف ماخوركا على المنضدة ، امام بانكرات . صنع ذلك بروح المساومة ، لا بدافع التخفيف عن الحدادين ، كلا ابدأ . بل بالاحرى بدافع العطف عليهما : الطعام هزيل ، فلتدخنا في الاقل كما يروقكما !

- لا نستطيع ، بأية حال من الاحوال ، تلبية الطلبات المستعجلة للغاية . امامنا الادوات الزراعية هي الان في المرتبة الاولى - شرع الجد بانكرات يوضح له الامر بهدوء وبصوت خافت ، دون ان ينظر الى تبغ الماخوركا . - مدير المزرعة التعاونية نفسه قال ذلك ، كلفنا ، اصدر

تعليماته

- جميعنا نقول ، لكن لا يجري كل شيء طبقاً لما يقال . بل لم يكن على وجه بريديخين ذي العظمين الوجوديين البارزين والحاجيين الاسوديين والعينين الكسطنطينيين المتقدتين الجامحتين ، لم يكن ثمة اي ظل من كدر . على العكس، فبعد ان طرق سمعه جواب الرفض صار اكثر مرحاً من قبل ، رمى سترته من على كتفه وتهياً للعمل - اللسان يتكلم اما اليدين فتفعلان. نحن الان سريعاً بأربعتنا .. نحن ليس الزنبركات وجسب بل وحتى الشيطان يستطيع ان نصنعه بالطرق. انا شخصياً بي رغبة شديدة في ان الوح بالملطاس ... أه ، اين هو ، ذاك الذي يليق بمنكي ؟! ايها العم بانكرات الالهيا ، قم وجهنا

- كفاك عبثاً وتشويشاً . عندك سيارة البيكاب ، وتستطيع ان تصدر اليها او امرك ، اما نحن فلا نترحم على رؤوسنا بصلاً ، ولا تلعب معنا لعبة النطة ، دعنا من هلسك<sup>(١)</sup> وترهاتك - ترك بانكرات منضدة الاكل ، نافضا الفتات من منزره . وسحب اللطاس من يد بريديخين .  
- فلنذهب !- بصوت خافت ولهجة متأثرة تكلم كوستيوشكا المحاسب وهو يلوح بيده يائساً . وقد كان حتى هذا الحين يستمع ساكناً الى ما دار من حديث .

- فلنرحل .. وسنعمل نحن الزنبركات - تقدم بريديخين مقترياً من ركاب الحديد ، نتش قطعتين صدئتين من الواح الصلب . ها ، بإمكاننا الان ان تفصل زنبركين

١٤ - الهلسك - الكلام الفارغ (لغو - هراء)



- أسمع ، أنت لا تتصرف تصرف الأسياد المالكين ، أي نعم !.. أنظر بعينيك ولا تلمس بيديك . ما أدراك لمن يعود هذا المحزون ! - صرخ بانكرات مغتاظاً وشحوب وجهه ذن اللحية التي اشتعلت شيئا . ترى من أجل ماذا كرموك ، أنت الوقح الصراخ الضحباب ، توط التثجاعة هذا ؟! -

- هكذا ، من أجل حنجرتي كرمت ! - تكلم بريديخين بقرحة عاصفة ومسح بكفه وسامه الذي راح يتدلى ، وحيدا يتيما ، على قميصه الملطخ بزيت المحركات .

بيد أن بريديخين، الذي بقي وثقا بنفسه ثقة لا تتزعزع ، قرر أن لا يتعجل الأحداث . لن يؤخذ الجد بانكرات بالوقاحة . رمى بريديخين قطعتي المعدن من يده ، جلس على المصطبة الى جانب أوستين ، مد إليه الجريدة وكيس الماخوركا .

- هكذا إذن ؟ من المرجح أن الأمر قد أصيب بالصم من صوتك ، ولكي يتخلص منك ..- رفع بانكرات قطعتي المعدن من الارض وأعادهما الى مكانهما السابق .

- وانت أيضاً تعال اجلس نحن معنا ، أيها العم بانكرات ، أم انك تنقرز متي انا المطارب القديم المعوق . ها ؟ ناوله بريديخين سيكارة «لف» جاهزة نظر بانكرات الى التوط ثم الى يد بريديخين اليسرى : لآح ظاهر الكف ، بلوته الوردى ، مصقولاً من اثر لفحات الحريق . أما اصبعا الابهام والسبابة فقد تشابكا معا وكانهما يشيران الى «شيء تافه» لا يعتد به ، وبقيا معقودين ، ملتويين هكذا . كان يعلم ان ليس ثمة أي خدش آخر غير هذا على بدن بريديخين الهائل الضخم . لكنهم لم يعودوا

بحاجة الى الاحتفاظ بمثل هذا الجندي في صفوف القوات المسلحة ،  
فسرحوه وصرفوه الى اهله . لكن يد بريديخين المصابة هذه لم تمنعه من  
ان يدير مقود السيارة من ان يكون مرحباً الى ابعد حد ، وان يبدو  
محظوظاً وسليطاً وقحاً ، قليل الحياء ...

- آه ، ياله من مكار !- يستدرجك بسهولة ويتسلل الى نفسك على  
هواه ، بلا صابون ! - وجه بانكرات كلامه لاثماً مؤنباً وهو يتقبل من  
بريديخين سنيكاره اللف - هكذا اذن ، تقول انهم من اجل حنجرتك  
كرموك ؟ هل كنت تغني بصوت عال في الحفلات الموسيقية ؟!

- كلا ، انا لا اجيد الغناء . لم يهيني الله اذنأ موسيقية . الامر  
مختلف تماماً .- ضيق بريديخين عينيه الكستنائيتي اللون ، ظهرت على  
محياه الجميل ابتسامه رجل محنك يعيش حياة موفقة محظوظة ، كأنه  
معوذ ، بلا ريب ، من الضنك والسجن والرصاص - ذلك هو انني ...  
كنت اقوم ذات مرة بنوبة الحراسة في الكتيبة . وفجأة قدم الى الثكنة  
الرائد چيكاسوف . فوقفت امامه ، كالعادة طبعاً ، مشدوداً كالوتر  
وزارت بأعلى صوتي : «كتيبة... بية ، اذن... به !»  
ازتد بانكرات عن بريديخين وسد اذنيه براحتيه .

ثم قدمت تقريري الى الرائد مباشرة .- واصل بريديخين حديثه وهو  
يقهقه ضاحكاً بصوت عال .كذا ، قلت ، وكذا : اثناء فترة الحراسة لم  
تحصل اية حوادث . الجنود يتأهبون للغداء . اصدر الرائد امره :  
«استرخ !» ثم انصرف . الا ان صوته كان ناعماً رخيماً ، لا يصلح  
للحياة العسكرية ، ملائم جداً لمغازلة الفتيات تحت ضوء القمر ... في  
حين كان عددنا في الكتيبة يزيد على مئة فحل من الفحول الفتية القوية

التي على شاكلتي . كنا جميعاً من المجندين الجدد ، يجري تدريبنا عشر ساعات يومياً في ساحة العرض وميدان الرمي . كانوا يخضوننا خضاً عنيفاً بحيث اننا لم نكن نستطيع ان ننتزع في الصباح انفسنا من الفراش . ترى العرفاء يتراخسون ، يتصايحون . لكن الامر يظل كما هو : تقلقل وارتباك اثناء الاستيقاظ ... وهنا خطرت على بال الرائد . ثم سارت الامور فيما بعد على الوجه الاتي : في الصباح الباكر يوقظني الجندي الخافر من النوم قبل الاخرين . ارتدي ملابس العسكرية ، اخرج الى وسط الثكنة واطلق ، بنبرة أمرة ، صيحة عالية صخابة ... هكذا : « كتيب .. ي .. بة !! .. » فيرتج زجاج النوافذ وتنتفح الهوائيات واذا بالفتيان كأن ريحاً اخذت تهوي بهم من اسرتهم . ثم تراهم ، وهم يغمغمون ، يقولون لي مازحين : ليس صوتاً هذا الذي عندك ، يا فيديا بل هو هزيم رعد سماوي ، قذيفة مدفع هوتزد . مزحت ام لم تمزح ، لكن المهم هو ان النظام والظبط قد تعززا في الكتيبة .. وسرعان ما صدرت الاوامر بالتوجه نحو الجبهة كانت رحلتنا طويلة . حط بنا القطار عند احدى المحطات الصغيرة . ما ان تخلصنا من تفريغ حمولتنا حتى اخذت طائراتهم تداهمنا ... كانت تطلق على ارتفاع واطىء ، تمطر من مدافعها الرشاشة على السطوح مباشرة ، وتسقط قنابلها .. ايه ! لقد بدأت ! ... الجنود الشبان اليافعون ، الذين لم يكونوا قد تنشقوا رائحة البارود بعد ، منهم من تواروا مختبئين تحت المدافع ، ومنهم من راحوا يتحركون بسرعة جيئة وذهاباً تحت عربات القطار . نظرت واذا بالرائد جيكاسوف راح يجري مسرعاً بمحاذاة سدة سكة الحديد ، معطفه العسكري كان ينبعث منه

الدخان، وهو نفسه يصيح .. أما إذا كان يصيح فذلك المراد يفهمه  
أحد كان صوته ضعيفاً جداً، لكنه اقترب مني تراكضاً بسرعة، فإنها  
المقاتل بريريديخين، وبلغ: الجميع إلى الغابة، بعيداً عن  
العريات اللعنة! وهنا تميزت أنا، تشققت ما يكفي من هواء  
وصرخت كما يجب .. تلقبتموا بالثابتين الملقبنا ..  
«كن تسمع» .. «الامر» .. «بسمعه الجميع بعد أن تلقوا التبليغ  
بدأوا انسحاباً محكماً إلى الغابة، أما أنا فقد اجتاحني انفجار وكنتي  
قرب إحدى العريات، مزق يدي في نوط «المناثر القتالية» لحقني إلى  
المستشفى ..  
«وهو أوتة ما قره قتالية هنا؟ لقد جهت من المستشفى، العنكري إلى البيت  
مجاهرة إلى الأبد، ولم تضل إلى العجوبة مطلقاً، لاخذ يانكرات يد مدعهم  
.. «كنتي قلبه أو قول» .. لم يأتني النوط فسبب المعاون، الحربية، يله  
من الخيل لحجرتي، ولقد جمعتك للثامن وبعثه فبينهم الجوزاء أثناء الهلولة  
والإحاطة إلى في لحظات الموت .. المخدم تظال الهلع الذي اجتاح نفوسهم  
تكلم بريريديخين وكأنه يملأ روح نفسه.

... «لعمركم .. «وهو أن نقرا .. «لعمركم ..  
لقد تم ماذا .. يحصل للناس على الخبر بالكبح والطرق .. وبحصولون  
عليه أيضاً بالحجارة والبلط .. «راح يانكرات يتصمخ ساخراً سخريه  
هادئة بعض الوقت .. ثم أضاف، وهو يرمي عقب السيركاره في النار ..  
قائلاً .. «حسناً سينظر عليك الزنبركات إن بقي لدينا وقت .. أما الآن فهيا بنا  
نسرع في انجاز الاشياء المستحيلة .. عاوننا إن شعبت تايهه ..  
.. «أيه، فلنجرى ولكن ما يكون! .. صباح بريريديخين متحمساً ثم خطا

نحو القرن مستعداً لأبما عمل - نأب زواجنا زووجهم لا زواجرهم  
 - اعجب اوستين بالطريقة التي تحدث فيها بريديخين عن الوستام:  
 هكذا ببساطة وبدون تبجح او مباهاة - عند سماعك حديثه تشعر بان  
 النوط جاءه بسهولة وبدون مقابل تماماً - كما عند زواجرهم لا زواجنا  
 وفي الحقيقة انه لم ينله ، طبعاً ، من اجل حنجوته وحسب - الا انه لم  
 يموه الحديث ، ولم يزخرف شيئاً ، مع انه كان بانه كانه ان يفعل ذلك ،  
 كما هو شأنه دائماً - هكذا بالاضبط في غالب الاحيان - حيث يكذب  
 ويكذب بدون ايما خجل - كل حكاية - كما قالوا جفيلة عند الزخرفة  
 والمقالة - اجل كان بإمكانه ان يخترع بلسانه مثل هذا ومعته متبرر - امع  
 هو نوط الشجاعة - كان بإمكانه ان يصنع من نفسه بطلاً أو أي بطل  
 لكنه في واقع الحال ، ابي ذلك ، بل وفعل العكس ايضاً حين بسط هذه  
 الحكاية برمتها ولخصها بالصرح والنوط ولم يكن هذا شبيهاً  
 ببريديخين ، كما انه لم يكن مفهوماً بالنسبة لأوستين - ان كان  
 في غضون ذلك ضرب بريديخين ، غير منتظر أن يصع بانكرات  
 المدبر المطروق أمامه ، ضرب بلهفة على السفدان وكانه يستحق  
 القينين - وظهر بين جديد في نظراته وحركاته صلف وغرور وقبحان -  
 فادرك اوستين فجأة ان بريديخين وهو يتحدث متبسطاً عن التكريم  
 الذي ناله بنوط الشجاعة كأنما يعلمها يدركان ، هما القينان الشديدا  
 المراس ، أن ليس له ، هو شيئاً ، فضل ذو شأن في استحقاقه هذه  
 المكافأة ، بل ليس ثمة أي فضل بالمرّة - وكل ما في الامر هو ان فيودور  
 بريديخين هذا شخص محظوظ جداً موفوق دأبه وانما حل الوقتي  
 الحرب نفسها استطاع ان يخرج منها - كالأوزة من الماء بدون ايما

ضرر . وان لا جدوى من الحؤول بينه وبين ما يريد : فمهما حاول  
پانكرات ، مثلاً ، ان يصرويعاند فان كل شيء ينتهي ، طبعاً ، كما يشتهي  
هو ، بريديخين وبطريقته الخاصة .

لم يمض الا اقل من نصف ساعة حتى بدأ بريديخين ينضح عرقاً .  
نفدت قواه ، فرمى الملابس جانباً وجلس على المصطبة يدخن .

- اي ، جعجة بلا طحين هيكل كبير ونقع صغير ! - قال پانكرات  
متحرشاً . انظر الى اوستين ، انه يطرق بالملطاس عشر ساعات في اليوم .  
- كوستيا ، هيا خذ مكاني ! - صاح بريديخين بلهجة أمرة .

سار كوستيوشكا بخطى متثاقلة نحو السندان ، قبض بجرأة على  
الملطاس ، لكن هذا سرعان ما غدا في يديه الهزيلتين الضئيلتين ضخماً  
وثقياً حد الافراط . بيد ان كوستيوشكا الذي اجهد نفسه جهداً  
باهظاً استطاع اخيراً ان يلوح بالمطرقة وهو يوشك ان يحلق معها . كانت  
ضرباته واهنة وطائشة ، والأهم من هاتين انها كانت خطيرة بالنسبة  
للمسكين كوستيوشكا ذاته : وجهه العصفوري المدبب عظمي الوجنتين ،  
غدا احمر ارجوانياً مضرجاً بالزرقة ، اما جبينه فقد شدّ كله باوتار  
عضلية منتفخة متورمة .. ولم يطل اوستين التفكير ، انتزع منه الملطاس  
وانتصب هو نفسه امام السندان .

- ايه ، لقد سار العمل وطاب . كلمة واحدة هي اوستين ! .. اجل ،  
وليس سوى اوستين ! .. هتف پانكرات بسرور متوهجاً صوب بريديخين  
ودس بالمقاط قطعة حديد متوهجة حمراء تحت مطرقة اوستين المحكمة  
الصارمة القوية ...

انك امرؤ رائع يا اوستين!.. تكلم بريديخين ، مهمهما ، عندما جلسوا جميعاً لفترة استراحة وتدخين قصيرة هز اوستين رأسه وعلى شفثيه ابتسامة متسائلة .

- اقول انك امرؤ رائع ، ما دامت تحتك امرأة من الطراز الاول .. -  
قال بريديخين ذلك ملمحاً تلميحاً غامضاً غير مفهوم .

- لماذا ترمي دبايبسك على رجل اطرش ؟ اهرش لسانك معي ان شئت ذلك .. ما الرديء في فروسيا بنظرك ؟- دمدم بانكرات متذمراً .  
- ولكنني اقول مؤكداً : انها انثى من فصيلة نادرة اصيلة . اين منها زوجتي دوسينكا !..

- اي نعم . في زوجات الاخرين يودع الشيطان ملاعق من غسل ، فهن الافضل دائماً . مزح بانكرات مؤنباً بريديخين ، وطلب بايماء منه الى اوستين ان يقدر الصلب اللازم للعربة المقطورة . فرمى اوستين عقب سيكارته في الوجاق وتنحى صوب الركن المعتم ، حيث كانت تستقر قطع من صفائح الصلب .

- بالضبط ما قلته هو الحقيقة بعينها .. كانت لي ذات مرة معها ، مع فروسينكا مناوشة ، يعني بعبارة اخرى ، محاولة جس نبض .. استكشاف بالقوة . اجل ،- واصل بريديخين حديثه وقد اكتسب وجهه مرة اخرى ، ملامح الرجل المحنك المحظوظ الى ابعد حد . - يالها من

مناوشة !لا اوقعك الله في مثلها !... آه لو كانت اذنا اوستين تسمعان  
الان كلماتي .. لنتل اذن من ملطاسه ما ينبغي لي ان انال .. وانه لامر  
مشروع ، دون شك .

- د ع اذني اوستين وشأنهما هو أصم ، غير انني حاد السمع .وبما  
انك بدأت تدع: مثل اي كلب ذكر فخيرك اذن ان لا تهرف اكثر مما  
هرقت :<sup>(١٥)</sup> عَضَّ على لسانك .فهو لا يجري عليه اي شيء حسن ابداً ، اما  
الفواحش والقبايح ، فحدث ولا حرج .. - تكلم بانكرات مندداً وفي  
الوقت ذاته مغتفراً متشفعاً... ولكي يضيق الخناق على بيرديخين  
اضاف قائلاً :-

وما دام الامر قد جرى في هذا المجري فحدثنا اولاً كيف تلاطف امراتك  
دوسيا بلجمات قبضتلك .

- في الحمام ، بالبقية ؟ وضح بيرديخين ملطفاً الكلام بابتسامه ...

نعم !... اما القبضتان ، فكيف تطاوعني نفسي ان اطلق لهما  
العنان ؟ اهاك انظر اليهما ، يالهما !.. أرض بهما حتى الموت في لحظة .

لا ، ايها العم بانكرات ، انا بالنساء ، بنسائنا اللطيفات الرقيقات ، مولع  
ابداً ، عالق بشريط جد قصير . اي نعم .مهما حدث في الكون - حرب

هناك ام سلم -تظل النساء لدي في المرتبة الاولى من مجال اهتمامي . انا  
حتى في الجبهة ..

- يتحدث وكأنه كان في الجبهة حقاً ...

- كنت ام لم اكن

- لكن رائحة الدارود شممتها

16 شهراف -ترتر كثيرا وبلا جدوى ، نقول : لا تهرف بما لا تعرف!



ولا تظن أن الحرب تشكل عبءاً أمام المرء مادام القدر يجسّم له مسؤولاً  
 تفق حائراً أمام رزق بعثه الله اليك بما كرمها حدث علي بن ابي الخريف  
 قبل الاخير نقلوني الى المستشفى العسكري مشغولي اليد بفعل عمالية  
 القصف الجوي اياها . كان حمام المدينة يقع على مقربة من المستشفى  
 غير سور صغير وكان الجرحى الذين يستعملون للوقوف على  
 اقداحهم ، يذهبون كل يوم سببت لئلا يتحتم هناك ايها انا فقد كنت  
 معاق تماماً ، قتل عمود التفراف بعد ان كفي اليسرى كانت انا دخل  
 الضماد ارتدني قفاز المطاط ثم اسرع الى الحمام ، حيث ليث بالبخار  
 اوصال اصابعي ، تنفيذاً لتبصرة الطبيب الجراح بما ان حلت صريفة  
 الاستراحة حتى وجدني ذات الكركية ذاتاً وايابته به تلصص  
 فبصبصا ذات العين وذات الشكال ، واذ بهن عاصلات الحمام ،  
 هناك نسوة تشرهن العيون وتحقق الالجاب ، فرنوت الى واحدة  
 فنهت ، الفتها كان اسمها ليوبا ، مسكته ملفوفة كخطة ايلول .  
 زوجها في الشهر الاول من الحرب بقيت مع ابنتها ذات سنة السنوات  
 وشقيقة زوجها العيلة . اما هي فامرأة كبرود ، وديعة ، صبور . تقول  
 لليلة استكني فتستكين المصائب لا تقاضيهما بل اصبر  
 عليها ، تجعلها . وسوف يكون كل شي بمشيئة الله على ما يرام ، رويداً  
 رويداً . اعني ، امرأة ذات عقل وارادة بشوشة  
 لطيفة ، مهنهه نظيفة . وصرت اتردد كثيراً على ذلك الحمام كنت  
 مستعداً لان امكث فيه اليوم بطوله .

- ودوسيا المسكينة كانت هنا تترضض ، تصنع السنجين الممتع

اللحمة عن فمها لتبعث بالرزم الى المستشفى ،باذلة جهدها في ان يعود زوجها الجريح الى البيت معافى مشافى ،بأسرع وقت ممكن . اما هو ،تباله !..فقد عثر على حمام اضحك بانكرات متقرزاً ،ضحكة ساخرة .

-ودار بيننا غرام ما بعده من غرام !واصل بريديخين حديثه ،معبراً بوجهه عن الم لذيد..-تمنت ليوبيا ان اكون لها الى الابد . حملت مني جنيناً.كانت تقول لي : ساكون بانتظارك حين تعود من الجبهة ... ولعلها ،هي الغالية ،تنتظرنى ،تترقب الان عودتي . وهكذا ..انك ، انت نفسك ،لا تدري اين يلقاك الحب ، يا حبيب !!!

- واي حب هذا الذي تتحدث عنه ! وعدت المرأة بمختلف الوعود ،استمتعت بها رداً من الزمن ، استقدت منها ثم وليت عنها هارياً .كالهر في شهر اذار ،تفو ! - نهض بانكرات منفعلا ، لبس قفاز الحدادة ، خطا نحو الكور ، لمس بالملقاط قطع الحديد الضاربة الى الحجرة في داخل الفرن . لما تكن قد بلغت بعد مستوى الحمى القابل للطرق .هز المنفاخ بعض الوقت ،ضاعف الحرارة ثم عاد ثانية للجلوس على المصطبة : كان يجب الانتظار عشر دقائق اخرى .

- لم أعدها بشيء . لقد جرى كل شيء في وفاق ورضه - تكلم بريديخين ،غامزاً بعينه شخصاً ما.. دقائق المرأة ،اشفقت عليها .

- أه كيف اشفقت عليها !كان يعيش في كنفها فمان فوهبتها فماً ثالثاً .ثم شمعت الخيط ، مطلقاً ساقيك للريح . نظر بانكرات عابساً متجهماً الى بريديخين - اشفق عليها .. ظل الباشق يقبل الدجاجة حتى ريشتها الاخيرة !

- ولكن .. لم يكن الدب محقاً في اكله البقرة ولم تكن البقرة محقة في ذهابها الى الغابة . - تكلم بريديخين مهانداً ثم وضع يده على كتف بانكرات - عليك ان تعيش الحياة كما هي ، لا تطلب منها اكثر مما تعطيك !..

«شبكةها فانجذبت مرمية امامي

لكنني اطلقتها؛، ماناسبت مقامي !»

- لكن فروسيا ، في حساباتي،هي التي انطلقت،ولست انت الذي اطلقتها . فما قولك .؟. بصوت مستعطف رفيع ذي خنة ، شرع يتكلم كوستيوشكا المحاسب الكتوم الصموت . لكنه ما ان اصطدم بنظرة من مقلتي اوستين المنفعتين من عتمة احدى زوايا الورشة حتى خررس لسانه عن النطق ، بل وجمد من فزع ؟ وقد لاحظ بريديخين ايضاً ما يشبه شيئاً مريباً في تصرف اوستين فراح يتطلع الى وجهه بتشبهت وحب استطلاع ، كأنه يتفحص ، متفقداً ان كان الرجل مصاباً بالصمم حقاً ام لا .

- ما كان ، كان - تنهد بريديخين ملتزماً الصمت .

- يعني،هل ناسبت المقام ؟... ها - ها - ها تكلم كوستيوشكا بصوت انثوي ناعم اغن ، ثم اخذ يضحك بارتياح . وسرعان ما غدا في نظر اوستين شخصاً قذراً حقيراً وسافلاً خسيساً ، الى حد لا يقبل الصفع . كان كتلة كبيرة من الجمر ضربت اوستين في رأسه . بدأت تمر امام عينيه ، مروراً مسرعاً مضجراً ، ذرات رمادية غبراء . وبدأ جسده ، كيانه كله ، كما لو ان الاماً شديدة مبرحة ساخنة قد نفذت اليه نفاذاً ... كانت كلمات كوستيوشكا هذه البسيطة في ظاهرها ، الفظيعة

المفرزة بما تنطوي عليه من دلالات ، كانت هذه الكلمات ذات ايحاءات وقحة وسمجة للغاية . لقد عاش اوستين معانياً ، ذات مرة ، ما يشبه هذا الاحساس يوم خيطوا له في كتيبة الاسعاف الطبية ، قصبه انفه الممزقة المخروقة . جرى ذلك بسرعة وفضاظة ومن دون حقنة تخدير : لاح المخييط اوانئذ وكأنه حربة نارية ذات شخشة ثاقبة تخترق الرأس اختراقاً .

- دع الغازك واحاجيك جانباً ...! تحدث عما تريد كما هو، بدون ابهام . بدأت اذن واصل حتى النهاية . لا تبذر بذور النمام والاقاويل عبر حكاياتك المتقطعات ... هاك انظر الى امين الصندوق ذاك المنلق الافاك ، ذي الساق الخشبية العرجاء كيف راح يُهلس /كاشفاً . عن تكشيرة خبيثة ... وجه بانكرات نحو كوستيوشكا نظرة عابسة متوعدة عنيفة . لسوف تكمل تكشيرتك البشعة !.. فالضحكة الخبيثة تخرس الاسنان .

- نعم ، ولكن عم تريدني ان اتحدث/ايها العم بانكرات؟- اجاب بريديخين ، متسائلاً بسذاجة ولطف ، غير مخف - مع ذلك - ابتسامه شيطانية ماكرة - لقد عدت بخفي حنين ، تركتني وانفي هذه الفروسيا الملعونة وكما يقول المثل : مثلى يبحث عن الصوف ، رجع وشعر رأسه منتوف .

- الى اين مشيت؟! ضغطت بانكرات كلماته بقوة وقد استبد به الضجر والكدر : بدأت تزعجه مداعبات بريديخين السخيفة .

- ما مشيت ، بل ركبت .. حسناً هل تذكر يوم رحلنا في الربيع انا وفروسيا بحثاً عن البطاطس ؟. بدأ بريديخين حديثه وهو يشعل

سيكارة .

- نعم ، نعم .. قطب بانكرات جيبينه متذكراً .

تلوى اوستين في مكانه ، تكمش متقفعا بأجمعه لكي لا يرى نفسه ،  
لكي لا يندفع هاوياً على رأس بريديخين بالمطرقة المستقرة تحت قدميه .  
- توجه فيودور بريديخين - وكأنه لم يلاحظ اوستين - بحديثه نحو  
بانكرات وكوستيوشكا . تكلم متذكراً ربيع عام اثنين واربعين الصعب  
العسير .

- لم يكن البذار قد انتهى في مزرعتنا التعاونية بعد . غير ان الحاجة  
اقتضت ان تغرس البطاطس في المياقل الخاصة . لكن من ذا الذي  
يفرس ؟ النساء في الحقل ، الاولاد في المدرسة ، العجائز والشيوخ  
جالسون في البيوت مع الاطفال الصغار . وأما بعد ، فقد بان ماهو  
اسوأ : نظرنا الى أقبية المؤونة فاذا بالبطاطس ضئيلة جداً ، لاشيء  
تقريباً . لقد اتينا عليها في الشتاء ، اذ لم تقم مائدة الطعام إلا على  
البطاطس . لم يبق منها ، حتى لأجل البذور ، سوى القليل . وسرعان  
ما طرق الاسماع ان وضع البطاطس جيد في منطقة الشمال . جمعنا  
النقود بمساهمة عدد كبير منا ، ثم توجهنا قاصدين مدير ادارة المزرعة  
التعاونية : قرر ، من منا توجهه للرحيل !... فأوصى المدير قائلاً : من  
زربية البقر تؤخذ يفروسينيا ديدوشيفكا ، ستحل محلها الجدة  
زاتسيبيخا . ولكي يأخذ الامر مجراه بسرعة ونسج المدير تحت تصرف  
ديدوشيفكا سيارة البيكاب عوضاً عن النقل بالعربات .

أصاخ اوستين : السمع ثم اخذ يتذكر : غد كتبت اليه فروسيا ، ذات  
مرة ، عن شيء من هذا القبيل . نعم ، نعم ، عن رحلة البطاطس هذه

ذاتها . لم تكن فروسيا راغبة في ان تغيب عن الطفلين ، تاركة اياهما في الدار وحيدين . الا ان المدير وعدها بأن تتعهد الولدين بعين الرعاية الحسنة البارة . تلك الجدة العجوز ذات سيبيخا نفسها : جارتهم التي من اليسير عليها ان تقوم بذلك ، لأنها تسكن نصق دارهم . لكن الجدة هذه لم تحافظ على الصغير فاسيليك ، فقد اصيب بالبرد واوشك ان يفارق الحياة . وكتبت فروسيا تخبر اوستين ، يوم كان في الجبهة ، بشأن هذا المرض ، فراح يشتم لاعناً بصمت ، وهو يقرأ الرسالة في خندقه . رحلة البطاطس تلك جميعها ، كبلية مميتة تفرع محدثة ضجيجاً مدوياً فوق ام رأسه تماماً . وهاهي ذي البلية ذاتها تعاود الكر من جديد ، كأن لم يكفها ما أحدثت من ضجيج قاتل في المرة الاولى ! .

- آه ، فروسينكا ، قلت لها ، فلنشدّ الرجال بأمعاننا الخاوية ولنطرق الابواب على الناس الاخير !... تحدث بريديخين وعلى شفقيه ابتسامة مباهاة حمقاء .- رمينا في جوف البيكاب حزمة من الاكياس الفارغة ومعطفاً من فرو الضأن ثم تحركنا . الربيع حولنا في كل مكان ، لكن الطرق موحلة . اخذنا نترزلق دون ان نتحرك من مكاننا . سيارتنا الهرمة كانت تتحني منزلقة امام كل حذبة ، كل منحرج ، كل اخدود ... وكان شعلي الشاغل هو أن اثب في كل لحظة من الكابينة لأدفع السيارة ، انتشلها من الاوحال . لقد تبللت ، تنفعت ، توحلت ، صرت أشبه بالشیطان شكلاً . لكن النفس كانت مرحة منفرجة : امرأة شابة تجلس الى جانبك ، تنظر بعناية اليك ، ترعاك . اما انت فسهيد بأن تجد وتسعى .. لولم تكن فروسيا معي لخارت سريعاً جميع قواي ، لانطلقت الشتائم والكلمات الفاحشه تترئى من فمي جهاراً امام مثل هذا الطريق

المقعر . لكن شيئاً من ذلك لم يحصل . واصلنا الرحيل نمزح ونضحك ، اسكب لها التوادر والنكات وما الى ذلك ، أحاول ان أتحمس مزاجها في صدد الغرام ، هل تقع في الصنارة أم لا ؟ أعرج على الموضوع من بعيد ، مخافة ان اجعلها تجفل فتتفر . أقول لها : حننت الى ملاطفة زوجك ، أليس كذلك ؟ فتقول : «اشتقت الى صوت اوستين ، ليتني أسمع منه ولو كلمية واحدة !» . أجل ، اقول لها ، لقد كان صدأً حاراً رنان الصوت رخيماً . لست ادري زوجة من غدوت لولم تكن ثمة أغاني اوستين واكورديونه . «وهل تراني تزوجته من اجل الاكورديون ؟» - قالت لي متسائلة . «ولم لا ، - قلت . - انه غواية ، طعم لذيذ يجذب الصبايا» . «هه ، أتعلم كم من غوايات لدى حبيبي اوستين ؟ ! إنه أمامك ميكانيكي ونجار ، وهو يلبد الجزم الشتائية ويحبك معاطف الفراء مثلما يجيد العزف والغناء ... اما رسائله التي يكتبها الان إلي ، فما أرقها !.. كأنها ليست مرسلة من ساحة حرب . اية كلمات لطيفة حنونة يختارها !.. أحس انه شديد الشوق ، يستوحش . وعلى الرغم من انه هناك بصحبة رفاق السلاح ، لكنه - مع ذلك - وحيد قلباً . وهذا يعني انه هنا في البيت ، معي ومع الطفلين» ... اجرب ان أدوزن فروسيا على منوال اخر . اقول لها : ولكن لاوقت للوحشة هناك . لا يفسحون المجال . انها الحرب . هناك ، اقول لك يا فروس ، تتوافر امور كثيرة ... فما عدا الرفاق توجد ثمة رفيقات ، وأية رفيقات ! وفي الحرب هكذا : اليوم انت حي ترزق ، وغداً تذرف الارض عليك الدموع . فلا تقف مكتوف اليدين اذا ما وهبك الله التوفيق . ورحت احداثها عن اشياء تتعلق بمغامراتي . فطلبت مني ان اوقف السيارة وانتقلت من مكان

جلوسها في الكابينة الى جوف السيارة ، قائلة : الجومنتن جداً داخل الكابينة ، دخان خانق ، رائحة البنزين المحروق ...  
وجدنا البطاطس في بويانوفاكا . اشترينا بالجملة ملء كيس من هذا وملء كيسين من ذاك ... وشيئاً فشيئاً جمعنا كمية تقرب من طن ونصف الطن . كان أمامنا في طريق العودة حوالي مئة وعشرين كيلومتراً ، خشينا ان نقطعها ليلاً . بتنا عند احدى النساء : فروسيا في المنطرة مع ربة الدار ، وانا عند الموقد الحجري ، على المنامة الخشبية .

في الصباح بدأنا رحلة العودة . وبعد مضي ساعتين تقريباً ، وفي منتصف الطريق حدث عندنا عطب : طارت عزمقات اسطوانتي السيليندر . انجزرنا حتى ممر كورغانسك الجبلي ، ثم توقفنا . بين بين ، كما يقال . ما العمل ؟ تلفت حوالي ثم قلت لفروسيا : «يجب ان تكون ثمة من قرية وراء الممر الجبلي . سأمضي الى هناك ، اما انت فامكثي ها هنا لحراسة البطاطس» . حشوت لها البندقية ذات الماسورتين . يذكر ان جماعات مختلفة من اللصوص وقطاع الطرق المسلحين كانت تتسكع في هذه البقاع اثناء تلك السنة ، وكان رجال البوليس يقيمون الكمائن لمطاردهم . خذي الحذر ، قلت لها ، افتحي عينيك جيداً ، واذا بدر شيء ما فاطلقي النار ...

غبت عن فروسيا ثلاث ساعات ، عانت خلالها من الخوف كثيراً . استقبلتني بفرح غامر . لقد عدت ، صلحت المحرك ، وكان علينا ان نتحرك قافلين . لكننا قررنا ان نتناول شيئاً من الطعام . جمعنا بعض الحطب اليابس لاضرام النار . حضرنا الشاي وجلسنا نحتمسيه ، «تجاورين ، من وعاء واحد وحولنا هناء الربيع ، أجمل بها من



هناة !.. سماء زرقاء وارض خضراء مزهوة بفراشها العشبي الذي ظهر لتوه . اما نفحات العبير ، فما أطيبها من نفحات !.. ليس عبثاً قولهم : في الربيع ، ليست الكائنات الحية وحدها ، بل وحتى شظايا الخشب تخوض مياه السواقي ليتسلق بعضها الآخر ! وهكذا أنا ... لقد تلخبطت ، شعرت كأن اعضاء جسدي جميعاً شرعت تتحرك فيها شهوة حيوانية عارمة متلهفة ... كتاك التي تستبد بذكور الكلاب !.. أما فروسيا نفسها ، فها هي ذي بجانبني ، اراها تنظر الي بلطف ، تعاملني معاملة طيبة الى حد ما . اغتسلت في الساقية ، سرحت شعرها بمشطها الخشبي وبدت أمامي رخصة ، غضة ، موردة الوجنتين ... فاذا بي احتويها ، اعصرها ، ألويها ... فجأة .

- ها - ها - ها - ها - ، - اخذت تتدحرج ، تزيق ضحكة كوستيوشكا المحاسب ، تلك الضحكة التي اثارت مزيداً من الغضب في نفس اوستين المتوترة توتراً عنيفاً والمشدودة شداً قوياً في دأرف خيط من أمل ما . وثبت مندفعة في داخله قوة انتقامية حاقدة شريرة ... لكنه أحس ، في تلك اللحظة ذاتها ، انه ممتن ، مدعوس ، قد وسم بالعار الى الابد الأبديين ... قبل ثوان معدودات كان مايزال يشعر بالرغبة في ان يصرخ ، ان يشد على لوزتي بريديخين شداً . بيد انه ادرك الآن أن لاسبيل في مثل هذه الامور الى اصلاح اي شيء بالصراخ ولا بقبضات الايدي . لكن هذا الصرصور الذي يهاهىء مستخفاً ، ما مبعث فرحته ، ها ؟ ما الذي يبهج هذا الأعرج ؟ ألم يكفه خزيماً أن هجرته زوجته الثانية ؟

تحلى اوستين محولاً بصره عن قطع الحديد ، رفع رأسه ورمق

كوستيوشكا بنظرة من العتمة . أما هذا فانه حين واجه مقلتي اوستين  
البراقتين نهض من فوق المصطبة بهدوء وصمت ونكص متقهقراً نحو  
الباب وعلى وجهه العصفوري يوسوس رعب خرافي .

- لم اصادف من قبل مثل هذه المرأة الجلدة الحازمة الصارمة ، -  
واصل بريديخين حديثه ، ناظراً الى وجهه بانكرات المتجهم الصارم  
العنيد . - لقد عصرتها ، شددت عليها بقبضتي شداً جموحاً لو كان على  
صخرة لاستسلمت ، لانتت . اما هذه ... فكمشة من عفار غمرت بها  
وجهي ، ومن ثم تملصت ، أفلتت . وبعد ذلك جرت خاطفة البندقية من  
كابينة السيارة . «اقتلك فوراً ، - صرخت بي ، - كما يُقتل دُبٌّ ... جَرِّبْ  
فقط أن تمسني !» - «اوه ، فروسينكا ، ارحميني ، - قلت لها  
مستعظفاً . - لماذا تطلقين علي ، انا الأعمى ، الرصاص ؟ لقد هيلت  
العفار في عيني كليهما . من ذا سيوصل البطاطس اذن ؟ ...» . جلبتُ  
لي من الساقية ماء ، غسلتُ عيني ، ثم تحركنا . وفي الطريق بدأ الفأر  
يلعب في عبي من جديد . ورحت احدها ، اشرح لها : الوقت ، يعني ،  
عصيب جداً ، يافروسيا ، انها الحرب . اليوم ، كما يقولون ، انت على  
قيد الحياة وغداً يواريك التراب . يضاف الى ذلك ، أقول لها ، اننا نكد  
من الفجر الى الفجر دون ان نتنفس الصعداء . فهل نرتكب إثماً عظيماً  
اذا ما لهونا قليلاً ، اذا ما الجسد الفتى نعمناه ؟ ... أعطيناه بعض  
ماله من حق علينا ؟ ... أه لورايتم كيف تارت ثائرتها ، كيف هبت جامحة  
تلغو ، تسب وتلعن ... لقد بدت وكأنها واحد من قادة التوجيه السياسي  
الحزبي !... وبختني ، خضتني كما يجب ... بحيث انني بدأت ، منذ  
رحلة البطاطس تلك ، احترم يفروسينيا ، ومن خلالها احترم اوستين

كذلك .

انتهى بريديخين من حديثه ، وساد الصمت في ورشة الحدادة بعض الوقت . جلس بانكرات مستغرقاً في التفكير ... لكنه كان ، هذه المرة ، خالياً من توجهه المهذب المتوعد ، الذي زال عن وجهه مع كلمات بريديخين الاخيرة :

- تقول بدأت تحترم أوستين ، ها ؟ يا للعجب !.. لكن كيف يمكن ان يقال مثل هذا ؟... أنا لست بحاجة الى احترامك واهتمامك ، لاتحاول ان تمنحني رتبة ضابط صف ، ولاتلمسني زوجتي ! - قال بانكرات ذلك بعد صمت قصير وأشار الى الزاوية ، حيث كان أوستين يعالج ببطء وهدوء قطع الحديد . - الرجل لا يسمع وإلا كان اسمعك مثل هذا الكلام تماماً .

- ولكنه يسمع كل شيء !... ذلك واضح من وجهه . - فجأة صرخ كوستيوشكا ، ضاحكاً ضحكة خبيثة ، نافذة مربية ، بل وقفة جافية ايضاً ، وقد عاد في وجل من الباب حيث كان منزوياً بعد ان قذفت به نظرات أوستين الزاحمة .

- لكن وجهك انت لا يبين عليه اي شيء ، - تكلم بانكرات بهدوء ، دون ان يعير أية أهمية للحذر اللئيم الذي ابداه كوستيوشكا . - انظر كيف نما عليه الهلب<sup>(١٦)</sup> كأنه وجه قاطع طريق . ألا تخجل من نفسك وانت جالس للناس في مكتبك الرسمي بمثل هذه اللحية الشبيهة بشعر الخنزير ؟ أليست لديك شفرات حلاقة ؟ تعال إلي فأعطيك ادوات حلاقتي ، ان لحيتي لم تعد بحاجة اليها . انك لما تبلغ الاربعين بعد ...

---

١٦ - الهلب : الشعر كله او ما غلظ منه ، او شعر الذنب ، او شعر الخنزير الذي يخرز به ..

لماذا أسففت كل هذا الاسفاف اذن ؟ ! واضح الآن لماذا هجرتك زوجتك  
ناستيا كوقروفا وذهبت الى حيث يعمل والدها في مقر ادارة الغابة . لقد  
حكمت المرأة عقلها فتدبرت امرها : خير لها ان ترحل الى الغابة للعيش  
قرب دبة حقيقية من ان تمكث مع انسان ممسوخ ذي وجه ينمو بشاعة  
وقبحاً ...

جفل كوستيوشكا ، كما لو انه وطىء شيئاً ما حامياً ، تمللم في  
مكانه ، ثم بدأ يدور ، بعينه الخضراوين الصغيرتين الساطعتين بحب  
الانتقام ، قرب الجالسين على المصطبة . ظل هكذا ، يتمللم ظالماً ، نحو  
دقيقة من الزمن الى ان وجد كلمات التبرير المناسبة .

- انا لا أعيش مع الحمقاوات ! - صرخ بعصبية في وجه السقف .  
- الزوج السييء لديه دائماً زوجة حمقاء . - تكلم بانكرات بصوت  
واطىء ، ماراً يده على لحيته القصيرة .

- وما السييء في ؟ اقبل كوستيوشكا مسرعاً نحو العجوز ، التصق  
به مباشرة ، فاتحاً على صدره سترته الرثة المبتذلة . هل أنا امرؤ دنيء ،  
أسكير انا ؟ ويل لها !... لا أروقها ، مقرف في نظرها ، لأنني أنضح  
عرقاً . رطب دائماً . هاكم انظروا ، مثلاً : فانيلتي التي ارتديها ،  
جسوها !.. انها ندية الان ايضاً ، كأنني مستحم لتوي . من اين لي ان  
اوفرلك - تقول لي - ما يكفي من الملابس الناشفة ؟ . إذن ، من المذنب  
هنا ، خيروني ، اذا كانت عندي هذه الحالة المرضية العصبية ؟ . قال  
الاطباء ان الاعصاب مرضوضة ، مكدومة .. وهذا هو سبب عرقي .  
رحت الى الجبهة ناشفاً سليماً وعدت مبتلاً سقيماً ... أنا  
هكذا ، .. اعتل ، ابتل ، ان صيفاً وان شتاء . أما هي ، جنية الغابة ، فهات

لها فحلاً معافى مشافى ... لكنني انا الاخر ايضا لي - مادام الامر هكذا - مطالبى واحتياجاتي : الالهيا هاتوا اعيدوا الي ساقى السليمة ! ما حاجتي الى سويق الكرنب هذا ؟ هاتوا .. ها ، لستم بقادرين ؟ اذن ما الفائدة التي ارجوها منكم لكي اذعن ، ذليلاً متضرعاً اليكم ! تريدونني ان اظهر امامكم حليقياً ، نظيفاً ... لقد خسرت عافيتي في سبيلكم ، جدعت ، وتكسحت من اجلكم . اذن فليضرع الاخرون الي ، وليس انا ...

- قف، كوستيوشكا ، فرمّل ! مسك بريديخين بكوع المحاسب . انتظر وضّح !... من ذا الذي يجب ان يتضرع الى ساقيك العرجاوين ، ها! انا أم اوستين هذا ؟

- انك محشو بضر بليد سخيف ، يا كوستيوشكا . تريد ان يحترمك الناس لعاهاتك وتشويهاتك فقط . لا تتوقع ذلك ، - دخل بانكرات في الحديث ، متعاطفاً ، دون موعظة او اذانة . - ولا تسخط على الناس بلا سبب . ان اليد والرجل تكسرهما فتألفهما... اما النفس فانك اذا أتلفتها ، جرحتها . لن تأنس عندئذ بها ، لن تألفها . اي نعم .  
- دار كوستيوشكا ، خامعاً في مشيته ، حول المصطبة وقد ابيضّ جِحًا انفه<sup>(٧)</sup> ثم اقترب ، بعد ان التمى نظرة بريديخين المروضة ، اقترب من اوستين المقبل لتوّه ، وقف الى جانبه ولزم الصمت . الا ان اوستين ابتعد في الحال عنه ، حادثاً خطاه نحو السندان .

- أه، انك لتجمد ، مع امثال هؤلاء الثرثارين ، برداً حتى وانت واقف عند الكون تذكر بانكرات مفاجأة شيئاً ما ثم راح يقفو خطى اوستين . عملوا اربعتهم ، متكاتفين ، عملاً كثيراً ، ناجحاً وناجحاً ، حتى وقت متأخر من مساء ذلك اليوم ، دون ان يشغلوا انفسهم اكثر مما يجب بفترات استراحة وتدخين طويلة معوقة . تمكنوا من انجاز جميع الاشياء المطلوبة ، وكانوا راضين مرتاحين... إلا اوستين ، في الأرجح . فقد عاد الى البيت منهكاً ، متعباً ، خائر القوى الى حد يفوق الحصر والوصف . وكانت هذه اول مرة يجد فيها نفسه هكذا . بيد انه ادرك هو نفسه سبب ذلك . فاذا كان التعب سابقاً ، وحتى يوم امس ، يمكن ان يطلق ، بل وسائغاً لذيداً أحياناً ! لأنه يمنح النفس نوعاً من الراحة ، فان تعب اليوم هذا قد تراكم - بالضبط - من التوتر النفسي المفرط والجهد الفكري المضني . كانت تطن في اذنيه طيلة النصف الثاني من النهار ، طنيناً ملحاً صرخة كوستيوشكا : «ولكنه يسمع كل شيء !» . نفر اوستين من كوستيوشكا وأبغضه ، بسبب امعانه الكريه الممقوت هذا في التدقيق المتسم بالمكر والدهاء ، وبسبب حقه الذي سعى جهده في ان يصبه - منتقماً على الناس وكأنه يفعل ذلك نكاية وثأراً لركنّه وخرقه ، لافلاسه وتهافته ، ولاخفاقه في حياته الخاصة . «هو اضعف مني وادنى ، لكنّ لماذا اخافه واكرهه اذن ، في حين يجب ان أراف به واصفح عنه ؟ لماذا يملك هو الحق في ان يظن بي الظنون ، في حين يجب علي ان احترس منه وحسب ؟ - راح اوستين يسأل نفسه . - او بريديخين هذا... لقد تفادى الحرب ، تملص منها بسهولة ، وهو هنا ، في ما وراء الجبهة ، ليس ميالاً الى العمل كما يجب . انه لا يقوم بثلاث ما

يقع على عاتقي من اشغال . لكن ، انظر اليه :يمشي على الارض مشية  
الديك .كل شيء عنده سلس وسهل مستساغ ، يضحك ، يأكل وينام  
هنيئاً مريئاً ،يعيش بحرية وعلانية ، كالاتقياء الصالحين !... اما  
انا فلست بقادر على ان افعل فعله غير مسموح لي بذلك ،  
ممنوع !... ومع انني في دخيلة نفسي ، ضمن حدود ذاتي ، لست أسوأ  
من بريديخين وكوستيوشكا ، لست دنيئاً ولامتكاسلاً ولانفعياً ... اما  
الحياء والضمير فعندي منهما اكثر مما لديهما . ولكن : هيا تكتم ،  
احترس ، راقب بحذر وحرص كل خطوة من خطواتك ، وكل نظرة من  
نظراتك !... أهو عقاب ، ياترى ، نزل علي لانني قد تصرفت بشؤوني  
تصرف صاحب الشأن ذاته ؟...»

راح اوستين يخطو في الشارع المظلم ، منزلقاً في برك صغيرة من مياه  
الامطار فوثبت من بين شفثيه الفاظ سباب ولعنات سرعان ما قمعت قبل  
ان تبلغ حروفها الاخيرة .. وتجاه داره ، اصطدم في الظلام بجذرته  
نيوركا كوريوشينا التي كانت عائدة ، كما يبدو ، من زريبة البقر . شعر  
بالرغبة في ان يتوقف ، ان يقول للمرأة كلمة لطيفة طيبة ، ان يعتذر لها  
عما بدر منه سابقاً من معاملة خشنة تجاهها . إلا انه لم يفعل سوى ان  
نظر نظرة خاطفة الى وجهها المدور اللطيف ذي الملامح الحزينة التي  
لا تكاد تتميز في العتمة ، ثم تجاوزها ماراً على مقربة منها .

فكر حالاً ، وقد انتابه شعور بعدم الرضا عن نفسه ، فكر في ان نيوركا  
وكوستيوشكا وبريديخين ، وعلى العموم ، جميع الناس الذين يعيشون  
الى جواره ، يثيرون في نفسه الاسئ ، لا لأنهم يتصرفون تصرفاً قبيحاً ، بل  
بسبب ذلك القدر الذي يقتربون به ، حدسياً وبدون قصد ، من سرِّ

إثمه .«أجل ، ان السوء بالنسبة لي هو ليس في الناس ، وانما فيّ أنا بالذات . اكدح الى مايقرب من حد الهلاك ، أسعى لأجل خير الجميع ، لكن يجب علي ان أعيش كلص ، كأني جاسوس .حتى في الفراش ، جنب زوجتي ، أحرس نفسي محاذرة من أن أغمغم أو أتمتم في المنام . أسمع اصوات طفليّ ، إلا أنني لا أستطيع ان ارد عليهما . أخشى ان أبعث الفرحة في قلوبيهما . لقد أتى الخوف على المسرة كليهما ... احقاً ان في داخلي كل هذا القدر الهائل من الرعب ،ياترى ؟» .



في الجزء الداخلي من مدخل الدار ، خلع اوستين حذاءه ثم اخذ ينشر فوق الرف الخشبي سترته الندية من عرق ، فمس بكتفه اكورديونه القديم المعلق في الزاوية الى جوار زنبيل للبذور . كان الاكورديون ، وهو يتدل وحيداً وعارياً من ايما غطاء ، وقد ربط بحبل معقود الى مسمار مثبت في الجدار ... ، كان اشبه بأداة منزلية مستهلكة انتهت الحاجة اليها فبقيت تنتظر اوان يتذكرونها ويرمون بها خارجاً . واخر مرة اخذ فيها اوستين اكورديونه بيديه كانت في احد الايام التي اعقتب عودته من الجبهة . اراد ان يسلي فروسيا والصغيرين ، لكنه لم يقو على ذلك . لم يتمكن من ان يعزف شيئاً وهو لا يسمع الاصوات . اخذت انامله تجري على الازرار كالمعتاد ، غير انها بدت وكأنها تخطب خطب عشواء . وبدلاً من الموسيقى المتوافقة المتوائمة ، قاء الاكورديون ضرباً من الفوضى الموسيقية المنافية للعقل والذوق ... حتى ان فروسيا انفجرت ضاحكة ، اول الامر ، لكنها شرعت تبكي فيما بعد . انتزعت منه الاكورديون ووضعته في مكانه الى ان تحين - ان شاء الله - اوقات افضل .

وفي هذه اللحظة يقف اوستين ناظراً الى الآلة الموسيقية بحزن يشوبه شعور بالذنب ، وكأنه ينظر الى بيت صغير متواضع كان في يوم ما مبهجاً وباشاً للجميع ، لكنه بقي ، في الوقت الحاضر ، مهملاً مهجوراً بسبب

خطأ ارتكبه هو .

نزع الاكورديون المترب من المسمار ومسح ، مبتسماً ، على دساتين  
ازراره البيض . «لقد نسيت بالمرّة ، انقطعت الصلّة ... ثم ان يدي الان  
هما اشبه بمطرقتين . أيمقدورهما ان تعرفنا ؟! لعلمي استطيع ، فانا  
الان اميز الاصوات .

صفقت الباب ، دخلت الدار فروسيا . حفز وجهها القلق الكئيب  
اوستين ونبهه . «يبدو انها اليوم ايضاً قد بكت وناحت كثيراً مع النساء  
الاخريات في زريبة البقر . يعني ثمة من استلم نياً باستشهاد قريب  
له» ، - فكر اوستين .

- والدك حالته سيئة . استدعيت الموظفة الصحية ... يستحسن ان  
تذهب اليه ريثما أعد العشاء .- تحدثت فروسيا ، مردفة كلماتها  
بالاشارات التي كان من المخجل والعسير على اوستين ان يتحملها .  
اعد الاكورديون الى مكانه ، تاهب على عجل ثم خرج الى الشارع .  
كان يسير مسرع الخطى ، فاذا به يسمع من نوافذ النادي الصغير ،  
الذي مر امامه ، تراجع تراتيل منطلقة من جناح بتولية ناعمة فتية  
ونغمات اوتار ترسلها البالايكا<sup>(١٨)</sup> بصوت خافت ضئيل . «لو كان  
الغناء جارياً على انغام الاكورديون لجاء اكثر براعة ، - فكر اوستين . -  
أد ، ما اروع ما كان يجري هنا فيما مضى !... اما الان فلقد عقدت فمي  
وفم الاكورديون ايضاً ...»

مرة اخرى تدرك النوبة كوزما دانيلوفيتش وتلزمه الفراش . كان  
راقداً في الركن المضيء من غرفة الضيوف ، فوق سرير مرتفع نظيف .

١٨ - البالايكا : آلة موسيقية وترية روسية ، تشبهه بالقيثار .

ولعل مجيء الموظفة الصحية هو الذي ساقه الى ان يترك مكان نومه المعتاد ويضطجع على هذا السرير المهجور الذي بدا وكأنه مستقر في متحف . لقد هيجت روائح العقاقير الطبية ، التي خلفتها الموظفة الصحية وراءها ، شعور الجزع والحنان لدى اوستين تجاه والده . دنا من السرير وجلس على المقعد الخشبي . كان يطرق الاسماع ، قادماً من المطبخ ، ضجيج الرحي الحجرية الصغيرة انتي كانت تطحن بها فارقارا الحنطة .

- اوصد الباب يا اوستين . انها تصخب ، عليها اللعنة !.. اكان ضرورياً لها ان تثير برحائها كل هذه الضوضاء في مثل هذا الوقت ، اما كان بإمكانها تأجيل ذلك ؟! - شرع العجوز يصرخ بصوت متهيج واهن ضجر ... اقتربت فارقارا من الباب قبل ان يدركها اوستين ثم انهالت بالشتائم ، اثناء ما كانت تهم باغلاقها :

- ها ، ماذا جرى ؟ لماذا تنبح يا كوزما ؟ ما الذي ينقصك ، ها ؟  
- كفاك هاهأة ، يا انت !.. لم تكذني<sup>(١١)</sup> الى عربة خيل ، فلماذا تهأهئين هكذا كالحصان ؟ - صاح بها كوزما دانيلوفيتش ، مكشراً تكشيرة حانقة وقد ظهر عليه النصب والاعياء ، ثم حول وجهه الممتقع المظني صوب اوستين يسأله العون والحنان . ما كان العجوز ليرغب في ان يعتل ، لم يكن يحب ذلك ، لم يطقه ... وانه الان يرى نفسه مذنباً امام الجميع ويرى الجميع مذنبين امامه .. هذه هي حالي يا بني !.. كنت راغباً في عتيل هذه الحياة ، لكن ليس ثمة من يخلصني من عذابها !- بعد ان سكت متجهماً بعض الوقت ، بدأ يتشكى ويأسف

١١- كذن الحصان الى العربية : قرنه او شده اليها .

لحاله .. تسألني : ماذا يوجعك ؟ انه الشيء نفسه ... مرض الذبحة الصدرية ، هل تسمع ؟ ولعلها هي التي ستوصلني الى القبر عما قريب ... اذا داهمتني مرة اخرى مثل هذه المداهمة فلسوف تعصرني عصرأ ... قبل ايام وقعت تحت وابل من المطر فتبللت واخذت بردأ . كنت اقوم بحراسة المستودعات وزرائب البقر اثناء الليل ، فهل تعتقد ان ذلك سهل يسير ؟

بعدئذ ، اخذ كوزما دانيلوڤيتش يسأل ابنه عن الصبيين ، عن العمل ، عن كل ما هو واضح بالنسبة اليه دونما حاجة الى اجوبة .

- لماذا انت ساكت ؟ هل عقد لسانك من جديد ؟ .. بريك ، لا تفزعني !.. ها انني اتكلم مع ان الذبحة الصدرية تخنقني خنقأ .. ضيق كوزما دانيلوڤيتش عينيه الزائفتي النظرات ، ياحثأ عن شيء ما في ابنه الصارم القسما .

-لدي ، يا ابي ، ذ ... ذبحتي الصدرية الخاصة ... ت ... تضغط علي بثقلها ، - همس اوستين بانفعال ، وضرب صدره بقبضة يده : -ها هي ذي عـ ... عندي ها هنا ... ت ... تمص من د ... دمي . في كل لحظة من حـ ... حياتي افكر فيها ...

نظر كوزما دانيلوڤيتش الى ولده معبسا . تغير شيء ما في وجهه ، امتقع لونه ، حل القلق المرهق محل الوهن الموجه .

-ولكن لا تفكر ، -تكلم باهتمام فاتر . -اندر حل شيء ، اقطع الصلة . هاك مثلاً أغابوف ميخائيل الذي عاد فافداً احدى ساقيه . استسلم للحزن رداً من الزمن ، قضى بعض الوقت يعاكس ويشاكس ، ثم تعود بعدئذ والف ... اسيت ام لم تأس ، الامر سواء ، لن تنبت لك ساق

جديدة .

- لكنه هكذا ب ... بساق واحدة اسهل له م ... مني وانا ب ...  
بساقين . لو كان ج ... جرب ان ي ... يظلع وهوب ... بقدمين  
سليمتين ! .. انه لن الصعب ج ... جداً ان تـ ... تضلل نفسك  
والناس .

- والنتيجة هي ان ميشكا الان مقعد ، اعرج الى الابد . اما انت  
فعليك ... يا لك ، ما عليك الا ان تتحمل على نفسك وتصبر ، تنتظر  
شهوراً واحداً فقط ، على علته !.. هل تستمع الى الراديو ؟ ان الامور  
تسير على الجبهات سيراً حسناً وموفقاً . يطاردون الالمان في كل مكان .  
وها هي قواتنا تتوغل خارج حدودنا . لن يحل الشتاء الا وتكون الحرب  
قد شارفت نهايتها . فما لك طامحاً بالذهاب الى هناك ، كالعاري الذي  
يجري ساعياً الى الحمام ؟! ان الامور تتدبر هناك كما يجب دونما حاجة  
الى وجودك .

- انا اريد الامور ب ... بالطريقة الانسانية . كالاخرين ... ب ...

بما يـ ... يربح الضمير لكي ....

- وهل انت بلا ضمير يا ترى ؟ ... انك لم ترَ فروسيا كيف كانت  
تحن ، قبل ايام قلائل ، راثية لحالك . تقول انك تحطم نفسك ، تهلكها  
تماماً بالعمل . وهي تقول ايضاً : اما انه موعود بمكافأة ممتازة او انه  
الجزم التزاماً شديداً بانجاز عمل كبير لقاء مبلغ جيد ... وانه لا يتذكروا  
يعرف شيئاً غير وراثيته المدخنة المسخمة !... لقد كانت لديه في السابق  
ايضاً ، كما يقولون ، رغبة شديدة جداً في العمل . لكن ليس ثمة من  
يستطيع ان يدمر نفسه هكذا بالعمل في دار الحكومة سوى المجنون .

اما هو ففي كامل عقله ، كما يبدو .

- حقاً ، كنت أظن ... أنني سأجد الخلاص في العمل .. ولكن لم  
يـ ... يتغير شيء .. هذا .. يـ ... يصلح لشخص آخر .. يتلائم  
مع ط .. طبعه . لكن ليس لي ... انت نفسك ، يا أبي ، كنت د ... دائماً  
تـ ... تقول : في الكذب والبهتان لم نعش نحن ، آل د ... ديدوشيف ،  
أبداً ...

- ها انك دوزنت : الحق ، الباطل ، الضمير ! ولكن انظر الى يديك !-  
رفع كوزما دانيلوڤيتش نفسه قليلاً ، مستنداً الى مرفقيه ، بدأ رأسه ،  
وجبه الملتحي يهتز واهناً فوق الوسادة . وبعد ان القى نظرة على الباب  
التي كانت تصخب خلفها الطاحونة اليدوية ، ارسل صيحة خافتة :  
- انظر ! ها هوذا ضميرك ، انه بأجمعه هنا ، على راحتك . دع اي  
واحد غيرك يشعر بالحجل ، يدعي الضمير ، اما ضميرك انت فيسد  
مسد خمسة . نعم !  
القى كوزما دانيلوڤيتش رأسه على المخرة ، وبعد قليل من الانتظار ،  
واصل كلامه باعياء :

- طبعك ، كما لاحظ ، شبيه بطبع ابن عمي . هل تتذكر غرينكا ؟ ...  
كان فتى عاطفياً للغاية . ومن هنا سبب احتراقه وفشله . لكن ما هي  
جناية غرينيا ، ما الذي فعله فنارت عليه ثأرتهم ؟! كل ما في الامر هو ان  
هذا الصبي القاصر العقل قد اشتغل مساعد طباطخ مدة ثلاثة اسابيع  
لدى الاعداء البيض ، مرتكباً بذلك حماقة دفعه الجوع اليها . ثم انهم  
عشروا في صندوقه على صور متناثرة ظهر فيها الى جانب القوازيق ، كانت  
قد التقطت صدفة ... انتشرت الاقاويل والشائعات حول هذا الامر بعد

انتهاء الحرب الاهلية ، حيث كان كل شيء قد هدأ واستقر . غير ان  
غرينكا اراد ان يوضح الاشياء بمقتضى الحق والضمير ... اراد ان  
ينزع عن نفسه الاهانة . انى لهذا الارنب المسكين ان يكون - كما  
ادعوا - من انصار البيض او من العاملين لمصلحة الكولاك (٢٠) ؟! ما هو  
الاصطوك بئس من عامة الفلاحين ؛ وكان يعيش في مستوى من الفاقة  
بحيث انك لا تجد في احد جيبه سوى الخواء الابدى ، واما في الجيب  
الاخر فلا شيء اطلاقاً !... غير انه وقع تحت يد ساخنة غاضبة لا ترحم .  
وكان ان بدأ القصف والقذف وتساقط التهديد والوعيد ... هو نفسه  
الذي تحدث بصراحة ، اقر بذنبه ... وهو نفسه الذي وضع الانشطة  
في عنقه ... هكذا هو الشأن : كن شاة وسرعان ما تظهر الذئاب !...  
بدأ يهمهم في صوت كوزما دانيلوفيتش امتعاض ، ضيم قديم .  
غضن وجهه برهة وهو يستعيد بعض الذكريات الثقيلة وصوب نحو  
اوستين نظرة محملة بالكدر والجزع وانشغال البال ...

- اجل، ان الاحمق وحده هو من يفترى على نفسه بنفسه ، - تكلم  
بصرامه ، لكن وجهه سرعان ما تراخى في اللحظة ذاتها ، وترقرقت  
الدموع متلألئة في عينيه الغائرتين بعيداً في محجريهما . ثم واصل  
الحديث بصوت متهدج من اثر الشيخوخة :- فأرجوك ، يا بني ، ان  
تسمعني وتطيعني ... دعني - بالله عليك !- اغادر هذه الحياة هادئاً  
طمئناً ، لا تمرق مهجتي ! وافعل بعد ذلك ما تشاء ... لكن اطرح الان  
الحماقات من رأسك ، لا تنبش ضميرك ، لا تهيج ما في نفسك . اذ لم  
يحاول احد ان يسبر اغوار ذاتك حتى الان ، ولم يتسلل اليك مراقباً

٢٠ الكولاك : الفلاحون الاغنياء الذين يستثمرون جهد غيرهم .

متفقداً . لا يعلم هذا الامر سوانا ... انت وانا فقط . هكذا فلتعش ، احمد الله ولا تعقد لروحك معرض فرجة او زفة عرس . وهل ثمة من حاجة الى ذلك ؟! ... هيا اجلب اسرتك ، اشغلوا الجزء الرئيسي من الدار وعيشوا . اما انا فكثر جداً علي مكان الموقد الحجري والمنامة الخشبية المجاورة له ... تعال غداً لنحرق وثيقة رسمية اكتب لك فيها الدار كلها باسمك . فلتحافظ عليها ، لسوف ينتفع بها اولادك واحفادك ايضاً .  
- شكراً لك ، يا ابتاه . متعت بالعافية ... قال اوستين ذلك بامتنان . فقط ... يستحسن بي ، على كل ، ان أ ... أخبر ، في الاقل ، بانكرات ، انه يتفهم ...

- لا تجرؤ !- هس كوزما دانيلوڤيتش بصوت خافت حائق وعادت مقلتاه جافيتين صارمتين من جديد . لا تعرض مصيرك للاذى ، يا بني . اسمعني والا سيذهب كل شيء هباء . انتظر ، في الاقل ، حتى تجتمع اللجنة الطبية . فليقرر الاطباء ما يقررون ... الاطباء ! فهمت ؟ اما انت فلا تحشر نفسك .

- ... حشرت نفسي في شرك . فممن اخاف ؟! ... عـ ... عبثاً القينا الرعب في قد ... قلوبنا ! ... نهض اوستين واقفاً ثم سار ، بجوربيه المحبوكين المرقعين ، فوق سجادة الخيش الصغيرة البسيطة وكأنه يعد العدة لأمر ما .

- حسناً ، حسيناً ، هيا ... هات اقتل نفسك واجهز علي ، يا بني !- اخذ كوزما دانيلوڤيتش يتكلم بنبرة تحذيرية تحريضية مؤنبة . ولكن ثوبه يانه لو كان ثبت عليك انك فار من الجندية او انك انسان متبطل كسول لكن انا اول من يربط عتبة الباب .



- ان العمل ليس وسيلة خذ ... خلاص هنا ...  
- انك لبطل مقدم ، يا اوستين ... اترك لم تحارب بما فيه الكفاية؟  
مشتاق ، يعني ، للعودة ثانية الى هناك . عجباً لك !- تكلم كوزما  
دانيلوفيتش بصوت واهن وقد اغمض عينيه .- أنتعتقد انهم سيتركونك  
ثانية - انت الألكن المتلثم - تقود مدفعا؟! لا ، يا حبيبي ! سيبعثون  
بك الى صنف التموين ، فهمت ؟ هناك حيث تقشر البطاطس وتصلح  
احذية الجنود وملابسهم . فاحكم بنفسك اذن ، اين ستكون اكثر نفعاً  
هنا ام هناك ؟

- ليس لي أ ... أن أ ... احكم في هذا ، يا ابتاه . وليس لك ...  
هدم الضجيج خلف الباب ، فاذا بأوستين ، الذي دهمه السكون فجأة ،  
يتسمر فاغر الفم ... وقد شعر بخزي فاضح للغاية وبانحراف شديد في  
صحته بسبب توقفه عن الكلام ، وملكه نوع من الشعور بالاشمئزاز  
الكئيب الممل جراء خوفه من صوته الحقيقي ، مما جعله يلوح بيده في  
غيظ وضجر ... ثم سار نحو الباب .

كان الجو خارج الدار لطيفاً ، هادئاً . السماء الغافية النجوم كانت  
معلقة ، دونما حراك ، فوق الرؤوس ، كأنها ترهف السمع الى حفيف  
الاشجار المستغرقة في سباتها الليلي ... وقف اوستين على سقيفة  
المدخل ثم راح ، وهو يحس بساقيه وبجسده كله جودة الدم الابوي  
وأصالته ، راح يطالع في خياله ، يتحسس ذهنياً : جدران الدار المعمولة  
من جذوع الشجر ، عارضة خشب البلوط التي تسند السقف وتدعمه ،  
قواعد النوافذ المزينة ، الكمرات<sup>(٢١)</sup> الصنوبرية ؛ اي كامل الهيكل

٢١ - الكمرات : الدعائم (الدعامات) .

المتين الجديد للدار الحديثة التشييد التي ستكون منذ نهار الغد ملكاً مسجلاً باسمه ، هو اوستين . لكن الفرحة لم تكن قائمة ، كان ثمة - بدلاً منها - خواء ، فراغ نفسي فاتر ، ذاو ... بدا جمال الليل في غير مكانه واوانه . لم يكن متوائماً مع المزاج النفسي والتنغيم الروحي لأوستين .

انصرف الى بيته ، عارفاً أنهم ينتظرونه هناك على العشاء ، ان فروسيا تنصت الى كل خطوة عند عتبة الدار . اما هو فيدخل عليهم مجيئاً الاصوات والابتسامات المرحية بأن يلوي فمه ، يصعر خده ، يقلب اصابعه ، يتمطق بشفتيه ، اي «يتكلم» مع احبائه ، مع اقرب المقربين الى قلبه ... انه يراهم كيف يجهدون انفسهم ، يتكيفون طامحين الى ان يوصلوا اليه ، على اصابعهم ، جميع اخبارهم واهتماماتهم ... ولكن ، هيا ادخل في الحديث ، قل كلمة جوابية ، اعلن عن صوتك ، يا اوستين ! ... أه ، حبذا لو قلت كلمة واحدة ! لاستقبلوها ، اذن ، كمعجزة سارة ... ربما !

« أه ، يا أبتى ، انني أسف الان على حالك ، مشفق عليك . لكن ، هيا تماثل الى الشفاء سريعاً لكي ابصق بعدئذ على عروض سيركنا المنحوس هذا كلها » ، فكر اوستين وهو يسمع كيف كانت تنطلق الى الفضاء ، من احد البيوت الكائنة في الطرف الاخر من القرية ، اصدااء حفلة توديعية في وقت متأخر من الليل ... لقد حملت الاصدااء الى اذنيه أهازيج الجاستوشكا المزوجة بضحك وبكاء بأصوات نسائية ...

«وغداً أيضاً سيطلبون دعوات جديدة لشبان آخرين ... ما يكاد الغائبان يفتحون عيونهم على الحياة حتى تتلفقهم ساحات الوغى ...»

تذكر اوستين وجوه الشباب الذين يعرفهم جيداً ، ممن تسلّموا صباحاً في مجلس شورى القرية دعوة الى الخدمة العسكرية . - غداً ستعمل النساء . وما لا تتمنى الاذن سماعه ابدأ هو عويل الامهات المريع .

كان يعرف ، كواحد من المقاتلين المجريين ، ديدن الحرب الحتمي والقابل - مع ذلك - للتعليل والتفسير في كونها نهمة ، تطمع باكثر المشاركين فيها يفاعه وفتوة ، من اولئك الشباب المتحمسين الغيورين دونما حذر ، والباسلين الجريئين لكن بغير مبالاة . لقد شاهد وجرب كثيراً ، وهو يعرف انه من الافضل للفتى المقدام ان يغفوسويعة زمنية فائضة من ان يتخندق بشكل اعمق ، من الاسهل له ان يعدو مزهواً تحت وابل الرصاص من ان يدب زاحفاً بصبر وأناة ... ان المقاتل المحنك المجرب قادر - بالموازنة مع الجندي الحديث العهد - على ان يظل سالماً أمنأ مدة اطول ، حتى ازاء كل ما تحمله الحرب من قسوة عمياء .

« لا بأس . عساهم يكونون محظوظين ! سوف يعودون - راح اوستين ، وهو يواسي امهات المجندين ويشاركهن عواطفهن ، راح يحاول في الوقت ذاته ان يطمئن نفسه ايضاً ، ان يخمد ما في صدره من سموات الائم البعيدة تجاه هؤلاء الفتيان المرذ الاغرار من ابناء قريته الذين يتوجهون الى جبهات القتال ... وكيف اذن ؟ لكل دوره . والافمن ذاك الذي سيكون هناك ؟ ان لم اكن انا ، اذن يجب ان يكونوا هم ... »

عندما كان يغادر دار والده خيل اليه ان ثمة شخصاً ما قد كمن عند البوابة وراح يراقبه . وقف اوستين جامداً في مكانه ، ثم اندفع فجأة الى امام . تحركت سريعاً الى الجانب ظلّال ، خفق على الارض وقع احذية خفيفة . ثم سكن كل شيء في ظلام الليل .

«اذن ، كانوا يسترقون السمع ، يختلسون النظر !... فكر بتوجس وحذر ، وفي الوقت ذاته بسخط واستياء .. وما الذي يختلسونه يا ترى ؟ اليس ثمة ورائي ولا امامي امور رديئة او محرمة او مزرية ... حسناً ، ولكنني اذا كنت قد جرحت روعي ، خدشت قلبي ، زرعت في جسمي دماً صغيراً ... فان ذلك كله يخصني انا ، هو ملكي ... وانني اعاني منه واتوكل اكثر من الجميع . ولن يعثر عليه احد ، لن ينكشف ما لم اظهره انا بنفسى . ولكن فقط بعد ، بعد ماذا ؟ ... ابعد الرحيل ثانية الى هناك ، مع هؤلاء الفتيان الاغرار في آن واحد ؟! ... لكنني سبق ان كنت هناك ، في تلك الاماكن !... نعم ارتدتها يوم كان هؤلاء يجرون في الدروب حاملين بايديهم مصيدات الطيور ، ويخطبون ودّ الصبايا ، لاعبين معهن ادوار العرسان ... فليجربوا الان هم ايضاً خوض المعارك !... راح اوستين يحث خطاه وسط الشارع ، متعثراً بكتل من الطين الجاف ، ثم اخذ يفكر بنفور محتدم ، مفاجيء ، في هؤلاء المجندين الجدد الذين كان ، قبل قليل ، يشفق عليهم ويشعر بذنب مبهم امامهم .

غير انه سرعان ما ازاح جانباً هذه الافكار والاحاسيس الشريرة ، التي لم تكن قد ولدت في داخله ، بل كما لو انها جاءت من الظلام الذي احتواه مريباً مسترقاً السمع اليه ومتربصاً به .  
«وماذا يجرب هؤلاء الفتيان الابرياء ذور القلوب الطيبة هناك ؟-  
وعاد يشفق من جديد على اولئك الشبان المجندين . - لا اراهم الله شيئاً سماً رأيتهم وابتليت به ...»

من زحمة الذكريات الحالكة الكثيرة الرهيبة ، برزت امامه واحدة

هي من اشدهن وضوحاً وأكثرهن تميزاً وظهوراً ... تلكم هي عملية نارو - فامينسك العسكرية . كان على بطرية المدفعية ان تطلع الى الاعلى وتحتل فوق المرتفع خطأ على الاتجاه الخطير للدبابات . غير ان الالمان اخذوا زمام المبادرة . كان الامر القاضي بمناوشة العدو ومشاغلتة من المرتفع قد صدر الى سرية طلاب المدرسة العسكرية الذين وصلوا على الشاحنات مباشرة من موسكو الى منطقة تمرکز بطرية المدفعية ... كانوا شباباً نضيرين ، شذبت شعور رؤوسهم باتقان ، يرتدون معاطف قشبية جديدة وجزماً جديدة ايضاً ، ملمعة كأنها اعدت مخصوصة نحفلة رقص ... كان شهر اكتوبر قد اطل : السماء ترذ ، والجورطب ندي ، والوحد في كل مكان ... اخذ طلاب المدرسة العسكرية مواضعهم قرب الاشجار ، جالسين او مضطجعين على الارض مباشرة . كان اوستين ينظر اليهم بقلق واهتمام : مع حلول الصباح ستغدو المعاطف الجديدة مبتلة وملطخة بالوحد ... وشعر بالاسف على المعاطف ! ...

عند انبلاج النور فتحت البطرية النار على المرتفع ، الا انها سككت بعد مضي عشر دقائق تقريباً ، وذلك بسبب شحة القذائف المدفعية . لم يكن اطلاق النار سوى عامل مشجع لطلاب المدرسة الحربية ، فهو لم يساعدهم الا قليلاً . فقد تمكنوا من الاستيلاء على المرتفع بوثبة افتحامية انقضاضية ، ببسالتهم الشبايية ، وبالغزير من دمائهم الزكية ... حرك رجال البطرية مدافعهم الى خط جديد ثم اخذوا بعد ذلك يساعدون طلاب المدرسة الحربية في جمع رفاقهم من القتلى والجرحى على سطح التل الذي احتلوه . شقوا في مكان قريب من الموضع حفرة قائمة الزوايا ، غير بعيدة الغور ، رصوا جثث القتلى في صفوف

مقاربة ، غطوا بأردية من المشمع وجوههم الشاحبة المتقعة ذات الملامح الغتية القريبة جداً من وجوه الغلمان الاحداث ، ثم طمروهم بالتراب سريعاً . لقد صعق اوستين وفجع لهذه الخسارة الهائلة التي حدثت ، هكذا في لمح البصر ، امام ناظريه يوم كان ما يزال بعد حديث عهد بالقتال كجندي مهذب في سلاح المدفعية . وراح يراقب ، بشعور من عدم الرضا ومن الغضب المر الحزين ، كيف اخذوا يهيلون التراب بسرعة على القبر الجماعي لشهداء تلك المعركة ، ملاحظاً في هذا التسرع شيئاً من القسوة الرعناء ، على الرغم من انه كان ضرورياً في حينه : فالعدو كان يربض على مقربة ويستطيع في اية لحظة ان يحول دون اداء الواجب الاخير تجاه الشهداء .

وبالفعل ، فما ان انتهوا من مراسيم الدفن العاجلة حتى اخذت الطائرات الالمانية تعوي في سماء الهضبة ، ملقية قنابلها بدقة وبحقد ، دون ان تنال عقاباً . ارتج المرتفع مترنحاً ، بدأ يتبجس بنافوراته الطينية التي بدت كثيفة للزوجة وشبيهة بكتلة متحركة . اصابت احدى القذائف القبر الجماعي الطري الندي فاخرجت بانفجارها الرهيب جثث الموتى ورمت بها متناثرة . عند الغسق ، بعد انتهاء القصف الجوي وارتداء هجمات جنود المشاة الالمان ، دفنوا ثانية جثثه الطلاب الممزقة ، في نفس ذلك القبر الجماعي المشوه ، وبفلس تلك السرعة المهينة نفوس الاحياء من البشر .

بعد ان فرغ اوستين من عمله ذاك ، ترك المساحة المملخة دماً ووحلاً ، دنا من بعض الشجيرات ، واصيب بالغثيان . كان جسده يرتعش برمته ، واحس كأنه عانى في يوم واحد من عشرة امراض في آن

معاً .

اقترب من مدفعه ، جلس على صندوق خال من العتاد وبدأ يبكي ، بصوت خافت ، في الظلام . كان طلاب المدرسة العسكرية يتراءون له ، واقفين قبالة عينيه المغمضتين ، متوردي الاذان ، مشذبي الشعر تشذيباً متقناً ، في معاطف جديدة ، وجزمات ملمعة تلميعه عيد . حاول ان يتذكرو وجوه الذين استشهدوا واصواتهم ، ان يعي جميع التفاصيل المتصلة بحياتهم تلك المفرطة القصر في بطرية المدفعية وعلى وجه البسيطة ، ان يحتفظ بهم جميعاً في ذاكرته لأجل احد ما ... وسرعان ما وجد نفسه يلتقي في عالم الخيال بأمهات الفتيان الشهداء ، متمثلاً كل واحدة منهن على انفراد ...

«ولكن لا بأس ... توكلوا ، متعكم الله برحلة ميمونة !...» اخذ اوستين يلقي على السنة الامهات عبارات النصح والتمنيات الطيبة التي تقال عند التوديع ... المهم هو ان تظلوا على قيد الحياة ، اما البقية فسهلة ، تتصلح ..

تسللت بمحاذاة السياج اجسام بشرية ، وحين انتشلتها من غيبوب الظلام اشعة الضوء الساقطة من احدى النوافذ ، تبين ان هناك فتى وفاتة . «هما يتبادلان القبل في آخر امسية لهما معاً . اما انا فأخيفهما بكون ان اقصد ذلك ... ها هما يرفرفان مثل حمامتين ، متنقلين من مصطبة الى اخرى ... صرت حتى نفسي اخيفها ، وعما قريب سوف احقل من ظلي ايضاً ...» -- فكر اوستين عابساً متجهماً ، واحس ان شيئاً ما يكبس في صدره حد الانكماش ، من فرط شعوره بوحدته الغريبة الشاذة وسط الناس .

دخل اوستين منزله الذي بدا له ، تحت الضياء الواهن الضئيل المنبعث من السراج الزيتي العتيق ، واطناً وضيقاً بالقياس الى مسكن والده الفسيح . غير ان الوضع داخل الغرفة كان عامراً ، مريحاً ... كان الولدان نائمين . اقتربت فروسيا من مائدة الطعام وهي في قميص النوم ، هيأت العشاء بسرعة وجلست قبالة زوجها الممعن في صمته ووجومه ، ابتسمت له ناعسة الطرف ، ثم عادت الى فراشها .

تناول اوستين طعامه بتثاقل وفتور ، مصيحاً بسمعه لشيء ما بعيد ، مما كان خارج حدود الدار ، خارج نطاق الصمت المخيم بسكينته على المنزل ، فراح يتخيل عويل النسوة ونحيبهن المفجع الذي يمزق الاقنعة ويفتت الاكباد ... انه نحيب الامهات الذي سينطلق غداً غد ، لحظة تشييعهن فلذات قلوبهن من المجندين الجدد ...

أطفأ القنديل . بلغ ، متعثراً في الظلام ، سرير النوم وأوى بلطف وهدوء الى فراشه ، مضطجعاً لصق جسد فروسيا الدافئ المت اخي ... مرت براحتها على خده الخشن خشونة ورق الصنفرة وشرعت تهمس بما

يشبه الصلاة  
- ها انك قد اجهدت نفسك في العمل ، لم يبق من وجنتيك سوى عظيمهما الناتئين . آه ، يا الهي ...



مسك اوستين يدها الدافئة ، أراحها على صدره ، غطاها براحة كفه الثقيلة واغمض عينيه مطمئناً مستريحاً ...

«لو همست في أذنها مرة واحدة !... أبي قد وثقت به ، أمنته على سري . وهذه ، انها زوجتي !... أه ، لوتقاسمنا الاثم معاً !.. فلعل ذلك سيخفف عني ...» فكر اوستين تفكيراً معقولاً وتذكر حكاية يريديخين المزعجة السمجة عن فروسيا ، تلك الحكاية التي صارت زوجته بعدها احب في نظره واغلى ، بل وانها قد سمت عليه ، في شكل من الاشكال ، بذاتيتها ، باستقلالية شخصيتها الانثوية التي ازادت رهافة وحدة في ايام الحرب ، وبصرامتها وجديتها .. كلمة واحدة لو همست بها همساً !.. لا تستطيع ؟ لقد التصقت مصاً بهذه الحياة ، تنقصك العزيمة للتملص منها . وذلك شبيهه باقحامك نفسك ، من جديد ، في هجوم تحت وابل من الرصاص ...»

... فجأة انجلى امامه ، صافياً صفاء شديداً ، وجه المقاتل المدفعي الكثيف الحاجبين كاميل ميرغالييف ، ذلك الجندي المقدم المقام والحاظق اللبيب ... أو ان اشتداد وطيس المعركة ، كاميل الذي سرعان ما يغدو ، بعد خمود نارها ، انساناً آخر ، ساهياً شارداً ، لا يدرك مما حوله شيئاً حين يلجأ مستنداً الى جدار الخندق او المخبأ ، مقرفصاً ، يكتب رسالة الى خطيبته نورية ... كان ذات مرة جالساً ينظم درره البلاغة اليها والدخان يتصاعق من تحته . «أولست انت الذي تحترق ، يا كاميل ؟- هزه بعض رفاهه الرابضين معه في الخندق .. ألا يبدوان معطفاً ينبعث منه الدخان ؟»- «ولماذا معطفي ؟ انها روحي تحترق»- .  
تمتم كاميل دون ان يتوقف عن الكتابة . لكنه جفل عندما سمع ضحكات

جنود البطرية : قلب احدهم جيب معطفه الداخن فسقطمنه على الارض  
عقب سيكارة ما زال مشتعلأ ، كان كاميل قد دسه في جيبه سهواً ... وفي  
الصباح ، حينما اندفعت دبابات العدو - فجأة وباعداد كبيرة - نحو  
البطرية ، عاد ميرغالييف ، في لمح البصر ، نشيطاً حثيثاً ولبقاً دقيقاً ...  
قاتل بجسارة وبسالة وكأنه يحاول في ذلك كله ان ينتزع من العدو سويعة  
هدوء واستراحة يكتب خلالها رسالة باشة الى حبيبته النائية نورية .  
كان كاميل ، وهو يبدع رسالة ما الى خطيبته ، عادة ما يحرك شفتيه  
قليلاً ، يبتسم ابتسامة ناعمة رقيقة ، كأن ليس امامه قصاصة ورق  
صغيرة دقيقة ، بل نؤارة مدهشة عجيبة !... اين هو الان كاميل ؟ أحي  
يرزق ؟ ... وقائد الكتيبة أستاشكوف ، «الاب الروحي» ذو الاربعين  
عاماً لأسرة البطرية ؟ لقد كان يدنه ، كخبير اثري وشغيل متحفي  
سابق ، ان يسعى ابدأ الى اعادة ترتيب الامور في ذاته . كان يحب  
الهدوء والسكينة . لم يكن يأمر رجال المدفعية الذين هم تحت قيادته ،  
بل يرجوهم ... إلا انه كان ، في الوقت ذاته ، رجلاً صلباً : سيد  
قراراته ... يأمرك دونما ضغط او اجبار ، لكن بطريقة لا يمكنك معها ان  
تتقاعس عن تنفيذ امره ، لان ضميرك سيضيق حينئذ عليك . وفي تلك  
المرة ، في معركة أولخوفاتكا ، حين كانت دبابات الالمان على بعد ما يقرب  
من منتي خطوة فقط من البطرية ، لم يضطرب أستاشكوف ولم يكثر من  
الحركة . كان يسير منحنيأ انحناءة خفيفة ، من مدفع الى اخر ، باعناً  
النشاط والجرأة في الجميع بوجهه الصارم الرصين ، معيداً العبارات  
التي قالها قبيل المعركة : «ارجوكم ، ايها الشباب ، ان تثبتوا .  
ارجوكم ... واذا اقتضى الامر فاطلب منكم ، راجياً ، ان تموتوا ...

ولكن اثبتوا !»

اين هو الان استاشكوف ؟ هل يعلم من امري شيئاً ، هل يتذكرني ؟.. وبطريقتنا ؟ ليتني القي عليها نظرة !.. ترى كيف هي الان هناك ؟... لقد مشيناها عبر المستنقعات الموحلة ، خلال الزوابع الثلجية المتدفقة ... السوداء من فرط الحقد ومن سناج البارود ، المتسمة من نتانة اثار الحرائق ... مشيناها شتاءً وصيفاً ، في الاجواء الخريفية الملبدة بالغيوم وفي الدروب الموحلات ابان الربيع الماكر البهجة ... تحت اشعة الشمس المشرقة كنا نحرس السماء بعيوننا ومتوننا وبما يعترينا من خوف مألوف ، وفي ضوء القمر كنا ، ونحن لا نكاد نغمض عيوننا ، نتجمد في قعر خندقنا ، ملتصقين بالارض العارية المكشوفة ... وعند اشتداد الحركان يلغنا الانهاك والضنى فنتلطف لقطرة ماء ... ونتباله فرحاً من رائحة معاطفنا وجواربنا ولفائف ارجلنا ، المبللة التي جفقت على لهيب النار ، ومن الانفاس الحبيبة الغالية المنبعثة عن قطع الخبز المتجمدة التي سرعان ما تنتعش ويعود اليها الدفء بين اسناننا ، ومن المذاق المقرف لمشروب الفودكا البارد الحديدي الطعم ... في كل لحظة كان يمكن ان نقع تحت غائلة الرصاص ، ان نحترق ، ان نتمزق ارباً وبتناثر قطعاً ... ولكن لا بأس ، جاءت سليمة !... لقد حطمتنا العدو مكاتفين ، كنا نعرف سبيلنا . اما الان فليس اسامي سوى حرب واحدة ، هي ان ادخل في صراع مريم مع نفسي !...

ضم اوستين يده زوجته الى صدره ثم راح ، بعد ان طرح جانباً تلك الافكار التي تخز النفس وتصعد الرأس ، راح يمزج عائماً في نومه ... كان محموماً ، اخذت تجري في ظهره تيارات هواء رطبة . كان مدثراً

بشيء مادافي ثم شرع يخطو بدون توقف ، لكن بعسر وقسر ، الى امام ،  
نحو جبل الجمل ذي السنامين ، الذي برز من خلال الضباب البارد .  
شعر - عبر متنه المتجمد الخدر وعبر قذاله - ببرودة نظرات الحشد  
الذي كان يسير خلفه ، مرافقاً وخافراً . كان في الحشد ثمة وجوه كثيرة  
مألوفة لديه ، لكنها كانت تعبر جميعها عن صرامة خرساء مبهمة وعن  
ادانة وشجب ... وكان في مقدمة الحشد كل من قائد الكتيبة  
استاشكوف ، المقاتل المدفعي ميرغالييف ، ثم طلاب المدرسة الحربية ،  
يسرون كلهم بتأن وببطء ، لكن بثبات وحزم ، حاسري الرؤوس ، في  
معاطف مفكوكة الازرار . وبعدهم سار اطباء المستشفى العسكري  
وممرضاته ، بأرديتهم الطبية البيضاء ، يتبعهم بالتعاقب كل من قاطني  
قرية كليوجوفكا : ستيفان ، فاسينين ، فيودور بريديخين ،  
نيوركا كوريوشينا ، كوزمادانيلوفيتش ، كوستيوشكا المحاسب ،  
ميخائيل أغايوف ، متوكناً على عكازتيه ، وجميع الاحياء والاموات  
الذين عرفهم - هو اوستين - ، رآهم ، التقاهم يوماً ما في حياته ...  
اجتمعوا كلهم هنا لأجله ، بسببه ... وعلى وجوههم كتب القرار الذي  
اتخذ سلفاً بشأن مصيره المحتوم . كانت الوجوه صارمة ثقيلة ، حالكة  
مستغلفة ، لارحمة فيها ولا غفران . وكلما ارتقى خطوات أعلى وابتعد في  
الجبل بدت النظرات الموجهة صوبه اشد صرامة واصعب مراساً . كان  
الناس سائرين ليقتلوه ، ولديهم الحق في ذلك ... في اعالي الفضاء كانت  
تخلق ، متتابعة دقائق نواقيس الكنيسة ذات الرنين الخافت الحزين ،  
التي أربكته الريح . وفي ورشة الحدادة ، التي ظهرت مكشوفة بكاملها  
وكانها من زجاج ، كانت الاصوات تولد وتنمو باطراد ... عند السندان

يقف بانكرات مرتدياً قميصاً ابيض اللون نظيفاً ويلوح برتابة وايقاع ،  
كرقاص الساعة تماماً ، يلوح ويضرب بمطرقته ، مجرياً حساباً ما ،  
مشووماً ، يندربسوء العاقبة المقتربة حثيثاً . توقف اوستين فوق اعلى  
ذروة في الجبل . ليس ثمة من مكان اخر يواصل السير اليه : المنحدر  
الشمالي قد انقطع ، انهار بهوة هاوية شاقولية لا قرار لها ، كسماء  
غرباء منتكسة مقلوبة . كان يهب من الهوة هواء بارد مشبع برطوبة  
الارض ، فراح اوستين يتدثر مرة اخرى بدثاره ما . لكن سرعان ما اقترب  
منه اثنان من طلاب المدرسة الحربية ثم شرعا ، بعد ان امالوا وجهه نحو  
الحشد ، يخلعان عنه ملبسه ... كانت الملابس كثيرة فنزعها عن كاهله  
تنزع الاوراق عن رأس كرنبة . «انظر اليه كيف توارى ، لكن لا  
بأس ...» - تتمم احد الطالبين . «سنبليغ الغاية ، بأية حال من  
الاحوال ...» - تكلم الطالب الاخر بحزم ... وبلغا المنتهى ، جرداه من  
جميع ملبسه الخارجية . فوقف اوستين امام الحشد بملبسه  
الداخلية واحس كأنه طفل رضيع استل من مهده الدافئ ووجد من  
قماطه في جوزمهريري قارص .

خرج من بين الحشد ستيان فاسينين ، استل من جيبه ورقة واخذ  
يقراً . لم يسمع اوستين اية كلمة مما قرأه ، لكنه عرف بالضبط انهم  
يتكلمون عليه قرار الادانة . اراد ان يصرخ ، ان يبين للجميع ، ان  
دسائهم : لماذا تجري الامور هكذا ؟ ولماذا يقف الجميع ساكتين ، الا  
من كلمة يقولها اي من الحاضرين ؟! قفوا ، ايها الناس !...  
انتظروا !..

في غضون ذلك انتهى فاسينين من القراءة ولوح ، امرأ ، بيده

الوحيدة ، فتقدم نحو اوستين اثنان من الجنود المجهولين ، رفعا  
بندقيتيهما ، إلا ان اوستين هوى ساقطاً على ظهره في اللجة الثلجية ،  
دون ان ينتظر اطلاق النار . ولم يدرك ، وهويتهاوى ، اكان يفكر ام انه  
بدأ يصرخ فعلاً : « ما .. آ ... ما ! » ، لكنه سرعان ما وجد نفسه وقد  
امسكت به يدان مجهولتان .

- اوستين ، اوستين !.. ما بك ؟ .. اهو انت الذي ناداني ؟ انت ؟ -  
هزته فروسيا وصرخت .

الترم الصمت . ولم تعرف فروسيا ، وهي لا ترى في العتمة وجهه ،  
ماذا حل به . فراحت تخضه ثانية وتساله :

- اوستين ، كنت الان تغمغم ، تصرخ ، تنطق بعض الكلمات ، اليس  
كذلك ؟ أم انني كنت أحلم ...

وثبت فروسيا من فوق اوستين ، منزلقة عن السرير ، عثرت على  
السراج واوقدته بيد مرتعشة . راحت تطالع ، متوجسة ، اركان الغرفة  
المعتمة وكأنها تفتش عن ذلك الشبح الذي كان قبل لحظات في مكان ما  
من الغرفة ، كان يسمع يحس ولكن ها انه قد تلاشى ، ذاب في شبه  
الظلام الناعس المخيم على الدار .

تناولت القنديل ، دنت من السرير ، ويعد ان اضاعت به وجه  
اوستين ، دارت على مهل ، مشوشة المظهر ، حاملة بيدها القنديل ، في  
الدار ، ملقية نظرات ارتياب على الجدران والنوافذ والسقوف ...

- أف لك ، عليك اللعنة !... انفجرت الباب ، وها هو تيار الهواء  
يتسرب الى اسفل ... تكلمت بصوت خافت ، دون ان توجه الحديث الى  
احد ، مبعدة بصوتها عن نفسها ذلك الرعب الخرافي الذي كان يوسوس

في صدرها .

اغلقت الباب باحكام ، اطفأت السراج وعادت الى الفراش ، لائمة  
نفسها ان قد اثارته في الدارضجة ... «أنى له ان يتكلم اذا كان مسلوب  
اللسان؟! .. أما نحن فليس لنا سوى ان نتخيل ، وان نحلم ... لا  
أبدأ ... ما دام الله قد قضى على اللسان ...»

ذات يوم ، طلب مدير المزرعة التعاونية من اوستين ان يذهب الى زريبة البقر ، لترميم سطحها الذي بدأ ينحرف ويتداعى ... عند الظهر وصلت حلابات البقر الى هناك . راحت تدور بالقرب من فروسيا بعض الصبايا اللواتي يعرفهن اوستين : ناستيا أغا يوقا والصبيتان الصهبوان ، كزهرتي عباد الشمس ، جينيا وأوليا ، المهجرتان من مدينة بسكوف . كان عمر الاولى ثماني سنوات والثانية تسع سنوات . ولم يظهر والداهما حتى ذلك الحين ، كما هو الشأن مع بعض اللاجئين من الاحداث الاخرين الذين يعيشون في قرية كليوچوفا .

- أوهو ، فروسيا ، أرى انك قد وجدت عنك بديلة ، أليس كذلك ؟ -  
هتفت مشجعة ، واحدة من الحلابات .

- نعم ، صحيح ... فأنا بحاجة الى اسبوعين ألعب فيهما مع هذا الذي ... ردت فروسيا في شيء من البهجة القابلة للعدو والتبرير ، وعلى محياها سيماء الحيرة والغيرة وهي تحجب بالمحلاب بطنها المدور الذي وتررداءها ومطه مطاً شديداً (منذ ما يقرب من عامين ونساء القرية متوقفات عن وضع المواليد الجديدة) . - يعني ، أريد ان أرغب ناستينكا في بقراتنا السمر الداكنات . هي الان تستطيع ان تحلب البقر .. لما تعد



صغيرة ، فقد نجحت الى الصف السادس .

عندما بدأ الحلب توقف اوستين عن الضرب بمطرقتة ، نزل من سطح السقيفة وذهب الى فروسيا التي كانت واقفة مع الصبايا قرب البقرة الضخمة الرقشاه ذات العينين السوداوين البلوريتين النديتين . ابتسمت له فروسيا ، دون ان تتوقف عن حديثها مع ناستيا :

... ليزونيا بقرة وديعة ، طيبة كريمة . حين تحلبينها تشعرين بالارتياح والرضا ... اما تلك التي عند السياح فاسمها جاروديكا ... انها نشيطة ماكرة وعنيدة مشاكسة . تحب دائماً ان تغرق فاهها على رغيف الغير ، تلحس اولاً علف جارتها ثم تاكل بعد ذلك علفها . اسمعي ، ناستينكا ، لا تذهبي اليها في البداية فارغة اليدين ... لن تتمكني عندئذ من حلبها . هكذا علمتني اُمي في سني شبابي : لا تربتي على البهيمة براحة كفك ، بل بحفنة من دقيقك ... وهاكم انظروا زفيوزدوچكا ، تلك التي تشرب الماء من المشرب . انها في اول نتاجها وتحتاج الى معاملة لطيفة بوجه خاص ... ها ، لقد رأيتني فبدأت ترسل خوارها ، هي الحبيبة العزيزة . هل تسمعنها كيف تخور ؟ انها تنادي وتتسكى . هيا بنا ، يا بنات ، نذهب اليها لنحلبها اولاً ، هي الغالية ... روماشكا ، زوريانكا ، روغوليا ، كراسوليا<sup>(٣٣)</sup> ... وشعر اوستين ،

٢٢ - هذه الاسماء التي اطلقت على البقرات لها دلالاتها المعنوية ... وقد جاءت - في معظمها - بصيغة التصغير لغرض التمليح والتحبیب .. وفي ادناه ما يقابل كلاً من هذه الاسماء باللغة العربية :

ليزونيا (اللاحسة - لحوسة) ، جاروديكا (الساحرة - سحورة) ، زفيوزدوچكا (نجيمة) ، روماشكا (اقحوانة) ، زوريانكا (الناقبة - نقوبة) ، روغوليا (ام القرون) ، كراسوليا (مليحة) .

وهو يسمع كيف تذكر فروسيا ، بحنان وملاطفة ، أسماء البقرات  
الفتيات ... ، شعر فجأة بالغبطة تجاه تلك الحيوانات ، وبغيرة مبهجة  
تجاه زوجته . «لشدهما تبدو ، هي نفسها ، مشتاقة الى كلمة حنان  
الاطفاها بها !»

ولكنه هو الآخر نادراً ما يسمع الان اسمه يدور على شفيتها ، انها  
تبخل كثيراً وتقترب جداً في استعمال الكلمات عندما تخاطبه ، مستعيضة  
عنها - مثله هو - بالاشارات والايماءات ... لقد حاولت بجميع الوسائل  
ان تظهر نفسها في مستواه ، كما لو انها لم تكن لترغب في ان تكدره  
بتفوقها وافضليتها . وبدافع الرأفة به كانت تبدو امامه وفي صحبته  
وكان قد اصيبت تدريجياً ، هي الاخرى ايضاً ، بالصمم والبكم . اللهم  
الا في لحظات التقارب الليلي بينهما ، حيث كانت تناديه احياناً باسمه -  
كما في السابق - اوستيوشا ، وتهمس في العنمة إماله اولنفسها ،  
ببعض كلمات الحنان الرقيق المتشنتة المتقطعة . غير ان هذه الكلمات  
كانت تثقل عليه اكثر مما تريحه .

جلست فروسيا ، بحذاقتها المألوفة التي بدأ يلوح عليها الان ذلك  
التأني المحبب الذي يميز النساء الحاملات عادة ، جلست الى جوار  
البقرة ومسحت ضرعها بقطعة من القماش . ربت اوستين على كتف  
زوجته واراد ان يذهب ، الا ان حديث الصبايا قد اوقفه .

- ولكن ، لا تخافا ! اخذت ناستيا تطمئن الصبيتين الصهباوين  
جينيا واوليا ، اللتين تسمرتا هلعاً وسط البهائم المختلفة الالوان ، التي  
انافت عليهما ، كالكتل الصخرية ، من كل جانب . فالبقرة كالبشر ، يفهم  
كل شيء . سوى ان هناك فرقاً واحداً فقط بينهما ، هو ان البقر لا يملك

القابلية على النطق . لكن هذا ليس بالامر المخيف ... فالعم اوستين هو  
ايضاً ليست عنده الان هذه القابلية ، ومع ذلك فلا بأس .  
- هذا افضل له : اغيظيه كيفما تشائين ، اشتميه .. فلن يسمعك  
ولن يرد عليك.. غبطت اوستين احدى الصبيتين الصهباوين التي غدا  
لونها الساطع - كما يبدو - مادة للحديث بين الصبيان في قرية  
كليوجورفكا .

- لا ، هذا ليس جيداً له ، ابدت الصبية الصهباء الثانية  
اعتراضها . فهو لا يعرف كيف تخور زفيوزدوچكا ، وكيف تضحك  
الخالة فروسيا .

حدقت الصبايا بنوع من الفضول الكئيب الى وجه اوستين من  
اسفل ... اما هو فقد وقف - لامرماً - ازاءهن بكتفيه الهابطتين هبوطاً  
صاغراً ، كما لو انه يفسح لهن المجال بان يملين النظر منه وكأنهن امام  
اعجوبة من الاعاجيب . نبيد انه لم يعد يواصل الانصات ، ابعد من  
ذلك ، الى حديث الصبايا ، استدار استدارة حادة مفاجئة ثم انصرف -  
متحاشياً البقرات - لمواصلة عمله ...

في شهر نوفمبر ، استلم اوستين اعلاماً بالحضور الى مقر اللجنة العسكرية . وفي اليوم نفسه غادر الى مركز المنطقة . لقد جعله هذا الاستدعاء السابق لاوانه يرض اذنيه ، يكون حذراً متيقظاً ، لان لجنة اعادة النظر في قضايا المعوقين يجب ان تعقد جلستها الخاصة به في شهر شباط . فلاي غرض ، اذن ، يطلبون اليه الحضور الى مركز المنطقة عاجلاً ؟ ثم ، لماذا الى اللجنة العسكرية بالذات ، وليس الى جهة اخرى سواها ؟!

وفجأة تشبثت افكاره بالمحاسب كوستيوشكا : «لعل الذي ثرثر هو انت ، ها ؟ اتريد ان تلوث سمعتي ، ان تشهر بي ؟ هاك ، اقرض بأسنانك !.. لن يكون الامر كما تريد . أنا بنفسى سأفعلها ، هل فهمت ؟ بنفسى ، وليس بالوشاية ، بنفسى سوف أقر بذنبي ... اما دون ذلك ، فحتى وان احرقتني بالنار فلن اقول شيئاً ، لن اسلم بعاري ، لن اقر عينيك ، ايها الاخرق اللثيم ، ياذا الساق المشوهة العرجاء ...»  
- ها ، ديخ !.. !... إجري ، حيايتي !- صاح ، مشجعاً نفسه ، بالفرس التي كانت تجر العربة ، ولم يعقه احد هنا ، في البرية الخالية من البشر ، عن ان يبتهج ابتهاجاً حاراً بصوته ويسمعه .  
في مقر اللجنة العسكرية ابرز للضابط الخافورقة الاستدعاء . قاده

الملازم الأوزبكي الاسمر الوجه ، ذو الساق الظالعة ظلوعاً شديداً ،  
قاده عبر ممر ضيق الى عمق المبنى ... بغتة ، اخذت تتساقط من عل  
ضروب عديدة ومختلفة من الطسوت والسطول والدلاء والقدور ، محدثة  
دويماً ولعلعة ورنيناً ... ارتد الملازم ، واثباً ونظر نظرة سريعة الى اوستين  
الذي راح يواصل السير بثبات ورباطة جأش .

- آه من عاملة النظافة ، هذه الخالة كلافا !... انها تكدس دائماً  
طناجرها<sup>(٣٧)</sup> في هذا المكان !- صبّ الملازم لعناته وهو يرفع احد الاواني  
من فوق الارض .

وصل اوستين الى نهاية الدهليز . ومن هناك اخذ يراقب الملازم  
ويترصده بتشبث وعناد . «لقد نصبت ، ايها الاعرج ، شركاً خبيثاً  
خبث الفجل البري !... انك انت الذي فزعت منه . اما انا فانظر ، لم  
يرف لي جفن . انا أصم ايكم ... هل فهمت ؟ انني لا اسمع شيئاً ، حتى  
وان قذفت علي القنابل بدل السطول !... وخير لك ان تنتهي من هذه  
الاختبارات والفحوص ... وما دام الامر كذلك فلن تحصلوا مني على اي  
شيء» -

كانت تتوهج في داخل اوستين ، دائماً، كرامة متهددة متيقظة ، لكنها  
مجروحة بيده هوداته . لقد أحس احساساً حاداً للغاية ، وعلى غرار ما  
صار يحدث له مراراً عديدة في الايام الاخيرة ، احس بأن هناك خطراً  
يدهمه فاستعد للدفاع بصلاية وعناد عن نفسه .  
لم يكن ثمة من احد في الغرفة التي بلغاها معاً ، لكن اصواتاً كانت

---

٢٣ - الطناجر : القدور (مفردها : طنجرة) .

تسمع خلف باب الغرفة المجاورة . انصرف الملازم وهو يري أوستين مصطبة قرب النافذة : اجلس هنا وانتظر حتى يستدعوك .

خرج من الغرفة ضابط اشيب ذو نظرة صارمة ، في وسطه نطاق مسلح . ابتسم بتحفظ وبتشاؤم ، كما لاح لأوستين . وبعد ان حياه مصافحاً طلب منه ان يتبعه . «ايه ، بدأت !... خفق قلب اوسبتين خفقاناً مضطرباً ، الا انه قمع خوفه بسرعة وراح يخطو وراء الضابط دونما وجل ... لكن لا بأس ! لن يكون هناك ما هو اشد هولاً مما ذقت وجربت . لن يوجد ما هو افظع ، قطعاً ... لقد استطعت ان احجب بجسمي كلاً من موسكو وستالينغراد وكورسك ، ايها الرفيق الرائد ..» بعد مضي نصف ساعة كان اوستين يهتز ككرة اخرى فوق عربة النقل ، عائداً من مركز المنطقة الى قريته . راح ينظر ، بعينين معتكرتين من فرح مدمع مقلق ، الى ما حوله من بقاع ممتدة بكآبة وامتهان على مستوى واحد من التسطيح ، الى اكداش القش الجديد ، والى الحقل الذي بدأ ، بعد ان جرد من غلاله ، موحشاً تلقي عليه الريح مبعثرة فوق جذاماته<sup>(٢٤)</sup> غرباناً شباعاً صامته واجمة ، كأنها قطع من اوراق سود صغيرة .. واحس اوستين انه مذنب وخزيان جداً فيما اتاه من خداع وتدليس .

في اللجنة العسكرية قلدوه نوط «الشجاعة» لبسالته واقدامه . وكان اوستين قد رشح لنيل الوسام منذ شهر تموز عام ثلاثة واربعين ، وقد نسي هذا الامر . وها ان النوط قد ادركه بعد مضي اكثر من عام فابهجه واقلقه حد الدمع . «كان من الافضل والاكثر ملاءمة لو استلمته في

٢٤ - الجذامات : بقياسيقان (او اعواد) الغلال المحصودة .

حينه ، يوم كنت هناك في الجبهة ، وليس الان . كان لي حينذاك صدر آخر ، غير هياب» .

في الطريق المواجه كانت تصادفه احياناً قوافل من العربات مشحونة بأكياس الحبوب . كانت وجوه النسوة والاحداث الجالسين في العربات متعبة ، لكنها مزهوة . وهذا الزهوانما اصفته عليهم تلك الاكياس التي كانوا ينقلونها وذلك الصريف اللذيذ الثقيل الذي كانت تحدثه عجلات العربات وكأنها تنئن تحت اعباء تلك الاشياء الثمينة التي كانت تحملها ... كان كل شيء في الطبيعة يعبر عن مهابة هادئة : ان الحقول والسماوات قد التمست ، تكريماً للبشر على جهدهم وكدحهم وغيرتهم ...، التمست الصمت والسكينة ، غارسة هدوء الخريف في حركات الناس وسكناتهم وفي أحاسيسهم وافكارهم ... وان الشعور بهذه الراحة والطمأنينة في دوامة الهموم والشواغل العسيرة ابان الصيف القروي ، كان من الامور المألوفة جيداً بالنسبة لأوستين ، وكان يتلقاها دائماً كشيء ممتع وملئم . وانه الآن يملك الحق في مثل هذه الراحة ، هذا المتنفس الخريفي في العمل ، لأنه لم يرحم نفسه ابداً أيام الحش والحصاد ، لم يوفرها اية راحة اطلاقاً . لقد ارهقها واعياها تماماً في سد وترميم الشقوق والفتوق اللامتناهية ، المتفاقمة على المزرعة التعاونية التي ندر فيها الناس . كان اوستين هو الحصاد والحداد في أن معاً ، وكان الناس يعتبرونه انساناً قوياً مكيئناً عظيم الصبر والتحمل ... وقد غطى العمل عنده على جميع مشاكل الذات التي كانت تشتد لديه - كداء لادواء له - في اوقات الفراغ بالذات . وهذه الوحدة الصامتة التي استغرقت ساعتين في الطريق المتدفقة على امتداد الحقول الخريفية

الموحشة ، التي بدت وكأن قد فترت فيها ، مخصوصاً ، جميع الالوان والاصوات ، لكيلا يشغل الانسان عن التأمل والتفكير ، هذه الوحدة قد ارهقت اوستين وأثقلت كاهله كل الاثقال . واخذت فرحته بالنوط تخبو وتتضاعل شيئاً فشيئاً ، لان الوسام لم يستطع ان يحرره من معاناته النفسية الرئيسية .

صار ينتفض وقد اخذ منه الاذى الذاتي المعتمل في داخله مأخذه ، ثم راح يصرخ فجأة بصوت واهن وكأنه يوجه كلامه الى شخص ما ، مستدلاً ومبرهنأ : «قلت لك لا تلمسه ، هذا الوسام !.. لقد دفعت عنه ثمنأ باهظاً من دمي ، لقد نلته بعد قتال دموي مميت . ان وساماً كهذا خالد الى ابد الابدین ...»

لف عنان الفرس على قبضة يده وأوى الى مفرش من القش مؤملاً ان ينسى ، ان يستسلم الى سنة قصيرة من النوم . غير ان مقلتيه ظلتا تنظران ، دون ان يرف لهما جفن ، الى الطريق التي راحت سنابك الفرس تذرعهما بكلال واعياء ... سار بالعربة طويلاً على هذا المنوال من ذهول السبات المشوب بالقلق . ثم وقف بغتة على ركبتيه ، ضرب كفل الفرس بالعنان وشرع يصرخ مخيفاً نفسه والفرس معاً :

- هيا اجري ، أ ... أيتها الشقراء ! لا حاجة بـ ... بنا ! ... إلى الرقاد والشجن . عـ ... عندنا الان عيد !... لو كناف ... في البطرية لعينانا من زمانٍ سـ ... سطلأ بكامله من الكحول . أ ... أما هنا ... فيا أنشوطة التفني عـ ... على رقبتى !... ليت الشيطان يـ ... يأخذني ! ... إلى جواره !...

شرعت الفرس تجري بخطوات واسعة . اما اوستين فقد بدأ يغني



بضراوة ، بصوت خشنٍ عالٍ وبكل ما في صدره المجهد والمتكمش صمّتا ، من قوة :  
- اصطبغ القمرب ... بلون أرجواني .  
- امواج البحر أنا شب ... شاهدتها ...  
أوقف العربية قليلاً قبل ان يدخل قريته ، بدأ يدخن مفكراً في امر ما .  
ثم فك ، من قلبة سترته ، وسامة الذي راح يلعب تحت اشعة شمس الاصيل لمعاناً ساطعاً ووضعها في علبة الصغيرة المغلفة .  
قرب دار اوستين كان يقف كوزما دانيلوفيتش منتظراً على احر من الجمر أوبة ولده .  
- لقد ضاع بصري من كثرة التحديق ، يا اوستين . منذ اول الغداء وانا واقف هنا انتظر مترصداً ... يا الهي !.. إيه ، ما وراك ؟ .. لماذا استدعوك ؟ وكيف سارت الامور ؟ - بدأ كوزما دانيلوفيتش يهمس همساً مرتعشاً وهو يتشبه بالعربة .  
- نـا ... نوطاً قلدوني - ردّ اوستين بهدوء وينبرة لا تخلو من مباهاة واعتزاز ، وهو يوقف العربية امام الدار .  
- دعك من المشاكسة الان ، هيا ... أنا أسألك جاداً . قلبي يقطر دماً ، وانث تهزل .  
- لست هازلاً . هاك انظر ! ... إليه ... ! ... إنه النوط حقاً .. اخرج اوستين اللعبة الصغيرة من جيبه وفتحها .. ا ... أنظر ، ما ا ... أجمله من نوط !.. ف ... في الجبهة لم يلحقوا ا ... أن يقلدوني ! ... إياه ف ... فلحقني ! ... إلى هنا ...  
نظر العجوز الى الوسام بفرحة يشوبها خوف ، مرّ عليه بأنامله

الخشنة وشرع يهمس :

- انظر كيف قاتلت بشجاعة ، بحيث اصنحت الازمة تتبعك حتى

عقد دارك !..

- في المساء ته... تعال ، يا ابي . وسادعوا اناساً اخرين . سنجلس

نه... نثرثر بعض الوقت ، نه.. نغسل الوسام .نه.. نشرب نخبه .

فلقد كان الحصاد جـ... جيداً هذا الموسم ، نه... ثم الوسام ها

هو... سوف نه... نرووح عن انفسنا قليلاً ، سوف نه... نغني .

سنمت العيش صـ... صامتاً طوال الوقت ، نه... نفسي تريد بعض

الراحة ...

نظر كوزما دانيلوفيتش الى ولده بتناقل ، نظرته الى امرىء مريض

اذا لم تقدم له يد المساعدة فلربما تدركه الازمة او النوبة ...

- انك تستطيع ان تفرح وتبتهج في اي وقت تشاء . وليست المسرة

كلها في هذا الوسام ...ها ان سيمكا غروليوف عنده اوسمة اكثر منك .

ولكن ، ما الفائدة ؟ منذ خمسة اشهر - اسمع !- خرمت الشظايا

صدره تخريباً لا سبيل الان الى ترقيعه ، لن يرمم أبداً . ان سيمكا

يذوي كالعشب في قبو معتم . لن يطول به الاجل اكثر من سنتين ...

بقيا صامتين بعض الوقت .

- اسمع ، يا اوستين . الفرس لا تحررها من عدتها ، بل توجه فوراً

لجلب اثاثك . سوف نقوم بنقل كل شيء قبل حلول المساء .

لقى اوستين نظرة مقطبة عابسة على وجه ابيه الشاحب ، ذي

البشرة الشفافة السقيمة ، ثم اشاح عنه متأملاً .

- اترى ان بيتي غير لائق ، ام انك تريدني ان اموت عاجلاً ؟...

تكلم ، يا بني . لماذا أنت ساكت ؟ ان الدار هي الان ملكك بالوثائق  
والمستندات . بإمكانك ان تسمح لي بالعيش معك ، وانت حر في ان  
تقصيني متى ما تشاء !  
ومن جديد لفهما الصمت حيناً من الوقت .

- يوم السبت يدعو مدير ادارة المزرعة التعاونية الجميع الى  
النادي .. كان حاصل الحبوب جيداً وغزيراً . سوف يكرم البعض وانت  
من ضمنهم ، كما سمعت .... تكلم كوزما دانيلوفيتش ، متقنفاً من اثر  
الرياح الباردة .

«لن يطول النفس بالودي كثيراً . يريدني ان احافظ عليه ... كأبن  
له ، بحكم وشيخة الرحم» - فكر اوستين وهو ينظر الى والده العجوز .

- الاجتماع يعقده فاسينين في النادي . سيدور الحديث حول  
الغلال ، حول الجبهة ، حول جميع القضايا الدولية . المحاضر ارسلوه  
من مركز المنطقة . ان الحرب ، هل تسمع ، تشرف على نهايتها . لقد  
فاتك الوقت في تقديم العون الى الجبهة - كانت تنبعث من صوت كوزما  
دانيلوفيتش ثقة السيد رب الدار - ايه ، هل يطول بنا الوقوف هكذا  
ونحن نقشعر في الهواء البارد ؟! هيا أدر العربية ... الحمولة الاولى  
ستكون للاشياء الاكثر ثقلاً : الصناديق واسرة النوم وما الى ذلك ... اما  
الافرشة والاواني فيمكن نقلها على الايدي ، بالتدرج فيما بعد .  
فلنذهب !... يا اوستيوشا ، كفاك تفكيراً . ها هي ذي الشمس بدأت  
تغرب ، هيا نسرع . صعد كوزما دانيلوفيتش الى العربية ، وبعد ان  
سحب الاغنة زعق بالحصان فأخذت العربية تتحرك .

استطاعوا ، وكانهم كانوا يلعبون ويهزلون ، ان يشحنوا العربية

الاولى ، ثم اردفوها بنقل عربية ثانية .. واذ بالدار قد امست مقفرة خالية ، والنواقد والابواب متفجعة جزعة في وحشة الظلام والفراغ التي لفت الدار بعد برحها ساكنوها ... على حين ازداد منزل الوالد العجوز ديدوشيف سعة ورحابة وهو يستقبل افراد اسرة الابن التي عجت الدار برنين صخبهم وضجيجهم المحيب ... وانغمر الجميع في حركة دائبة حتى ساعة متأخرة من الليل ، يسحبون الاثاث والامتعة ويصفونها ، موزعين ومرتبين كل شيء ، بعد ان وضعوه في مكانه المناسب . و اراد اوستين ان تشغل اسرته غرفة المدخل الواسعة الفسيحة ، لكن والده كان له رأي آخر ، افضل :

- انكم هنا لستم نزلاء مستأجرين ، بل اصحاب الدار . فلکم ان تشغلوا ركن الصدارة . هيا الى الغرفة الاساسية في المنزل ، الى المنظرة ...

بعد ان فرغوا من وضع كل شيء في مكانه ، وتعلق ما امكن تعليقه على الجدران ، مسحت فروسيا ارضية المنزل وبسطت في وسطه السجادة البسيطة ذات الصنع اليدوي المنزلي ، التي سرعان ما راح الصبيان يتشقلبان عليها لاعبين لعبة «دويرة مويرة» ... غير ان زعيق الصبيين وضحكهما وضجيجهما بدا منفصلاً على العزباء فأرارا هدها ووحدتها . لذلك وجدتها تجمع ، في صبيحة اليوم التالي ، حاجياتها وامتعتها وتبرح مغادرة الى دار اوستين الخالية التي كانت في انتظارها .

اثناء فترة ما بعد الغداء ، شاهد أوستين ، وهو خارج من الورشة ليدخن سيكارة في الهواء الطلق ، شاهد على الطريق الزراعي زوجين من الثيران يجران بالحبال شاحنة نقل كبيرة من طراز «ZIS-5». كانت الثيران والشاحنة تقترب من الورشة . لاحظ اوستين ان ستيبان فاسيتين كان منبطحاً على جناح الحافلة ومعتمداً على مرفقه وفي يده سوط يلوح به ، وأن نيورا كوريوشينا كانت جالسة في الكابينة خلف عجلة القيادة .

توقف الركب وسط الشارع ، مستديراً باتجاه ورشة الحدادة . وسرعان ما اندفع من هنا وهناك : من وراء الاسيجة ذات الاغصان المجدولة ومن خلف الابواب المختلفة ، اندفع الصبيان ملتفين حول الشاحنة ملتصقين بها من كل جانب ، داخلين في جوفها المخرق بفعل شظايا القذائف ، راكبين على اجنحتها الصفيحية المجعدة التي لم يترك الرصاص فيها وفي الزجاج الامامية موضعاً إلا اخترقه اختراقاً ... وجاءت النسوة ايضاً يتفرجن بفضول وحب استطلاع على شاحنة «الزيس» كما توقف عندها الحارس العجوز كوزما دانيلوفيتش ، وسكرتير مجلس شورى القرية سيمون غروليوف ...

— اية سيارة هذه التي لا تستطيع ان تسحب حتى نفسها؟! قالت ،

مستغربة ، احدى العجائز ، وهي تتفحص الشاحنة بعمش ..  
- سوف تسحب ، يا جدي . ولسوف ترين اي سحب ! - اجاب  
فاسينين بصوت عال وبحيوية ...، واثباً من سلم الشاحنة ، فاتحاً -  
بصريف - باب الكابينة التي لوحتها الشمس تلويحاً . ثم راح يقدم ،  
باحتراف ، نيوركا كوريوشينا . - هاكم الرية والربانة المنتظرة لهذه  
الحافلة الحسنة !... سوى ان ظاهرها قد اعطب في المعارك الحربية ،  
لكن لا بأس ، هذه أمور طفيفة ... الجوف سوف نستبدله ، الغطاء  
سنرممه ونزقعه ، صندوق نقل الحركة وكذا المحرك سوف يقوم  
الحدادون بتصليحهما لنا ...

نظر فاسينين باتجاه الورشة ، رأى اوستين ولوح له بيده . وفي  
غضون ذلك اثارت سيارة البيكاب المشحونة بالقش ضجيجاً مصحوباً  
بصريف خافت . اطل من الكابينة بريديخين ، فرمل ونظر ، دون ان  
يخرج من الحافلة ، الى شاحنة الزيس من اسفلها الى اعلاها نظرة  
مستخفة متقرزة نافرة ..

- أحقاً أنكم تأملون في ان تبعثوا الحياة في هذه القراضة المحطمة ؟ -  
قهقهه عالياً ، اوارمفتاح التشغيل وتحرك مواصلاً السير بالبيكاب .

- اين عثرتم عليها يا ترى ؟

- سال كوزما دانيلوويتش وهو يتفحص الجانب المهشم قطعاً ، من  
جوف الشاحنة .

- حصلت عليها ، بعد الحاح ، من الجنود العاملين خارج خطوط  
الجبهة ، في المحطة - وضح فاسينين وعلى شفقيه ابتسامة بهيجة - قلت  
لهم : ترى هل يكلفكم شيئاً ان تقدموا هذه الحافلة المشوهة الكسيحة

هدية للمزرعة التعاونية؟ .. انكم ، في كل الاحوال ، سوف تصهرونها الى معدن ...

لا باس بها من كسيحة! ... تحدث بقخر واعتزاز سيميون غروليوف . يبدو ان الشاحنة قد راقته منذ النظرة الاولى مباشرة - إن هذه «الزيسة» ستقوم وحدها ، بعد اصلاح عطبها ، مقام نصف وسائل النقل بالعربات التي تجرها الحيوانات في مزرعتنا التعاونية! ...

- حسناً ، وأخذ مسؤول التجهيزات يغمز لي ، متسائلاً : يعني هل من وليمة تقيمونها؟ - واصل قاسينين حديثه . فأجبتة : طبعاً ، وكيف لا . تفضلوا بما تريدون ، فودكا ، صالو<sup>(٢٥)</sup> ، زبدة ؟ ويسألني بدهشة واستغراب : أحقاً أن مزرعتكم التعاونية غنية الى هذا الحد ؟! فأجيبه : اغنياء نحن جداً ، طير واحد لسبعة اكواخ! ...! إيه ؟ ... وادرك مسؤول التجهيزات ذاك فوراً ، اي اثرياء نحن ونسي أمر الوليمة إياها . لكنه نظر الى نيوشا ، ثم سأل : «لمن تعود هذه ؟» قلت له : لمزرعتنا التعاونية . إنها سائقة جرارة . «هكذا اذن ؟ كل هذا وتتظاهر بالفقر والمسكنة ، ايها المدير الهمام! .. أنا ، بوجود امثال هاته الحليوات ، استطيع ان اصنع المعجزات!» باختصار ، لقد سجل حافلة الزيس باسمي ، قائلاً : خذها واذا انهارت في الطريق فلا تذكرنا بسوء! ... لن تكون ثمة داهية دهياء ...

سَرمدير ادارة المزرعة التعاونية باقتناء الحافلة سرورصبي ، وبادر في الحال الى ادخالها في حيز العمل .  
- لقد وفقت حتى في الحصول على بعض قطع الغيار والادوات

٢٥ - صالو : شحم . وذلك ...

الاحتياطية من هنا وهناك في مركز المنطقة ... اما الان فان الامر بيد اوستين !- التفت نحو الحداد ، ملوحاً اليه بيده .. أعلم انك الان وحدك ، بدون صاحبك ان يانكرات قد لازم الفراش ثانية . غير انني سأبعث اليك من يساعدك . وانا نفسي سأبذل جهدي ايضاً ...  
- وانا الاخرى ليس ورائي في الوقت الحاضر شغل كثير .. تكلمت ، وجلة ، نيوراكوروشينا .

- نحن في هذه الايام بحاجة ماسة جداً الى مثل هذه الشاحنة ذات الحمولة الثقيلة !- وشخطقاسينين ، اثناء حديثه ، حنجرته براحة يده اشارة الى الكثرة والتفاقم .. ويجب السعي الى جعلها جاهزة للعمل والجري ، جريان الدم من الانف !...

- ولسوف يجعلها حتماً ... ما عليك ، يا ستتيان ، سوى ان ترمي على عاتقه اعمالاً اكثر ، لكي يقلل من معاناته المتأتية من كثرة تفكيره في الحماقات والامور الطائشة ...- تكلم كوزمادانيلوفيتش بلهجة تتسم بالحدة والخشونة بعض الشيء ، مما جعل اوستين يجفل من كلمات والده هذه وينظر في عينيه نظرة مليئة بالاستفسار المشوب بالحذر الشديد. بعد ذلك اقترب صامتاً من الحافلة ، مسك الثورين الاماميين من لجام القنب وقادهما خلفه نحو الورشة . وسار كل من مدير ادارة المزرعة التعاونية وكوزمادانيلوفيتش جنباً لجنب ، على مقربة منه .  
- لاحظ ان اوستين يمشي ، في المدة الاخيرة ، مطأطء الرأس ..  
تكلم قاسينين وهو يدخن سيكارته .

- انه يجهد نفسه كثيراً ، يا ستتيان يغوروفيتش ... يتعذب . اوليس هو ذلك الانسان النافع المجدي للمزرعة التعاونية ؟!- تحدث كوزمادانيلوفيتش



دانييلوفيتش ، وهو ينظر الى اوستين ، بصوت مرتفع تصحبه ضحكة ساخرة قارصة .. ثم ماذا ؟ قد يكون على حق ... فهل يمكنك ان تتصرف ، ايها المدير ، من غير ان يكون في تعاونتك مثل هذا الحداد الماهر ؟ ماذا يحصل ، مثلاً ، لو ذهبت عنه الوثاءة واستدعي ثانية الى الجبهة ؟

نظر فاسينين مرتبكاً الى اوستين ، سكت قليلاً ثم اجاب ، ميتسماً ابتسامة ساخرة :

- لكنك اعطيته ، عندئذ ، حقاً مضموناً في البقاء حيث هو !  
- هكذا ، عملت لي من نفسك جنراً لاً دفعة واحدة !- علق كوزما دانييلوفيتش ضاحكاً .

- ولم لا ؟ ... انني ، في واقع الحال ، جنرال المزرعة التعاونية .. اجاب فاسينين مازحاً . ثم ضاف ، بعد ان سار بضع خطوات ، قائلاً :- نحن الان لا نستطيع ، بغير اوستين ، ان نتحرك من مكاننا ، لسنا بقادرين على ان نفعل شيئاً ... اجل ! هذه هي الحقيقة . ارجوك ، يا دانييليتش ، ان تساعد في جر هذه الممتلكات الى الورشة ثم خذا ، يعد ذلك ، الثيران الى الاسطبل . حسناً ، تركتكما بخير ، ايها الرجلان ! .. اما انا فاعلي ان اسرع الان الى البيدر ...

- انه لأمر مـ ... مخجل ، مـ ... مقرف . لم استطع ان انظر في عينيه .. اخذ اوستين يتكلم بهمس لاذع ، وهو يتتبع بنظراته خطوات فاسينين الذي انصرف مبتعداً .

- وما الامر الذي تخجل منه ؟ هل سمعت ما قاله ؟ سيعطيك ضمانة بالبقاء في عملك اذا زال عنك العوق . لن يسمح المدير بانصرافك من هنا ،

لأنك شخص مهم للغاية ، وهو نفسه بحاجة ماسة جداً اليك .. صرخ  
كوزما دانيلوفيتش وقد لاح عليه الغضب .

- وما حاجتي الى مثل هذه الضمانة؟! .. انني مـ ... مسرّح بقرار  
طبي .

- حسناً ، وما الذي تحتاجه اذن؟! عش حياتك ما دمت قد اعفيت  
من المشاركة في الحرب ...

- عش وأمسك عن الكلام ، يـ ... يعني؟! -اضاف اوستين ، بلهجة  
ساخرة قاسية ...

- حسناً ، اذهب ، اذهب ، اذهب! .. أعلن للجميع ، بلغهم بما  
تريد! -بدأ كوزما دانيلوفيتش يصرخ ، متلفتاً .

- و ... ولكن! -صاح اوستين ، مسجلاً على نفسه وعلى والده ذنباً  
جديداً برز فجأة - أ .. أعلن؟! أ .. أبلغ؟! متى؟ بعد ان صـ ...  
صمت أ ... أمام الناس شهراً بكامله؟ ... بماذا عساهم ان يـ ...  
يفكروا؟ سيقولون: «كان دائماً يـ .. يسمع ويـ ... يتظاهر ، نكي  
يـ ... يظل ماكتأفـ ... في المؤخرة!» لا ، يا ابتاه ، كان يـ ... يجب  
الابلاغ مباشرة ، منذ ان بدأت أ ... أتكلم . لقد أ .. أغفلت ، أنا  
بنفسي تلك الفرصة ...

- اذن ، فهذا أنتذا بنفسك ترى ، - تكلم كوزما دانيلوفيتش بلهجة  
مسائلة مسترضية - وما الذي قلته انا لك؟ لقد أغفلت ...

صمت اوستين بعض الوقت ، فك من الشاحنة عريش العربية مع  
الثيران ثم نظر الى والده ، وهويناول لجام القنب ، نظر اليه في عينيه -  
اول مرة في حياته - نظرة غاضبة ، بل وحتى متوعدة .

أمسك كوزماد انيلوفيتش بالحبل وبدأ يكثر من الحركة قرب  
الثيران ، هارعاً الى الانصراف بأسرع ما يمكن عن الورشة ، وعن  
اوستين ...

لم يكن الاجتماع الذي عقد في النادي الامبعث ألم جديد لأوستين وإلا تفجيراً للدمل الكامن في ذاته ، على الرغم من ان كل شيء قد سار ، في الظاهر ، سيراً حسناً وباعثاً على الفرحة لو اراد هو ان يفرح . فقد كان اوستين واحداً من اشخاص جديرين قلائل نالوا مكافأة مجزية قوامها ستة عشر كيلو غراماً من الطحين وخمسة لترات من الكيروسين ونصف سطل من صابون القطران ، مما كان يشكل يومئذ جائزة كبيرة لا يستهان بها ابداً : فالصابون والكيروسين نادراً ما كانا يصلان الى القرية ، وكانا يباعان بمقادير طفيفة وضمنية جداً مثل جرعات الدواء ؛ وكان سكان قرية كليوچوفاكا يرحلون احياناً الى محطة القطار ليقايسوا الصابون بما يحملون معهم من غسل وقشدة رائبة .

غير ان المكافأة الأشد ايلاماً وتمزيقاً والاكثر دمغاً وتقطيعاً بالنسبة لأوستين ، كانت تلك الكلمات التي دوت على شفطي ستيبان فاسينين :  
- كيف يعمل اوستين كوزميتش ؟ نحن جميعاً نرى ونعلم ... وعلى الرغم من انه لم يستطع ان يحدثنا ، بأية حال من الاحوال ، عما صنعه في خطوط الجبهة من مآثر بطولية ، الا ان وسامه قد تحدث عن ذلك . فمئذ وقت قريب جداً نال اوستين ديدوشيف نوط «الشجاعة» . ذلكم هو اوستيننا ، ايها الرفاق !.. انه معوق ولكن حدثوني ، بربكم ، هل قعد

يوماً أو توائى ساعة عن العمل ؟ .. شكراً لك يا أوستين وانحناءة هامة حتى اديم الارض من جميع افراد مزرعتنا التعاونية ! ..  
رأى أوستين كيف كان الناس ينتسمون له ، ناظرين اليه بعطف واحترام . فلم يستطع عندها ان يتظاهر ، ان يتخذ هيئة من لا يسمع . لقد شعر ، صراحة ، بالخجل والارتباك واحمر وجهه من كلمات مدير ادارة المزرعة التعاونية ومن الرعاية العامة الشاملة التي احاطته من لدن الجميع ، حاساً أنه هنا انسان زائف كاذب ، لا يستحق كل هذا الاهتمام .. كان الناس صادقين وصريحين معه ، اما هو فقد انغلق على ذاته واقفل دونهم لسانه .

اعطيت الكلمة لسيميون غروليوف . فنهض من مقعده وخطا نحو المنصة الخشبية ، جاراً ساقه اليسرى جراً واهناً ، وقد بدت عليه اثار السقم والضعف والنحول واضحة جداً . بدأ يتحدث ، مغالباً نهجانه وضيق نفسه ، عن النصر العاجل على الالمان ، وراح يهتف في ألم ممض بأسماء الشهداء من ابناء قريته الحبيبة كليوجوفكا .

- ... ولا تسمحوا أبداً بان ينال الضيم والاذى من ارضنا الغالية مأرباً . ان دماغنا ودموعنا سوف تسيل غزيرة لدرء الاساءة عنها . انني اتذكر جيداً جميع رفاقنا الذين واريناهم التراب في اديمها الطاهر . انهم محفوظون عندي ها هنا !...- وضرب سيميون بيده على صدره .  
«هوذا الانسان الذي يستحق الحنان والتمجيد حقاً ، اما انا فلا ...  
هوذا القتل حتى الجذر» ،- فكر أوستين ثم سار لاستقبال غروليوف الذي كان يرتعش خائراً القوي بفعل خطابه الانفجاري المؤثر . اسنده أوستين كما يسند جريحاً في ساحة المعركة ، وأجلسه الى جانبه .

اعطى فاسينين الكلمة لمقاتل اخر هو فيودور بريديخين الذي راح  
يمشي نحو المنبر بخطى ثقيلة . وقف قليلاً ، كاشاً عن وجهه اللامع  
المسفوع الذي لوحته الشمس ابتسامة الرجل العملي الواثق من نفسه ،  
المعتد بها ... ثم نظر الى الناس من عل الى اسفل نظرة مهيبه واجمة  
وشرع يتكلم بصوته الخطابى الجمهورى المدوي :  
- اراد الفاشست ان يخضعونا عنوة ، لكننا وقفنا كلنا وقفة رجل  
واحد . ولم تذهب دماؤنا ولا هذه الجراح ، - هز بريديخين على المنبر كفه  
المصابة ، - هدرأ . وانه لقريب جداً يوم ...

استمر بريديخين يتكلم كلاماً طويلاً ورتيباً .. اما اوستين فقد كان  
جالساً يفكر بسيميون غروليوف وصدرة الذي خرقتة الشظايا ، وكيف  
ان سيميون هذا الانسان الواهن العليل كان يتصبب عرقاً ويستنفد  
ذاته فوق المنبر ، ذلك لانه كان يخرج كل كلمة ينطق بها من روحه ولبه .  
« اما هذا ، فأى انسان هو ! يلتهب وجهه احمراراً كما الجمر ،  
بحيث انك تستطيع ان تجفف عليه لفائف ساقيك ! .. مثل هذا المخلوق  
بمقدوره ان يلقي عشر خطب اخرى . انه مستعد لان يتحدث ، يهذر  
نيابة عن جميع من قاتلوا على خطوط الجبهات ، الاحياء منهم  
والاموات . ان صوته وصحته هما فائضان عن الحاجة الى حد  
بعيد ! » .

مرة اخرى بدأ يتململ في ذات اوستين احساس ثقيل بالنفور من  
بريديخين وضرب من الحسد المهين نحوه : ان بريديخين ، بكل ما فيه  
من لغو عقيم ورعونة سلوكية وتصرف أهوج في حياته اليومية ، هو

بالموازنة مع أوستين يمتلك ، على كل حال ، وضعاً أفضل . انه يعيش واضحاً مكشوفاً وسط الناس ، وان تصرفاته واعماله - حسنة كانت او رديئة - تجري كلها على مرأى من الاخرين ... وما كان أوستين ليترغب في ان يرى بريديخين في داره ، غير انه دعاه ، جاهدأ نفسه على مضض ، للحضور بعد فض الاجتماع الى ضيافته مع غروليوف وفاسينين . وكان كل الذي أتاه أوستين في تلك الامسية مخالفاً لميوله الروحية : اراد ان يشرب ، بمناسبة الحادث السار ، على قدم المساواة مع الاخرين ، لكنه اقتصر على كأس واحدة وحسب ، كان بوده ان يبهج ، ساكورديونه واغانيه ، رفاق الجبهة من المصابين والمعوقين ... بيد انه جلس صامتاً معقود اللسان ، على حين كان الرجال يقرعون الكؤوس تلو الكؤوس نخب نوطه وصحته ، ونخب الوثام والالفة والمحبة في مسكنه الجديد .

- ولكنك ، يا أوستين ، تبدو غير مسرور ، اليس كذلك ؟ - حدق سيميون غروليوف ، مخموراً ، في عيني أوستين .

- ان يكون مسروراً ، طبعاً انه مسرور ، - اجاب مدير ادارة المزرعة التعاونية ، نيابة عن أوستين ، - لكن ، انتم انفسكم تدركون ... ها نحنذا نثرثرونضحك ، يستطيع احدنا ان يقول للاخرما يريد قوله ، أما هو ؟ ... تراه جالساً معنا ، كما يبدو لك ، غير انه في واقع الحال ، وحيد ، بعيد عنا في صمته الهادئ ، في بكمه الاصم . وحيد فريد ، كأنه في بيداء مقفرة موحشة ... وهذا ، ايها الاخوة ، امر يحتاج ايضاً الى مقاومة وقوة احتمال ، الى تمالك نفس ثابتة ، لا تتكسر .

- ايه ، ان اموري اسوأ ، لكنني عايش كما ترى . ان لم يدركني الاجل اليوم فلربما سيأتي غداً . ان فيدكا وحده هومن تنتظره مئة سنة

اخرى من العمر - تحدث غروليوف ساعلاً ، متنحنحاً وهو يشير  
باصبعه الى فيودور بريديخين .

- الشجرة اليابسة يطول صريرها ... اخذ بريديخين يشجع  
سيميون وينشطه .

نظر كوزمادانيلوفيتش الى بريديخين نظرة شمزاء ، ومن غير ان  
يفسح للحديث مجالاً بان يدور حول اوستين وضحته ، توجه بالكلام الى  
مدير ادارة المزرعة التعاونية :

- ما هذه اللعينة التي تمصها ؟ الذي اعرفه هو انك لم تكن تدخن ،  
أليس كذلك يا يغوريتش ؟

- حقاً ، لم اكن ادخن سابقاً ، لكنني ما ان باشرت ادارة المزرعة  
التعاونية حتى غرقت في الدخان . يصادف انني اتمدد ليلاً في فراشي  
وافكر : من اين وبم ابدأ غداً ؟ لن تكون عجينة خبزك سميكة كثيفة ، ما  
دامت عنابر غلاك خاوية نظيفة ...

- اوستين !.. مالك حزيناً مهموماً ؟! - قاطع سيميون بصرخة مذبذبة  
حديث مدير المزرعة التعاونية ، وقد غطت وجهه القاحل المتقلص بقع  
حمراء - لا ، هيا اشرب بحق وحقيقة ، ابتسم لنا ابتسامة الابطال  
الباسلين !..

- لا تلح عليه ، يا سيميون !.. دعه وشانه ، اهدأ رجاء !.. انسييت  
كيف كان اوستين قبل الحرب ؟.. اما الان فهو ليس بقادر على العودة  
الى ايامه تلك . وهذا هو سبب غمه وكربه ... حسناً ، ايها الرفاق رواد  
الجهة ، لقد ان لنا ان نلزم حدودنا ، ان نتوقف . فكل مناشئة من  
ينتظره الان في داره ... شكراً لك يا فروسيا ، شكراً لك يا اوستين !-



افاض ، ممتناً في توجيه الشكر، ستيبان فاسينين وهو يتلمل ناهضاً من على كرسية .

- ان شئت فأتنا مستعد لان انحنى راعاً امامك ، أقف على ركبتى اجلاً! .. اندس سيميون غروليوف محتضناً أوستين وقد احمر وجهه من ألم . لكن برید یخین تلقفه نحيفاً ، مثل حدث غرير وراح يقوده ، بل يحمله تقريباً ، الى خارج الدار ...

أوستين !.. بعد انتهاء الحرب ، يوم تغدو ورشتك غنية بالحديد الوفير ... كلميه يا فروسيا ، وضّحي له بأصابعك ، فهميه عني !-صاح سيميون عند عتبة الدار بصوت مرتفع مخمور ، وقد افلت من بين ذراعي برید یخین . اذا ما أصبحت ورشتنا غنية بحديدها اعمل لي بمطرقتك سياجاً حول قبري لكيلا تسرح المواعز اللعينات فوق لحددي . تذكر ، يا أوستين ! سياجاً ... يصون ضريح العريف أمر الجهاز المضاد للطائرات . لكيلا تدوسه المواعز اللعينات !..

غبّ هذه الامسية بدأ أن ثمة شيئاً ما قد انغلق ، انشق نهائياً ، في ذات اوستين . لقد أمست الحياة التي كان ينشد لها الخلاص ، دون وعي او قصد منه ، أمست عالة عليه واخذ يضيق بها اكثر فاكثر ...

الى جانب اعمال الحدادة التي اخذت تتناقص تدريجياً قبيل حلول فصل الشتاء ، كان اوستين يدور حول بيوت الارامل وزوجات الجنود المقاتلين في الجبهة ، يرمم الاسيجة والسطوح ويقدم الخدمات الممكنة ...

وحين بدأت تتناثر البواكير الاولى من الثلوج ، كان اوستين قد انتهى من اعادة تغطية سقف حمام نيويورك كوريوشينا . ولقد قامت بمعاونته معاونة جيدة وجادة في عمله هذا ، غير انها لم تجرؤ في هذه المرة على ان تبتسم او تبش له ، متذكرة - على ما يبدو - وان اللقاء به في ورشة الحدادة ، يوم صدها عن نفسه صدأً فظلاً غليظاً ...

لقد أثابته نيويورك لقاء عمله اليوم بالنقود ، كما لو انه شخص غريب مستأجر .. فحرّ ذلك في نفس اوستين وانقبض صدره انقباضاً كئيباً . رد اليها النقود وخرج من دارها شاعراً بأنه قد أهين اهانة كبيرة . «لقد بعثرت رعباً ، في تلك المرة ، كلُّ الرقة التي كان ينبض بها قلب هذه المرأة . فهي الآن ، انظرُ اليها ... لا كلمة رقيقة تقولها لك ، لانظرة حنان دافئة تطل بها عليك ، كأنها خرساء» .

لحقت به نيويورك ، ادركته عند البوابة الخارجية ، أمسكت براحه كفه والصقتهما بخدها . وفي اللحظة ذاتها استدارت فجأة وأخذت تجري

مسرعة الى الخلف ، نحو سقيفة الباب . «يالها من امرأة !» - عبر اوستين عن دهشته وهويتتبع اثرها بنظراته . وقف قليلاً عند البوابة ، باعد ما بين يديه مستغرباً وعاذراً في أن معاً ، ثم خرج الى الشارع . وقد بدا أنه من غير المناسب تماماً ، بل وليس في محله قطعاً ، أن تقفز الى ذاكرة اوستين عبارات نيوركا القديمة : «ما حاجتي الى الفراش الناعم الوثير إن لم يكن ثمة من رجل يشاركني الرقاد فيه؟! ... في أحلامي اراك ، أقبلك يا أوستينوشكا ...»

سار اوستين وهو يفكر : « في المنام ايضاً ارى بعض الاشياء ، يا نيورا ، ولكن ها ... ما استطعت أن اقدمه من عون قدمته .»

في طريقه الى البيت عرج على منزله القديم ، جلس بعض الوقت مع فارقارا ، مستعلماً : هل أعدت المسكن جيداً لاستقبال موسم الشتاء ، أمن مساعدة يقدمها لها؟ «شكراً لك يا اوستين . الدار دافئة . وهل تراني بحاجة الى الكثير؟ قدمت من المخبز ، أوقدت الفرن الحجري واستلقت على جنبي ، - راحت فارقارا تحدثه بالكلمات والاشارات ، فشعر بالارتياح والرضا أن ليس لدى قريبتة ثمة من مظلمة ضده أو احساس بالاستياء منه .

أصبحت فارقارا في الايام الاخيرة مرحلة هادئة ، معتدلة - الى حد ما - في تصرفاتها . وقد حزر اوستين سبب هذا التحول الذي طرأ عليها . كانت شارقارا ، قبل الحرب ، هي المرأة الوحيدة التي تعيش بانفراد وعزلة في القرية كلها . وكان الناس يأسون لحالها ويلذعوتها ، هي العزباء التاعسة المسكينة ، التي ضامها الله . أما في الوقت الحاضر فان الارامل «الوحدانيات» صرن يغطين نصف القرية ، وانها الان تبدو كما لو انها قد

تساوت في كربها وسوء حظها المتمثل بعزوبتها وبغياب سعادتها الانثوية في احضان الرجل البعل ، تساوت مع النساء الاخريات ، فأصبحت الحياة بالنسبة لها أسهل واخف وايسر مما مضى .

«كانت تنتظر موتي ، تتمناه ، تذكر اوستين ، بدون رغبة منه ، تذكر وهو يغادر قارقارا ، ما حكا له والده عنها . ان قلب المرأة حين يخلو من حنان الامومة وهمومها يغدو قاسياً عاتياً . لولم أعد من ساحة الحرب حياً لكان من المستبعد والمشكوك فيه ان تشفق قارقارا على فروسيا وترق لولدي الصغيرين . لكانت قد شغلت دونهم المسكن كله ، لافرق بينها وبين أبة تاجرة مرايية ...» ولكن ، لتعض الان على نواجذها ، ولتمسح بوزها ... أنفخي أنفك يا قارقارا !.. ان يدك الان قصيرتان . وستبقى الدار لأطفالي في كل الاحوال ، حتى وان لم اكن موجوداً على قيد الحياة» .

تشبث اوستين فجأة ، وهو مستغرق في تفكيره ذاك ، تشبث في لحظة من لحظات التجلي وصحوة العقل بهذه الفكرة الاخيرة التي أوحى اليه بفراق أسرته ومغادرتها . ان فكرة الأحبّة هذه حملت الى نفسه ارتياحاً مشوباً بالمرارة ، وهونت على ذاته بعض التهوين ، بل ورمت عنها جزءاً من تبعاتها المرهقة الثقيلة .. لن تقف فروسيا عائقاً دون تنفيذ فكرته هذه ، انها ستفهم كل شيء ... لم تكن بينه وبينها في يوم ما اسرار وخبايا أبداً . واليوم ايضاً لا يمكن ان تكون . أما سرّه الراهن ، الذي يحمله الان وحده فقط ، فهو سرّ خاص به هو وحده ، سرّ غادر ، مؤذ ، خبيث ... لكنه مؤقت . ولم يكن ثمة من داع لجرّ فروسيا الى حماته العميقة وايقاعها في شركه القاسي . وما كان في استطاعة زوجته ان تعينه في شيء . ولأمسى في الدار ، مقابل ذلك ، معذبان مسهدان اثنان ، وقلبان ملومان اثنان .

كان يخيّل الى أوستين أحياناً ان فروسيا أشبه بساحرة ، تقرأ في عينيه سره الطالح الخبيث ومعاناته القاسية المكتومة وتريد ان تساعده . كان يلتصق بها كائماً ورائعاً ، بصعوبة جمّة ، تلك الكلمات التي تريد أن تنطلق من صدره ، يلتصق بها موسوساً - كالتصاق طفل عليل بصدر امه الحنون - والدموع تجول في مقلتيه . وكان أحياناً يتسمر مأخوذاً ويجمد كالصنم وراء عمل ، يجلس ذاهلاً مبهوتاً متردداً ، منشغل البال ، لا يعرف ماذا يصنع ، لا يعي ذاته ولا يلاحظ ما يدور حوله . وكانت فروسيا ، وهي تحاول ان تعيده الى دنيا الواقع وتنتشله من غشيانه المرعب هذا ، كانت تهزه من كتفيه وتبدأ تنوح وتندب بصوت عال متنبئة بحدوث كارثة ما محتمة وبمجيء بلية ما زاحفة من مكان مجهول :

- يا الهي ، ترى ما الذي حل بك ، أوستينوشكا؟ اية سويداء ملعونة هذه التي تقرضك وتعذبك ليل نهار ؟ كيف أستطيع ان اصبر نفسي وانا اراك تجف وتذبل سقماً وضنى أمام ناظري ؟! عما قريب ستدرك أباك في نحوله وهزاله . هيا حدثني يا أوستيوشا !.. ألا يكون هذا من عين اصابتك ؟! إذن تعال بنا نذهب الى الجدة أوفسيانicha ، فلعلها تستطيع ان تخفف عنك ، تنزع منك عين السوء ان تكن متلبسة فيك . اما اذا لم تكن فيك ، فعلام اذن اجهاد النفس هذا او تحطيمها حتى الموت ؟!.. ان كل شيء عندنا على مايرام : لدينا دار جديدة ، الطفلان في صحة جيدة ، المائدة عامرة دائماً بما يكفي ، ونحن - الاثنتين - مازال امامنا متسع من العمر ، نكدح ونعيش بعرق الجبين ، والحرب ها هي ذي تشرف على نهايتها . كل شيء يدعوننا الى الحياة .. هات قل لي ، أوستينوشكا ، ما بك ؟

اين موضع الداء فيك ؟ تعال ننظر قليلاً ، أية علقة<sup>(٢٦)</sup> خبيثة هذه التي تمتص من روحك ، من مهجتك ؟ من ذا الذي دبر لك مثل هذا القصاص ؟ ...!

« أنا الذي عاقبت نفسي بنفسي .. وانا الذي سأجتلي ، ملتهماً كل شيء بدون امتناع » ، - فكر اوستين متجهماً ثم ابتسم ، شارداً الذهن ، لفروسيا . أما هي فقد اقتنصت في مقلتيه الحائرتين المهمومتين بصيص تدبيرٍ ما ناضجٍ ، مقلقٍ ، منذرٍ بالخطر ...

---

(٢٦) - العلقة (جمعها علق) : دودة من العصيلة العليقة ، تستعمل كعلاج لامتصاص الدم من جسم المريض .

ذات يوم تأخر أوستين في عمله بالورشة ، ولم يصل الى داره إلا عند عتمة الظلام . وقد بدأت تتولد ، حينئذ ، باكورة عاصفة ثلجية صغيرة خفيفة . كانت ندف الثلج تدور بسرعة كالدوامة ، متجمعة في جداول صغيرة من رياح ثلجية ضاربة الى البياض ، جارية على مستوى واطيء يكاد يلامس وجه الارض وراحت تندفق ملتوية كالافعى عبر الطريق الذي بدأ يتجمد . لكن دون ان يكسو الثلج بعد ... ومن مكان ما في الزقاق ، بلغ السمع نحيب نسائي خافت مكتوم . وفي اللحظة ذاتها تقريباً ، اندفعت خارجة من ناصية الشارع قامة لفتاة شابة مألوفة .. وسرعان ما مر من احدى النوافذ خط من ضياء ، كاشفاً عن وجه ساعية البريد تانيا فاسينينا ، التي مرت على عجل بالقرب من أوستين دون ان تلاحظه او تراه ... كانت تنشج ، كامة فمها براحة كنفها وقد انحسر رأسها ومال شالها الوبري منحدرأ على كتفيها .

توقف أوستين ، مصيخاً بسمعه : كان بكاء النسوة وحديثهن يطرق الاذان من عتمة الزقاق . انعطف خلف الركن ورأى : على مقربة من دار كلافديا اوسينكوفا ، في الفسحة المغطاة بطبقة ثلجية خفيفة ، كانت تلوح ضاربة الى السواد ، اجسام نسائية شبيهة بسرب صغير . ومن اعماق المنزل كانت تنطلق ، من وقت لآخر ، عبر المر الخافت الضياء ، صيحات

نسائية مفعّعة تتفتت لها الأكباد . وكانت النسوة يتبادلن الحديث بشجن  
وجزع :

-لم يمض نصف عام ...

-نعم ، الأب مازال سالماً ، يحارب ، لكنما الابن ... آه ، أوخ ...  
اقترب اوستين ، بلا ارادة ، من الحشد المضاء بنور النافذة الضئيل .  
اسرعت تخطو نحوه واحدة من العجائز وراحت توضح له الامر ، ملوحة  
بيديها :

-نبأ استشهاد ...كولينكا أوسينكوف ورد اليوم الى القرية ... حملته  
تانيوشا فاسينينا بنفسها . مسكينة !.. ما أصعب ذلك عليها ، هي  
العروس !.. اكان مقدراً لها ان تحمل بنفسها نبأ استشهاد خطيبها  
الحبيب !؟...وي ، اللهم ابعد المصائب والويلات عنا !

ورسمت العجوز متنهدة ، علامة الصليب . كوليا أوسينكوف !؟...  
انتهى ، قتل يعني ؟... ولكنه بالامس فقط بدا أنه جاءنا الى الورشة  
مودعاً ... كان مخلوق الرأس حتى الجلد . كوكا الطويل العنق ، مدكفه  
القوية مصافحاً الواحد منا تلو الآخر ، مدها اولالجد بانكرات ثم له ، هو  
اوستين ... ومن وراء عضادة الباب ، كانت الحسناء تاتيانا تتطلع اليه  
بحياء وخفر ...

قتل !...

وقف اوستين قرب الحشد أخرس صامتاً وبلا هدف ، ممزقاً  
مهترئاً حتى العظام من وقع نشيج كلافديا الرهيب ونحيبها الهائل ... ثم  
اخذ يخطو الى مكان ما ، خاوي النفس عقيمها ، ومكظوماً مذلاً مسحوق  
الفؤاد ، غير أنس ذاته ولا شاعربها .



راح يدور ، يتقلب في الشارع العاصف بالثلج ، وحين وصل الى البيت لم تستطع ان تثيره - بأية حال من الاحوال - جميع اسباب الطمأنينة المنزلية المتوافرة فيه : فلا دفع المأوى الحبيب وراحته ، ولا ابتسامه فروسيا واصوات الصبيين المرحة الرنانة كانت بقادرة على أن تؤثر فيه او ان تبعث في نفسه بعض الاحساس بالطمأنينة والنهوء ... جلس - دون ان ينزع قبعته وسترته - على مقعد خشبي عند مدخل الدارويد أيدخن سيكارة ، مثبتاً ناظره في لوحة الارضية التي امامه . دنت منه فروسيا ، نزعت القبعة من رأسه ثم وضعت يديها على كتفيه ، طالبة منه ان يغير ملبسه . نظر اليها ، مستبعداً ما تريد ، كما لو انه كان يتعامل مع شخص لا يعرفه ثم أعرض عنها .

على مائدة العشاء تبودلت اخبار القرية . بدأ بعدها كوزماد انيلوفيتش يعبر عن قلقه حول كيفية الذهاب الى غابة الحور الرجراج لجلب أغصان الحطب اليابس مادام الثلج قليلاً ، وحول كيفية تدفئة القبو الجديد ... كان اوستين يستمع الى حديث والده ، غير انه لم يسمع إلا القليل منه . بعد الانتهاء من تناول العشاء خرج ، طارحاً معطفه القصير على كتفيه ، الى سقيفة الباب المغطاة بطبقة رقيقة من الثلج ووقف طويلاً في الظلام . دخن سيكارة ثم قفل عائداً بلا رغبة ، الى داخل المنزل . وعند المدخل تواجه مع كوزماد انيلوفيتش ، فأخلى باحترام السبيل امام والده العجوز .

« كلا ، ان أبي لا يتحمل أية مسؤولية . أنا لم استسلم لنصائحه هو ، بل انصعت لنفسي ... كل العفونة والرداءة والنفايات قد شمخت بأنفها وتفرغت مختالة في ذاتي أنا ، ثم راحت تأمر وتقود على هواها ... »

استعرض من عتبة الدار - بنظرة مكتتبة - المنزل كله . طاب ،  
بعثد ، من ولده باقلبك ورقة وقلم حبر ، ثم مضى الى الركن الالاسي من  
الغرفة وجلس امام المنضدة . أجرى ، بصورة بطيئة وخرقاء ، يده التي  
أقلعت منذ زمن عن الكتابة ، أجزاها على الورقة . غير انه سرعان ما شطاب  
كل الاسطر التي كتبها ، ممزقاً الورقة اياها ... ثم جلس طويلاً ،  
حراك ، قابضاً كفه على القطع الصغيرة الممزقة ، وكأنه يحاول ان يحل  
مسألة حسابية عويصة معقدة قد استعصت على الحل .

بعد مضي فترة وجيزة امتدت يده بلا عزم نحو السواة . وبدأ قلم الحبر  
المسحوج يصرف مرة أخرى . بحمية خرقاء ، على الدفتر الصغير المائل  
امامه ...

دخل كوزما دانيلوڤيتش الى العرفة ، بعد ان أوصل الساب وراه  
جيداً ، يراح ينظر ، من خلال منكب ولده ، في الدفتر الصانير . استدار  
أوستين بحددة : نهض من مكانه ، دس الدفتر في عبءه وخرج من الغرفة ...  
ارتدى ، اثناء سيره ، معطفه الفرو وقبعته ثم سار تودعه نظرات  
استفهامية من لدن زوجته وولديه ، سار متخطياً عتبة الدار .  
اشتدت العاصفة الثلجية ، بدأت تحدث صوتاً أشبه بالنشيج ،  
منذرة بانّ ستحمل أثناء الليل صقيعاً شتائياً حقيقياً .

سار أوستين جيئةً وذهاباً على طول بيوت القرية . لم تكن به رغبة في  
العودة الى الدار ، فانتعطف معرجاً على الورشة . عثر أثناء دخونه على  
الفانوس ، أشعل النار ، نزع معطفه الفرو ثم راح ، وهو يذيق بعض  
الفحم الى الوجاق المستكن الذي لم يكن قد انطفأ بعد . راح يتفنن الجمر  
بالمنفخ ..

استمر الصقيع شديداً قارصاً حدَّ اللعنة . وكانت بركة المياه الدائرة حول القرية دوران حدوة حصان ، والمتجمدة منذ شهر نوفمبر مكونة ما يشبه ارضاً زجاجية سميكة منيعة ، كانت هذه البركة قد بدأت تستقبل الاطفال الذين راوحوا يتزلقون عليها بمزالج الجليد والعربات الزلاقة الصغيرة . وفي شهر ديسمبر اخذت تمر على الجليد المتجمد ، مروراً استطلاعياً حذراً ، طلائع المركبات والحافلات المحملة التي استهانت بالطريق الصيفي الذي كان يمر خلف القرية عبر قنطرة خشبية واهية ثم يتسلق ، بصعوبة وانحدار شديد ، سفوحاً صلصالية رخوة ويغوص فيها ... وقد ربطت البركة المائية المتجمدة الطريق ربطاً مستقيماً ومباشراً بمركز المنطقة ، واختصرته بما يقرب من خمسة كيلومترات . في ذلك اليوم رحل كل من فيودور بريديخين ، على سيارة البيكاب ، ونيورا كوروشينا ، على شاحنة الزيس (لقد فوض مدير المزرعة التعاونية امر الشاحنة اليها ، هي سائقة الجرار الفضلي التي بقيت من غير جرار) ، رحلا معاً لجلب الدريس ، مستصحبين اياهما عدداً من الصبايا العنالات . تحركت الحافلتان على مهل ، فوق حقل مغطى بالثلج ، في اثر جرارة كانت تدفع امامها صندوقاً من الصلب يجرف الثلج ويفسح الطريق .

بلغوا اكداس الدريس الجاف بسلام ، شحنوا وشدوا بالحبال شداً

وثيقاً كميات الدريس المتماस्क تماسكاً محكماً والثقل الى حد ما . ثم قفلوا راجعين بعد أن اطلقوا لمركي الحافلتين الحرية في ان يهدرا ويقرقعا بقوة واشباع ...

عند منتصف النهار وصلوا الى البركة المائية المتجمدة . سارت على الجليد اولاً حافلة البيكاب ، وفي اثرها راحت تدب دبيباً شاحنة الزيس ، مؤرجحة حملها الواسع الفضفاض . أطل بريديخين من كابينة البيكاب ، التفت مبتسماً الى الخلف واوماً برأسه الى نيورا كوريوشينا : لا تهيبني ، يعني هكذا يجب ان تتصرفي .. تمسكي جيداً !

ارتطم رأس بريديخين ، وهو جالس في مكانه ، بسقف الكابينة فطارت قبعته فوق الثلج . كبح فرامل الحافلة ، نزل من الكابينة ، التقط قبعته وعاد ليجلس وراء مقود السيارة . وفي هذه اللحظة دوت فرقة هائلة رهيبة اخذت تنتشر هائجة وكأنها رجعات اغنية مصحوبة بدوي ضربات موسيقية صخابة ... وأطلت من جهة اليسار شاحنة الزيس ببوزها الاقطنس ذي اللون الاخضر ، اطلت وكأنها تسابق البيكاب . وبدا فجأة كما لو ان حافلة البيكاب قد مُست من الخلف مسة خفيفة وسحبت الى الاسفل . ادرك بريديخين بسرعة خاطفة كل شيء فشغل ناقل الحركة في لمح البصر ، معطياً دفعة قوية كاملة من الوقود ، فزارت سيارته فجأة زئيراً مدوياً أخرق واندفعت واثبة الى شاطئ البركة المتجمدة .

اوقف بريديخين سيارته ، قفز من الكابينة ، ملتفتاً نحو شاحنة الزيس ، إلا انه لم يبصر لها اثرأ ... على بعد حوالي أربعين متراً من الشاطئ ، كان يتراءى داخل ثلمه كبيرة كدس الدريس المشدود شداً

متيناً بالحبال وقد اخذ ينهمر منه الماء على شكل حلقات تدور أبعد فأبعد حول المكان ، وراح الناس يدبون على أيدهم وارجلهم معاً ، متفرقين في اتجاهات مختلفة ... ولم يسمح الدريس الذي كان محملاً هو والخيمة على الجوانب المفتوحة ، لم يسمح للشاحنة بأن تغوص - كما يغوص الصخر - في الماء . الا ان الكدس كان يهبط مع كل ثانية تمر ويغوص تدريجياً في الثلثة الواسعة ، حتى هداً أخيراً وما عاد يلوح للانظار الا قليلاً ، من خلال المياه التي كادت تغطيه تماماً : لقد بلغت الشاحنة بعجلاتها قعر البركة المتجمدة .

لم يستغرق الحادث اكثر من دقيقة واحدة ، ولم يتسن لأحد ان يفوه بشيء ما . اندفعت الصبايا مصعوقات مرعوبات نحو بريديخين وكأنهن ينشدن عنده سبباً ما للنجاة مما وقعن فيه . عدا نيورا التي جلست غير بعيدة عن الثلثة وراحت تبكي بكاءً مرأً شجياً ... كانت تنورات البنات اللواتي جلسن في الكابينة مع نيورا مبتلة ، وسرعان ما تجمدت على أجسادهن ، من اثر الصقيع ، وكأنها قوالب من جليد .

- كيف نتصرف الان ... مع الدريس ، يا فيد ؟ -

سألت احداهن بقلق وعيناها مغرورتان بالدموع .

- الحافلة أغرقوها ، وانتِ : الدريس ، الدريس ! ..

هيا بسرعة الى القرية ، لا جدوى من الوقوة والوقوفة هنا ... تصرف بريديخين بقسوة وقظاظة مع الصبايا ، ثم راح يخطو متجهاً نحو نيورا ، شاعراً بذنبه فيما حدث .

لم تتمكن نيورا ذات التجربة القليلة في قيادة الحافلات من ان تكبح

الفرامل في اللحظة المناسبة . ولكيلا تصطدم بسيارة بريديخين التي توقفت فجأة فقد أدارت ، بدون لباقة . مقود الشاحنة ، محاولة اجتياز البيكاب . فكان ان ظهرت الحافلتان متجاورتين ، متراصتين معاً . فلم يتحمل الجليد مثل هذا الثقل الشديد ... وحصل ما حصل .

- لماذا أعطوك عينين وفرامل ؟! السيارة ليست جراراً : عما دمت قد جلست خلف المقود فانظري اذن بعينيك كليهما ... قلت لك ، لكنك لم تسمعييني : تمرني على «عجوزتي» البيكاب أولاً ، ومن ثم خذي الزيس ...! راح بريديخين ، بعد ان قرّص على مقربة من نيورا . راح يدندن مظهراً تعاطفه معها ، وعلى شفّته ابتسامة مأكرة .

- اتركني وشأني ... أجابته غاضبة مزمجرة وهي تمسح دموعها .  
- طيب . المهم هو انك سالمة ، عابشة ... أما الشاحنة فسوف ننتشلها في الربيع ...

- ماذا ؟! انتفضت نيورا ناطة من مكانها فانسخت ، بضجة وفرقعة ، تنورتها المتجمدة التي كانت ملتصقة بقطعة من الجليد . ولكر سيغطيها الغرين ويحجبها النلمي قبل ان يدركها الربيع ، وستكون محاطة بالمحار من كل صوب ... هيا بنا الى المدير !.. سنقيم القرية كلها وننهضها ، ولسوف أعجل بالجرار ...

- روى ستيبان فاسينين ، بعد ان عرّج على ورشة الحدادة ، روى لأوسنين وكأنه يحدثه عن داهية دهياء او خطب جسيم خاص به هو بالذات ، حادثة الشاحنة التي ابتلعها اليم المتجمد ونايمض بعد اكثر من ثلاثة ايام على تقديمها الخدمات للمزرعة التعاونية . فنظر اوستين الى المدير نظرة مشحونة بالشجب والاستنكار والضحج ، وكأنه يقول

له : كيف تجرأتم على أن تفعلوا ذلك؟! لقد لزمتم الورشة لا ابرحها اسبوعاً بكامله ، صفقت ورتبت من جديد جوف الشاحنة كله ، أعدت غسله وطليته بالدهان . ثم نصبت للمركبة جوانب جديدة وثبت لها ابواباً جديدة ايضاً ... كيف فعلتم بها ذلك !؟

- عما قريب سيجلبون لك من الورشة الميكانيكية مرسين من امراس القطر . الحم إلى كل منهما عروتين ثم اسرع بنفسك في الذهاب الى البركة لتقديم المساعدة ... - كان فاسينين يتكلم بصوت عال مرادفاً كلماته بكثير من الحركات والاشارات الصادرة من يده الوحيدة .

حين وصل اوستين الى شاطئ البركة كان العمل هناك يجري على قدم وساق . النسوة ، الصبيان والصبايا ، الشيوخ ... راحوا جميعهم ينتشلون ، بالمجارف والمذاري ، حزم الدريس من الماء ويسحبونها الى شاطئ اليم . وكان كل من فاسينين ، بريديخين ، كوستيوشكا المحاسب ، أغايوف ذي الساق الوحيدة ، ومعهم بضع نساء ، كانوا جميعاً يهشمون الجليد ، فاتحين من الوهدة منفذاً نحو الشاطئ . وكانوا ينتشلون من الماء فوراً قطع الجليد المنفلقة ويسحبونها ثم يرمونها هنا وهناك على الجوانب وكان يخرج من الماء ومن الناس بخار يتصاعد ، مكوناً أعمدة تتلولب وتتضفر على خلفية السماء ابان الاصيل . كانوا يعملون بهمة ذات جدوى ، بجدية النمل ومواظبته . بغضول وحب استطلاع يتسمان بالقلق والحرص تجاه انفسهم ، تجاه طاقاتهم الذاتية ، تجاه عزائمهم التي لا تكل ولا تمل وتدبرهم الصعب العسير ، بما يشبه المستحيل ، في ان ينقذوا الشاحنة الثقيلة وينتشلوها من تحت الجليد .

عند الشاطئ ، كان يقف على أهبة الاستعداد كل من الجرارة وحافلة البيكاب وأربعة أزواج من الثيران ، في شكل قافلة ممتدة باستقامة واحدة . كانت هذه القوى بمجموعها ، وقد ربطت الواحدة منها الى الأخرى بالحبال والقضبان وعرائس المركبات وحلقات التوصيل ... ، كانت تنتظر اوان الانطلاق ، لحظة الصفر لكي تقوم ، متكاتفة متآزرّة وفي دفعة واحدة ، بانتشال الشاحنة وجرها الى شاطئ اليم .

حينما غدت الثغرة ذات السعة البالغة ثلاثة امتار عرضاً وما يقرب من ثلاثين متراً طولاً مهيأة ومطهرة من الجليد ، أعلن قاسينين عن فترة استراحة . فلقد كان من المهم جداً الابداع بالتفكير في كيفية تثبيت حبل القطر وشبكه بالشاحنة تحت الماء . احتشد الرجال (وكانوا كلهم من المعوقين الذين سرحوا من الحرب بسبب جراحهم واصاباتهم ) احتشدوا مكونين حلقة حول المدير وراحوا ، وهم يدخنون من حين لآخر ، يتبادلون النصح والمشورة :

- حتى القعر ، ثمة ما يقرب من اربعة امتار لا اكثر .

يعني ان طرف الحبل يشد الى العمود و ...

- خبط عشواء ، هيهات ان نتمكن من الأمر بمجرد الحدس

والتخمين ...

- فيودور ، هيا أسرع الى الاسطبل حالاً . انتقي من هناك بعض

العوارض والاوراد الخشبية المتينة ، بعض ما هو ملائم وصالح منها .

اجلب معك اثنتين او ثلاثاً من العُرُش الطويلة الخاصة بمركبات

الخيال !.. - أصدر قاسينين امره الى بريديخين .



اقترب اوستين من الحشد ماسحاً بقبعته جبينه الناصح عرقاً ، وقد طرح من يديه الافحال<sup>٣٧٠</sup> ، الحديدية جانباً .  
- هاكم انظروا ، حتى اوستين لا يستطيع ان يتنبأ بشيء ، فهو لا يهتم ولا يهتم... ولكن لا بأس ، عما قريب سنحاول . - تكلم قاسينين ثم سار مقترباً من الحافة القصوى للثلمة وراح يحدق بنظرات ثابتة نافذة في المياه المعتمة الغامقة ...

تبين ان العمود الذي جلبه بريديخين كان اقصر من المراد . فوصلوا ، عندئذ ، ما بين عريشتين خشبيتين . وبعد ان ثبتوا الرأس جيداً ، أخذوا يعيئون طويلاً في الماء حتى اصطدموا بالشاحنة . فجرّب كل واحد من الرجال حظه بالتناوب . لكن لم يوفق اي منهم في ان يشبك المرس بالحافلة المغرقة ...

توقف الناس بعد ان احتموا متقدين هياجاً من فرط ما بذلوا من نشاط وجهد في العمل ، توقفوا وهم لا يدرون ماذا يصنعون بعد هذا ... وبدأت القشعريرة والبرحاء تنتاب المتون المتصببة عرقاً ، وأخذت جزم اللباد الطويلة المنتشرة بالمياه ، وقفافيز الايدي التي غمرها الجليد جميعاً ، اخذت تصرّ وتزيق مثل تنك الصفيح !..

راح القوم وهم ينظرون الى شمس ديسمبر الواهية الواهنة التي طفقت تبعد حثيثاً وراء الافق القرمزي المشوب بالدخان ، راحوا يتقارعون دونما حقد او سوء ويتلاحون فيما بينهم ، من وقت لآخر ، في ملل واكتئاب ... بسبب البرد القارص القاسي ، وبسبب آخر أهم من

ذلك ، ألا وهو عجزهم الذاتي عن البلوغ بالعمل ، الذي بدأه بمنتهى الحماس والتكاتف والتواد ، حتى نهايته المبتغاة . وشرع بعض الصبيان ، ممن فقدوا الاهتمام والمتعة بالعمل الذي وصل الى طريق مسدودة ونهاية مغلقة ، شرعوا ينصرفون الى بيوتهم وقد تتلجوا بما يكفي ويزيد ... كما أخذت تقل ايضاً كثافة الحشد المحدق بأنظاره حول الشاطيء ، والمتكون اصلاً من العجائز والشيوخ الذين قدموا - كما خيل اليهم - لكي يفيدوا بحضورهم القضية المشتركة ، وذلك بالتأثير في الجمهور العامل ورفع معنوياته ...

كان الماء يتنفس في الثلثة تنفساً خفيفاً ضعيفاً ، نافثاً الابخرة المتجهة نحو الاعلى . وكان أسود اللون مضطرباً ، ينعكس عليه بصيص أفولي ذو حمرة غامقة ثقيلة .

«خلال نصف ساعة سيخيم الظلام تماماً ، وسوف يكون الوقت عندئذ متأخراً . والى ان يحين الصباح يكون تجمد الجليد قد بلغ أكثر من خمس بوصاتٍ» . فكر أوستين ثم تحرك باتجاه المدير .

لم ينتبه فاسينين المتجهم المرتبك الى الشرح الذي قدمه له أوستين بإشارات من اصابعه .

- انه يشير الى وجوب الغوص وتثبيت الحبل بالشاحذة - تحدث الاعرج كوستيوشكا ، لأكزاً فاسينين بمرفقه ، بعد ان حزر المراد من اشارات اوستين .

ان هذا واضح حتى للغبي المغفل ، غمغم بريديخين . لكن اين نجد مثل هذا الشخص الذي ...

- عموفيديا ، هولها ، فليجرب !... فجأة سبق القول ، بحزم جازم

قاطع ، أحد الصبيان الذين كانوا يحومون على مقربة من الرجال . إنه سمين شحيم مثل قيل البحر ، لا يجمد ولا يغرق ولا يبالي بشيء ... ومثل هذا الماء لا يساوي عنده شيئاً ...

وماذا في ذلك ؟ انه رأي سديد حقاً تلقفها كوستيوشكا إن فيدكا هو أفضلنا جميعاً صحة وعافية ...

- لكن الصحة الجيدة تلزمها صيانة اشد ... هذا ما كانت تقوله جدتي : ردّ بريديخين هازلاً ، ثم اضاف بعد ان شعر بأن القوم ينتظرون منه ما هو اكثر من ذلك ، اضاف قائلاً : ايها المدير ، اوفدني غداً الى المدينة . لي هناك واحد من معارف المقربين ، انه غوّاص ...

- لم يبق سوى ان تجلب ايضاً فصيلة هندسية الى هنا - لوح فاسنينين باعياء ، مشيراً الى رفضه فكرة بريديخين .

- قد أغوص في الثغرة الجليدية !... لكنني سأفعل ذلك عندما اكون قد سئمت العيش وضقت بالحياة ذرعاً ... أنشأ بريديخين يقهقه بصوت جهير ، غير ان الرجال لم يتقبلوا مزاحه هذا . لقد ضننت علي ، يا يغوروفيتش بشاحنة الزيس ، ولهذا فقد عاقبك الله ...

- ساقب الجميع . فالشاحنة هي ملكية عامة ، ملك مزرعتنا التعاونية كلها . واذا كانت عزيزة عليك اكثر من الجميع فهيا اذن ارننا مدى اهتمامك بها . ان المدير سوف يكرمك : ستجلس انت وراء مقود الزيس ، وتقود نيورا سيارة البيكاب . راح أغايوف ذو الساق الوحيدة يهمز واخراً بريديخين وكأنه يحثه ويشجعه .

ما الذي تهدف اليه ، يا ذا الساق الخشبية ؟! تريدني ان أقفز فوراً في الثغرة الجليدية من اجل هذا البريموس الصدى ، اليس كذلك ؟-

بدا أن بريديخين كان يتكلم، أول مرة في حياته ، دون مزاح أو ضحك .  
لمعت مقلتاه الكستنائيتان لمعاناً عدائياً وانتقامياً شريراً : ابحث عن  
الحمقى المغفلين في مكان آخر !... وعلى العموم ، كفاكم ، ايها الرجال ،  
تشحذون السننكم ثرثرة وهذراً لقد أن لكم أن تعودوا الى بيوتكم .  
والصباح رياح ...

- تواري اوستين خلف كدس الدريس المتجمد الذي التصقت بعضه  
فوق بعض ، تواري وكأنه يحتاط من لسعات ريح الشمال القارصة  
البرد . والتقط هناك من فوق الثلج قطعة طويلة من ذلك الحبل الذي كان  
الدريس مربوطاً به ، قاسها بخطاه ثم بدأ يخلع ملابسه . وقد حثه  
الصقيع القارص على الاسراع في عمله هذا .

خرج الى الرجال بفلابسه الداخلية وجواربه الصوفية ، فلاح لهم  
بجسمه الابيض كما لو انه شبح قد مثل أمامهم فجأة . جمد الجميع  
دهشة وتعاطفاً : فقد كان من غير المألوف ، حدّ الرعب ، ان تشاهد فوق  
الثلج انساناً خلع ملابسه في مواجهة سيل متحدر لعاصفة ثلجية ثائرة  
قبيل المساء . حزم اوستين ، أثناء السير ، نفسه بأحد طرفي الحبل  
ودفع بالطرف الاخر الى فاسيين . خبّ نحو الثلثة ثم انحدر في الماء ،  
مستنداً الى حافة من الجليد . حدث كل ذلك في ثوان معدودات . وقف  
عندها الجميع متسمرين الى اماكنهم ، ولم يتحركوا إلا بعد ان تواري  
اوستين تحت الماء ، حيث اخذوا يعجون ويضجون وقد سادهم  
الهرج ...

- الحبل ، ناوله الحبل بسرعة .. أطلق فاسيين صيحة قوية وهو  
يركض نحو ثغرة الجليد .

- ولكن لا وجود له . انظروا ، لقد غرق أوستين ! زار كوستيوشكا وهو ينظر في الثلثة الجليدية .

انحنى الجميع فوق الماء ، مشرئين بأعناقهم وجعلوا يدققون النظر بضع ثوان بتشبث وعناد في غوره الاردوازي<sup>(٢٨)</sup> الصامت .  
لاح أوستين فجأة معوماً الى اليسار قليلاً ، من الرجال الملتصقين بالثغرة الجليدية ... كان وجهه أحمر كأنه مسموط بالماء الغالي .

- الحبل !... صرخ فاسينين وهو يطبطب ، محتدماً احتداماً جنونياً عنيفاً ، بجزمته اللباد التي غطاها الجليد تماماً .

مد كل من بريديخين وكوستيوشكا فتلة الحبل الحلزونية التي تحمل عروة صغيرة في نهايتها . فتلقف أوستين هذه الافعى الفولاذية ثم غاب في الماء بعد ان التهم بفمه بعض الهواء . وظل غائباً عن الاشارة فترة طويلة نسبياً ، حيث تجاوزت دقيقة من الزمن . ثم ظهر فجأة معوماً فوق سطح الماء وشرع يبتسم ابتسامة مثيرة للفرح ويومئ برأسه الى فاسينين ايماءة الظفر .

- شبكت ؟ .. حييت من بطل مقدام !... هيا اخرج بسرعة من الماء ! هتف فاسينين ، ملوحاً بيده واندفع سريعاً نحو حافة الثلثة .

هز أوستين رأسه واخرج يده من الماء ، ناشراً أصبعين الى اعلى .  
- يطلب حبلاً ثانياً . وضع كوستيوشكا .  
- واحد يكفي !- صرخ بريديخين .

لكن أوستين لوح بحدة ونفاذ صبر وأقبل يرفع ، مرة اخرى ، اصبعين اثنين .

---

٢٨ - اي الشبيه بلوح الاردواز الصخري او الخشبي

- برید یخین ، المرس ! بسرعة ، ایها المهذار ، یالسان  
الابالسة !.. الرجل یخدر بریداً اما انت !  
قذف فاسینین الحبل الی کوستیوشکا وتحرك سرعاً لمساعدة  
بریدیخین .

جذبوا المرس نحو الماء . حاول بریدیخین ان یوصل طرفه الی  
اوستین ، إلا انه اخفق فی مسعاه ، فبعد ان لوح به رماه خطأ فی الماء !..  
عبرت الحلقة الحدیدية محلقة فوق اوستین ، الذي استطاع ان ینتقط  
المرس ویتوارى فی الماء . لكنه سرعان ما عوم مفتوح الفم فوق سطح الماء  
وصرخ عالياً فی وجه برید یخین :

- ب... بلید !... أ... أعوج الید !...

- نذت هذه الاصوات عن اوستین کالقشعریرة التي تهز الجسد  
برمته . لقد طق بها فی أسنانه ثم غاص ثانیة فی اعماق الیم فارتطمت  
ساقاه بکبوت<sup>(٢٩)</sup> الشاحنة وراح یبحث - فاتحاً عینیه - فی الامفل ،  
قرب المصابیح الامامية ، عن الناب الاخری لحبل القطر .

- أورا !.. عمو اوستین بدأ یتکلم !..

أورا !..!..!.. سمع اوستین ، وهو عوم فوق سطح الماء ، هتافات الاولاد  
التي بدت وکأها قادمة من مکان قصی .

لم یکن یسمع الاصوات کما یجب ولا یعینها وعياً جيداً . ما عاد  
جسده المخرم بالأفب المسامیر الجلیدیه ینتجیب له . وبدا کما لو ان  
کیافته کله قد تقلص بالغا حجم قلبه الذي لم یحس به احد سواه ، والذي  
عاش ، نبض فی صدره مضغوطة بمضاغط الزمهریر القارص ، مقاوماً

سكرات الموت بأخر ما تبقى فيه من رمق وقوة .  
انتشلوه من الثغرة الجليدية متجمداً خدراً ، منهوك القوى تماماً .  
طرحوا على كتفيه دراعة<sup>(٣٠)</sup> وحملوه الى كابينة البيكاب .  
- من ذا يفعل مثل هذا الفعل !؟ ألم تستطيعوا أن تهيئوا معطفاً من  
الفرو وبعض الفودكا لمثل هذا الظرف !؟ - عبر بريديخين عن استيائه  
وهو يجلس الى جانبه أوستين الذي كان معلقاً بين الحياة والموت .  
- الى امام !... ما الداعي الان الى المهارشة والتهريج !؟ هيا  
عجل ! - صرخ فاسينين بالسائق في صوت حاد ، ندّ عنه من برد ومن  
غضب ...  
- أورا !... أوستين يتكلم !... أورا !... !... - كان هتاف الحشد  
يتعالى عند شاطئء اليم ...

في البيت نظفوا جسم أوستين ودلكوه بالثلج والفودكا . ثم دشروه دافئاً بمعطف من فرو الضأن وأرقدوه فوق الموقد الحجري الساخن . ترقبوا متوجسين ، خائفين من أن يكون قد أصيب بالتهاب الرئتين . لكن أوستين لم تندّ عنه أية سعلة . بيد ان جسمه طفق يتورم مع اقتراب مساء اليوم التالي . في الليل التهب حرارة ، تقلب على جنبيه من اثر الحمى الشديدة ، وقد تورم الى درجة لا تصدق . انتفخت يداه ورجلاه كالمطاط تماماً . انتفش وجهه وتضخم تضخماً رهيباً ، بحيث لم يكن يبين فيه مكان العينين سوى ثغرتين ضئيلتين ضيقتين للغاية . وهرعت زوجته فروسيا راكضة الى الموظفة الصحية المسنة التي سبق أن اخلت الى كليوجوفكا من مكان ما قرب مدينة بريانسك . ألقّت هذه على أوستين نظرة لم تحاول بعدها حتى ان تفتح حقيبتها الجلدية البالية التي كانت تنطوي على بعض العقاقير والادوات الطبية .

- الكليتان ، - فاهت بصوت خافت وهي تجس نبض أوستين وتغرّز أصابعها في ساقيه المتورمتين . وظل جسمه الشبيه بعجينة رخوة وجمتظاً بالبعجات التي احدثتها فيه أصابع الممرضة إياها .  
- اسمعوا ، - تكلمت ، ثم سكتت قليلاً ...

ثم اضافت وهي تهابر الغرفة : انه في وضع عسير جداً ، غير انني لا



استطيع أن اساعد في شيء .  
- ولكن ، ألا يستحسن ان ننقله الى مركز المنطقة ؟ - سأل ،  
ملتصماً ، كوزما دانيلوفيتش .

- كلا . ان الامل الان منوط كله بالجسم ، بقوة المناعة الجسدية :  
يقدر على التحمل ، يعنى انه سيعيش ، لا يقدر ، يعنى ... انهما  
الكليتان !- أفصحت الموظفة الصحية هامسة . فتحت حقيبتها  
الطبية ، عثرت فيها على زجاجة صغيرة وضعتها في راحة الشيخ المنتهية  
المفتوحة : والان هاكم هذه القطرات ... ثلاث مرات في اليوم . قللوا له  
من الشرب ، ولا تعطوه اي شيء مالح ...

كانت حال اوستين تسير من سيء الى أسوأ ، ساعة بعد اخرى . كان  
يتلظى حرارة . وقد تكررت باطراد حالات الغيبوبة والغشيان عنده ،  
كان يئن ويهذي كثيراً . وفي لحظات الفرج والسكينة كنت تراه يصبر  
ويواسي بلطف - وكأنه مذبذب - أهله وذويه الذين جلسوا بجانبه عاجزين  
لا حول لهم ، وقد اغرورقت عيونهم بالدموع .

- لم تستطع ان تحترس . أصابتك الصحوه ، ها !- أخذ كوزما  
دانيلوفيتش ينوح عاذلاً ، بعد أن بقي وحده مع اوستين ... في الحقيقة ،  
لست خالياً ، انا الآخر ، من ذنب هنا بطبيعة الحال ... لكن يخيل الي  
انني كنت أتوخي الرشد والصواب : كان من الأفضل أن تلزم الصمت  
الى ان يحين موعد اجتماع اللجنة الطبية . أظنه بعد شهر او شهرين .  
أهوا من طويل يا ترى ؟ .. ألم يكن الامر كذلك ؟ .. وهكذا كان بإمكانك  
ان تخبر الاطباء عندئذ بكل شيء . والى ان تجتمع اللجنة الطبية كان  
القانون ينسب الي جانبك أيضاً ، فلديك شهادة طبية باصابتك وعوقك .

في حين انك اذيت نفسك ، عاقبتها واقتصصت منها سلفاً ، قبل  
الايوان ... لم يلقوا عليك القبض ، الا انك بمثابة لص ، أليس كذلك ؟  
- القانون في داخل ذاتي ، يا ابتاه ، إنه يـ ... ينطلق مني .. تـ ...  
تجاوزت ضـ ... ضميري فكان ان تـ ... تجاوزت القانون ايضاً .  
- أجل ، قد تكون مصيباً ، يا بني ، ولكن ما الفائدة الان ؟ ...  
- كل شيء على ما يرام ، يا أبي ، جهد اوستين ان يتصنع ابتسامهـ ..  
الشاحنة قـ ... قد انتشلناها ... وانا الان مـ ... مستعد لما أشاء : ان  
اغني ، وان اقاتل ايضاً ...

- اي نعم . وهل تعرف حقاً لاي شيء تصلح انت الان ؟ .. واطبق  
كوزما دانييلوفيتش رموشه الندية .

- عندي ، يا أبي ، المهم هو ... أن الحق بالناس ، أنضم الى ركبهم ،  
اجل . ربما كان في مقدور بعضهم ان يصبر على مثل هذه الحياة ، ان  
يجدها ملائمة له ... أما انا فحتى لو ذـ ... ذبحوني ! ... ان الخنوص  
المسروق يظل ابدأ يقبع ، ينخرمولولاً في الاذان . نعم ، انك تستطيع ان  
تكتم شيئاً ما عـ ... عن العالم ولكن عـ ... عن ذاتك كيف ؟! ... انه لأمر  
مرهق لا يطاق ، كالاشغال الشاقة تماماً ، أن تهلك نفسك بنفسك ...  
أه ، ما أشد الحر !... ولكن ، كـ ... كفت عن البكاء ، يا أبتني . أنا  
بخير ، وحتى لومـ ... متّ فلا بأس ... سوى ان رأسي بـ ... بدأ يـ ...  
يتصدع / يُعَالَ ... ربما ... فات الاوان ، لن تستطيع شيئاً ... النار في  
كل مكان . أعطني ماء !... اخمدها ، يا أبي . هناك ، أراهم ، يحملون .  
ها هي ذي ... مذكرة الاستدعاء . فلقد كتبت اليكم ، ايها الرفيق  
الرائد ، التثبت ... انا سالم معافي ، ايها الرفيق رئيس اللجنة

العسكرية ... هاهم ، الاوغاد ... من جهة اليسار ، انظر ، انهم يطوقوننا من اليسار .. ميرغالييف ! جهاز التسديد اثنا عشر ، بخارقة الدروع ... النار ! بسرعة ... الماء ... النار ...

استمر اوستين غارقاً اكثر فاكثُر في هذيانه ... كان يهمس همساً مشتتاً بكلام متقطع غير مترابط ، يسب ويندد من وقت لآخر ، بل وينشج احياناً ... ثم هدأ فجأة هدوءاً مخيفاً . فانحنى كوزما دانيلوفيتش على وجهه المنتفخ الرخوالشاحب شحوب الموتى والخالي من أيثما قطرة دم ، محاولاً ان يلتقط انفاس ولده الخافتة الساكنة .

- ماذا ؟! القت فروسيا على الغرفة نظرة استفهام مشحونة بالفزع ... تحرك كوزما دانيلوفيتش بضع خطوات عن سرير ولده ثم تكلم بصوت خافت وهو ينظر الى وجه كنته المضطرب المرعوب :

- انه يتلظى كالموقد حاررة ، لكن ليس ثمة من عرق . يالها من كارثة : الحمى كلها في داخل جسمه . انها تشتد دونما شفقة . اذا بقيت هكذا فيمكن ان تخنقه .

فرجت فروسيا ما بين شفثيها الرقيقتين الضامرتين ، اللتين تقلصتا واجماً مفجعاً . ارادت ان تقول لحميها شيئاً ما ، الا انها لم تستطع سوى ان ترسل انيناً ثقيلاً مؤلماً ... ثم تسمرت في قنوط كليل ، محملقة في اوستين بعينين شاردتين غائبتين ...

لقد تغيرت فروسيا تماماً خلال هذه الايام الاربعة من مرض زوجها : تقدمت بها السن وبدت كما لو انها اصيبت بالصمم ، كانت تجيب من يناديها ببطء شديد ، متوجسة ، خائفة اية تغييرات منتظرة ، مقبلة في الحياة . كانت هذه التغييرات على درجة من الشدة المفجعة المصعقة

بحيث انها ثبتت عزيمتها بالمرّة، أيأستها كل اليأس وكبست انفاسها :  
فبدموع الفرح اندفعت نحو زوجها وهي تسمع صوته من جديد ... بيد  
انها سرعان ما اضطرت ، بعد مضي يوم واحد فقط ، الى ان تمسح دموع  
الحزن والاسى . بدأ وكأن أوستين لم يبدأ النطق الالكي بسكتة في  
الحال ، الالكي يتوارى الى الابد عن الانظار . له ينطق لكنه كان  
صحيحاً معافى . وحين نطق اذا به وجهاً لوجه امام الموت :

ارجوك، سد ... سامحيني ، يا فروسيا ... اجثو على ركبتي امامك  
وامام الناس ... حافظي على الاطفال !... كان أوستين يهمس لزوجته في  
لحظات وعي الذكرة . وكانت فروسيا تندفع نحوه ، تحتضن براحتها  
وجبه المنتفخ الساخن ، وكأنها تحاول ان تحفظ ، في آن معاً ، بهذا  
الوعي الذي انبعث فيه للحظة ، وبالصوت الحبيب الموشوش في  
أذنيها ...

أخذت عجائز القرية يخففن الوطاء ، يحترسن بعض الاحتراس في حركاتهن وخطواتهن عند منزل آل ديدوشيف ، بل ويتوقفن وكأنهن يتشمنن ويستطلعن شيئاً ما . وأحس كوزما دانيلوفيتش في هذا كله أمانة سوء ، فألاً منذراً بالشؤم ...

- إيه ، ما بالك تحوّن حول الدار وتدورن برؤوسكن كالغريان ؟! ما الذي شمته أنوفكن ، ايتها العقائق الهرمة ؟ طاح بهن صراحاً وقد استبد به الغضب وأخذ منه الكدر والضجر ... على الرغم من انه ادرك خطأه وفظاظته تجاه النسوة العجائز ، وأقر بالعجز والقضاء المحتوم أمام المصيبة التي اقتحمت الدار لا مفر منه ولا مرد له .

- ما كان ينبغي لك ان تلجأ الى الصراخ . يا دانيلويتش . انما جئنا يدافع العطف والحنان ...

- سيئة هي حال ابنتك أوستين ... حتى الموظفة الصحية ، أسمعني ، رفضت أن ... هيه ، ولكن ماذا بيدنا الآن ؟ كل امرئ وما كتب الله له ... ولا مفر من الموت !..

- لا تخش الموت / إنها الانسان ، بل الذنوب والاثام هي التي يجب ان تخشها . وانه لامر مفرع ان يرحل المرء حاملاً معه آثامه !.. وما دام أوستين حياً ...

- الجس . ما دام حياً فبلا تتأخره ، يا دانيلويتش ، في طلب الجدة

أوفسيانيخا . وعلى الرغم من انها ليست قسماً لكنها تستطيع ان تقوم  
بالقاء موعظة الغفران ... ولربما يريد اوستين أن يقول كلماته الاخيرة ،  
ان يعترف قبل مغادرته الحياة الدنيا ، الموت وعد وفرض من الله ،  
والاعتراف حق وفرض منه ايضاً . وليس عيباً أن قد أعاد الله اليه  
النطق والسمع ثانية ...

وسرعان ما ظهرت الجدة أوفسيانيخا التي لاحت وهي تعود أوستين  
بكسائها القاتم وشالها الاسود المكون من قطعة نسيج مثلثة الشكل  
تتدلى فوق جبينها الاصفر ، لاحت أشبه ما تكون بعقعة هرمة  
عجفاء ... فتظر اليها كل من كوزما دانيلوفيتش وفروسيا بفرع ونفور ،  
إلا انهما لم يقدرا لها مكاناً خاصاً في الدار ، بل قاداها بصمت الى الغرفة  
مباشرة وتركاها على انفراد مع أوستين .

بعد قليل ظهر كل من فاسينين والحداد بانكرات . كانا يعلمان ان  
اوستين متوكل الصحة ، لكنهما لم يكونا يدركان انه على مثل هذه الحال  
من السؤ والاذى . دخلا الغرفة وكأنهما لم يصدقا حديث فروسيا  
الدامع الباكي ، فتوقفا مصطدمين بتمتمات أوفسيانيخا المخيفة  
وغمغماتها المشؤومة ...

- كل ما يصنعه بنا هو جزاء لما اقترفناه نحن من اثم ... ايها الموت ،  
مبهج حكمك للانسان الفقير اليك والضعيف الرازح تحت اعباء  
طاقاته ...

- هو نفسه صدر على نفسه حكماً ليس أخف وطأة من قضاء  
الرب !... تكلم كوزما دانيلوفيتش ، الذي دخل الغرفة مع الرجلين ،  
تكلم ناشجاً من خلال انفه الاحمر ، وكأنه يتدارك مصوباً بوجل كلام  
أوفسيانيخا .

تتبادل فاسينين وبانكرات النظرات فيما بينهما كما لو كان كل منهما

يطلب المشورة من لدن صاحبه .

- أوستين !... صاح قاسينين فجأة ، منادياً بصوت عال ثم خطا نحو السرير . هل تسمعني ؟

كان رد أوستين قد تمثل في أنفاس ساخنة متكررة ، ليس إلا. وقد تشنح قليلاً وجهه المتورم الثقيل فبدأ وكأنه يحمل ابتسامة .

- هذا جيد اذن . ما دمت تتنفس يعني انك على قيد الحياة . تكلم قاسينين محبباً مستحسناً... دفع ، مزاحماً بكتفه اوفسيانيخا واحتل المكان الرئيسي قرب السرير . لقد عجلت ، ايتها الجدة ، في تدبير أمر تشييعه المبكر جداً الى العالم الآخر . انتظري قليلاً !

- مثل هذا الامر حصل أيضاً لزوجتي دوسيا في ايام شبابها. تحدث بانكرات وهو يجس لامساً رجلي اوستين.. في اليوم الثالث لما بعد وضعها مولودها الاول ، ذهبت تغسل البياضات في النهر . ومن شدة الحر استحممت هي نفسها أيضاً ، فتورم جسمها ولزمت الفراش فاقدة الوعي كأنها قرمة شجرة... فاعتقدت ان قد حلت نهاية يقدوكيا ، لأنها الت الى حال من السوء بحيث لم يبق عندئذ بين الحياة والموت حتى قدر مسافة لاجتياز برغوة . وبينما الامر كذلك إذ أدركني شيخ وقور ولقنني ما يجب صنعه . فهل تعلمون كيف تمكنت من انقاذ حياة يقدوكيا...؟ قطع بانكرات حديثه ، نادى فروسيا وسألها : الا ترينني حمامكم !

بعد مضي بضع دقائق عاد بانكرات قائلاً :

الحمام على ما يرام ، الحطب جاهز . هل تسمح لي يا دانيليتش بأن أجرب علاجي الطبي ؟

- جرب ، وهل بقي امامنا خيار لنقرر ما الأحسن وما الاردا ؟ ها هن الحجاز يقرآن على أوستين قداس الموتى . يموت ابني فتصل ، أنا الآخر ، نهايتي أيضاً

طرح بانكرات معطف فروالضأن عن كاهله وباشر في اللحظة ذاتها عمله . حمل ، بمساعدة فروسيا ، الى الحمام حطباً وماء ، اوقد النار في الوجاق . بقيت الشعلة تنز تحت المراجل دونما انقطاع نحو ساعتين دراكاً . وبين الغينة والغينة كانت حصبات الفحم تفرقع مستوعبة ومدخرة الجمر الجاف . وكان بانكرات يخرج بين وقت وآخر من الحمام الى صحن الدارلكي يتجنب التسمم بغاز الفحم ، يخرج وقد تصيب وجهه عرقاً ودمعت عيناه من اثر الدخان ، فيكسر الحطب ويعد المقشآت .

- ما كان يجب ان تقف حيث تيار الهواء ، ياسيميونيتش . أخشى ان تصاب بالبرد - أبدت فروسيا قلقها على العجوز بانكرات .

- كل شيء جاهز ، فلننقل اوستين الى هنا ، امر بانكرات . من المرجح ان سنتمكن ثلاثتنا معاً من حمله .

دشروا اوستين بملحفة دافئة ، جاءوا به الى المنزح التابع للحمام ، شلحوا عنه ملابسه ووضعوه بعد جهد جهيد ، فوق منصة البخار الخشبية في حجرة الحمام الشديدة الحرارة .

انه لبخار ما بعده من بخار ، تتصدع منه العيون !- نكص كوزما دانيلوفيتش متراجعاً الى غرفة المنزح .

- همم بخيرة ، اما البخار فسوف يأتي فيما بعد . تكلم بانكرات ثم اخذ بخلع قميصه وسرواله .

اشامت فروسيا بوجهها وغادرت الحمام .

- ما أشبه الحر هنا !... كأنك في تنور من صفيح !- أخشى ان يخنق هناك كوزما دانيلوفيتش يقلق على والده .



لاح له بانكرات الاعجف النحيفة ، ذوالجسد الضامر ، والمحدودب  
الظهر من اثر الشيخوخة ، لاح له واهناً ضئيلاً وهشاً ضعيفاً للقيام  
بمثل ذلك العمل الشاق المرهق الذي كان ينتظره في حجرة الحمام البالغة  
الحرارة ، في الوطيس الذي يذغث أبخرة نارية ملتبهة تلفح لفحاً .  
لبس بانكرات قبعته وقفاريه ، تناول احدى المقشاة ، خطأ الى داخل  
حجرة الحمام وأوصد من خلفه الباب . وسمع كرزما دانيلوڤيتش كيف  
زاد بانكرات كمية البخار ، راشأ الماء على الحاصبات المتوهجات . ومن  
ثم اخذت تبلغ السمع ضربات سريعة متواترة ترسلها المقشاة ،  
مصحوبة بتأوهات وأنات وأهات وآخات ... كأنما هناك معركة قد  
نشبت وراء الباب الموصود . وبعد مضي ما يقرب من خمس دقائق خرج  
بانكرات الى المنزع ، غسل رأسه غسلاً خفيفاً بالماء البارد في البرمبل  
وهوى على المصطبة .

ها ؟ سأل كوزما دانياوڤيتش بتوتر وجهه بعد ان تنفس العجوز  
بانكرات الصعداء ، بالعاء ريقه قليلاً .

باعد بانكرات بصمت وذهول ما بين يديه . تناول مقشاة جديدة  
وانصرف الى غرفة الاستحمام . كان اوستين ممدداً بلا حراك . وقد  
ظهر انه لا البخار الساخن الجاف ولا ضربات المقشاة اللافحة القاسية  
اثر في او جعلته يشعر بشيء . كان جسده اصم ساكناً تجاه جميع  
مساعي بانكرات وجهوده المضنية .

في صباح اليوم التالي اوعد بانكرات الحمام من جديد . حملوا  
اوستين ملفوفاً كاللحفة الى غرفة الاستحمام ثانية ، وكان مجرداً من  
ملابسه في هذه المرة ايضاً . وجعل بانكرات ينزل ، دونما رافة بنفسه

الواهمة الواهية ولا بقلبه الهرم المقوض الملقوم بالعديد من الاسقام والعلل ، ينزل على جسد اوستين سيلاً من ضربات المقشة المعمولة من اعواد شجرة البتولا ، ينعم جلده بضراوة وقسوة ، ويدعك بيديه ، يدلك ، يمسد ، يضغط بشدة اعضاء جسمه كلها ... لقد استوثق من انه اذا بقي جسد اوستين محافظاً على مثل هذه الحمرة والحرارة فمن المستحيل ان تخرج منه الحياة ، ان يفتر ، ان يموت . واستمر يعمل . يسعى جاهداً بقوة اعصاب تفوق الحد وبطاقة ذاتية قليلة ، حتى كاد يختنق من شدة الحرارة الجهنمية وضيق النفس .

بعد عملية التبخير الاولى بدا جسم اوستين المتورم ، المنتفخ كالمطاط ، بدا وكأنه قد ثقب في كل جزء من اجزائه و في كل مكان منه بألاف الابر ، وقد تجسس منه العرق . أخذ اوستين ينن ويرسل صيحات خافتة ، وبعد التبخيرة الثانية فتح عينيه .

ها ، كيف الحال ، يا اخي ؟ نظر بانكرات ، مبتهجاً مسروراً ، في وجه صاحبه .

الجوارح .. لكن جسمي لا يحس الا قليلاً . كما لو كنت تـ ... تجلد خشبة ! زفر اوستين .

- التسخين جيد جداً . حتى اسناني اخذت تؤلني من شدة الحمي ، انفس ثمة ما تتنفسه هنا . انظر كيف صار جسمك ينضح عرقاً ، انه ليشير خيراً يا اوستين . اما الان فاسمح لي بان اديرك على ظهرك . اجل هكذا ، هكذا ..

تحركت سريعاً ، بفعل ضربات المقشة .. موجات شديدة مرصوفة من الرمضاء . جعل كل من بانكرات و اوستين يلتهم بقمه ، متشيطاً

ملسوعاً ، كميات من الهواء الحامي ، نشجا معاً ، تأوها ، أنا ،  
زحرا ... وكأنهما يتعاركان ، فيما بينهما ، عراكاً لا هواده فيه ولا  
رحمة ...

- يقشعربدني ... وخزات خـ ... خفيفة اشبه ما تكون بدغدغات ،  
احس بها تسري في ظهري ... - اخذ اوستين يغمغم .

- هكذا بالضبط !.. هوذا المطلوب تماماً !. انه الاحساس غدا يعود  
اليك !- طفق بانكرات يرسل صيحات المسرة والبهجة .

في اليوم الثالث اوقد الحمام مرة اخرى وبخر اوستين ثلاثاً ،  
مستهلكاً البقية الباقية من قواه . وهنا حدث امر مدهش عجيب : تغشى  
جسم اوستين كله بطفح كثيف ضارب الى الحمرة ، كأنما الصقت عليه  
بذور الحنطة الناعمة التي تحضر منها العصيدة .

وهذا هو المطلوب ، - راح بانكرات يردد مكرراً - باطمئنان واعياء -  
كلماته وكأنه يلخص مجمل عمله الايقاعي المهم الذي اجراه في حجرة  
الاستحمام ... انك ستنتعش بلاريب . ها هي ذي الاورام قد هبطت الى  
النصف سوف تشفى ...

بعد التبخيرة الثالثة خرج اوستين من حجرة الحمام ماشياً على  
قدميه . لكن بانكرات رقد ولم يقم من رقدته الى الابد .

واعتقد الناس ان الاسقام والعلل التي ما فتئت تلح منذ زمن طويل  
على الرجل العجوز هي التي قهرته واستلت منه الحياة في نهاية المطاف .  
اللهم الا اوستين الذي كان هو وحده يعرف السبب الحقيقي الذي  
عجل -، بهذا الشكل المباغت ، في اختصار اجل بانكرات الذي رحل  
تاركاً اوستين هكذا حتى النهاية دون ان يصمم او يجرؤ على ان يسر

اليه بمكنون روحه المعذبة . وها أن الوقت قد امسى الان متأخراً  
للغاية ..

عاد أوستين الى الورشة بعد مضي ما يقرب من ثلاثة اسابيع على الحادث الذي وقع فوق جليد البركة المائية . تناول المطرقة بيدين وأهيتين متغيرتين كل التغيير ومغسولتين الى درجة من البياض لا تقبل التصديق ، تناول المطرقة ووقف طويلاً كالعمود امام السندان ، متذكراً ... كان متفجعاً تفجعاً عميقاً مشعباً بالندم والتأنيب الذاتي على صديقه الحداد العجوز الطيب الذي بداله وكأن قد دفعه هو ، بيديه ، الى القبر دفعاً . واغتم ايضاً كوز ماد انيلوفيتش ، صار ينظر الى ابنه كمن اقترف ذنباً ، متجنباً الحديث معه . لكنه حين رأى أوستين متأهباً - بعد ان استرد صحته - للذهاب الى الورشة اشار عليه بوجل قائلاً :

حبذا لو انتظرت قليلاً لكي تستجمع قواك !... ان الريح زعزع ... أخشى ان تصيبك بأذى . يجب ان تكون الآن متأنياً جداً وهادئاً حذراً في حياتك العملية ، لا تجهد نفسك كثيراً في العمل عوضاً عن ثلاثة اشخاص في ان واحد : فأنت مازلت واهناً عليلاً ، يا بني ، على الرغم من انك قد تدافعت ونطقت امام الناس ... ثم انه ما كان حتى في طاقة الشيطان نفسه ان يمتنع عن البكاء والصرخ وهو يغوص في مثل هذه الثلثة الجليدية القاسية .

- وما شأن الثغرة الجليدية هنا ؟ انني قبل هذا ... أجل ، في زمن سابق

ك ... كتبت الى مركز المنطقة عن نفسي . وك .. كفاك شفقة عليّ ،  
يا ابي ... لقد اشفقت حتى الشبع !- تكلم اوستين وقد ظهرت في صوته  
صرامة متنامية ، وانكشفت على وجهه الشاحب المكفر ، فجأة ، مقلتان  
تلتهبان - بشدة - شرراً أزرق وكأنهما تغليان من الداخل غيضاً .  
- كيف ؟ وما الذي كتبته ؟- سأل كوزما دانيلوفيتش بلهجة لينة وهو  
يغض الطرف عن وجه ابنه .

خطا اوستين نحو الزاوية ، حيث اكورديونه المعلق فوق المنصة  
الخشبية ، استل من تحت سيره الجلدي قصاصات من ورق اصفر اللون  
دسها في كف والده :

- انظر( ... هي ذي الوريقات التي بقيت .. انها ... مسودة الرسالة التي  
ارسلتها ...

- وضع كوزما دانيلوفيتش نظاراته على أنفه ، قلب قصاصات الورق  
التي اخذت تحدث في يديه خشخشة وحفيفاً ... ثم اكب على قراءة تلك  
الوريقة التي كانت تحمل لطخات وتصحيحات أقل من سواها . أنشأ  
يقرأ ، حانياً ظهره اكثر فاكثر وقد زاد وجهه امتقاعاً وشحوباً ... ثم تهاوى  
على الكرسي وهو ينظر بارتباك وذ هول الى ولده .

لأنا ... الى الورشة ...- قال اوستين ذلك وجعل يخطو في لهفة وجزع نحو  
عتبة الدار .

عندما صفتش الباب شعر كوزما دانيلوفيتش بدوار خفيف في رأسه  
وبضربات قلبه المذبذبة داخل صدره الواهي . استند بيده على حافة  
الكرسي ثم مديده ثابته - على الرغم من ارادته - نحو الورقة واخذ يقرأ بترو  
وتفكير ، متفحصاً ، متأملاً في تودة ، أسطر الرسالة القصيره التي بدت

مرهفة مسنونة ومستقيمة واضحة مثل سكاكين الآلة الحاصدة :

« الرفيق رئيس لجنة المنطقة العسكرية .

أنا ، ديدوشيف أوستين كوزميتش ، أمرمدفح في اللواء الثالث لمدفعية الميدان المضادة للدبابات ، أصبت اثناء المعركة التي دارت في ١٠ تموز عام ١٩٤٣ ، على مقربة من قرية أولخوفاتكا الواقعة في ضواحي مدينة كورسك ، أصبت بجرح في رأسي وكدمت بوثاءة قوية سببت لي صمماً وبكماً تامين . عولجت في المستشفيات العسكرية ، لكن بلا جدوى . منذ وقت غير بعيد ، زالت عني الوثاءة تلقائياً . أنا الان سالم معافي واستطيع ان أعود ثانية الى خطوط الجبهة . وهذا هو الامر الذي وددت ان اطلعكم عليه . ان موعد حضوري للمثول امام اللجنة الطبية هو في شهر شباط . غير ان هذه المسألة لم تعد لها ، في نظري ، أية أهمية . أرجو مساعدتكم في ترحيلي الى المواقع الامامية ...»

من فوق الخناصة الخشبية ، هبط الصغير قاسيليك ، عاري القدمين ، في قميص قصير بلاسروال . كان مقرور الجسم ، حدّ القشعريرة ، من البرد الصباحي الشديد ، في الدار التي لم تكن مدفأة حتى ذلك حين . استخفى ، صامتاً وبحركة سريعة ، بين ركبتي جده . تلقف كوزما دانيلوفيتش حفيده الناعس ثم أخذ ، وهو ينزع نظاراته ، يملس بحنان وشوهد ناصيته المشعثة الشقراء ، مطمئناً بدفء القرابة والنسب ، بالدفء الناعم الحنون ، هذا المخلوق الادمي الحبيب القريب ، الصغير ...

—لابأس ، يا قاسيليك ... مادام الامر كذلك فليكن اذن !... ان الوند قد اختار بارادته وتصرفه طبقاً لمشيئته ... ومع ان ذلك يعزّ على الوالد ويحرّ في

نفسه ، لكننا لو تأملنا في الامر لوجدنا ان هذا الذي فيه هو مني أيضاً ...  
يعني ان لنا ، آل ديدوشيف ، بوجه عام ، قد تغلبوا على كل شيء ، تجاوزوا  
في عنادهم جميع ذوي العناد ، بلغوا الغاية والمراد ، أليس كذلك ؟  
في اعتزاز مشوب بالمرارة ، راح كوزما د انيلوفيتش يفكر بصوت  
مسموع ثم أخذ ، وهو يضم بقوة حفيده الصغير الى صدره الحنون ، أخذ  
يجفف بقبضته المرتعشة عينيه المغرورتين بالدموع التي حجبت عنهما  
الرؤية ...



www.alkottob.com

مكتبة  
www.alkottob.com

www.library-arab.com

www.alkottob.com

www.alkottob.com

مكتبة  
www.library-tarab.com

www.alkottob.com

## عن المترجم / حسن نجم البياتي

- ★ ولد في محافظة ديالى سنة ١٩٢٠ ونشأ في بغداد .
- ★ دخل المدرسة الابتدائية عام ١٩٤١ وانهى الاعدادية عام ١٩٥١ .
- ★ ليسانس شرف في الاداب من كلية التربية / بغداد ١٩٥٥ .
- ★ دكتوراه فلسفة في اللغة والادب / جامعة موسكو ١٩٦٥ .

الوظائف التي شغلها منذ عام ١٩٥٥ :

- ١ - مدرس على المللك الثانوي - ١٩٥٥ - نهاية ١٩٥٩ .
- ٢ - محاضر ثم مدرس في كلية اللغات الشرقية بجامعة موسكو ١٩٦٢ - ١٩٦٥ .
- ٣ - مدرس فاستاذ مساعد في كلية الاداب بجامعة البصرة ١٩٦٦ - ١٩٨١ .

ابرز اثاره المنشورة باللغتين العربية والروسية :

- ١ - من شفاه الحياة - مجموعة شعرية - بغداد ١٩٥٦ .
- ٢ - جنود الاحتلال - مجموعة شعرية - بغداد ١٩٥٩ .
- ٣ - الشعر العراقي الحديث في معركة النضال ضد الحكم الملكي (باللغة

- الروسية) - موسكو ١٩٦٥ .
- ٤ - الطابع المعادي للاستعمار في الشعر العراقي الحديث (باللغة الروسية) - موسكو ١٩٦٥ .
- ٥ - انتكاسة الشعر العراقي في حروب البلقان - البصرة ١٩٦٨ .
- ٦ - مواقف مناوئة للحرب في الشعر الجاهلي - البصرة ١٩٦٩ .
- ٧ - مع قصيدة بصرية - دراسة وتحقيق - البصرة ١٩٧٧ و ١٩٨٠ -
- ٨ - قصة مجهولة من التراث الشعبي العربي في القرون الوسطى - ترجمة عن الروسية مع التعليق - البصرة ١٩٧٩ .
- ٩ - أولئك الذين تحت - رواية مترجمة عن اللغة الروسية - بغداد / دار الشؤون الثقافية ١٩٨٦ .
- ١٠ - الأدب الفلبيني - كتاب مترجم عن اللغة الروسية - كتاب «الثقافة الاجنبية» - بغداد ١٩٨٧ .
- ١١ - الأدب الاسامي / الهندي - كتاب مترجم عن اللغة الروسية - كتاب «الثقافة الاجنبية» - بغداد ١٩٨٨ .
- ١٢ - عشرات القصائد الشعرية الموضوعية والمترجمة عن اللغتين الانكليزية والروسية ، المنشورة في العديد من الصحف والدوريات العراقية والعربية منذ الخمسينيات وحتى الوقت الحاضر .
- ١٣ - جملة من البحوث والدراسات والقصص والمسرحيات المترجمة عن اللغة الروسية ، نشرت في العديد من المجلات العراقية .
- ١٤ - نشرت بعض اثاره الشعرية مترجمة الى اللغات : الروسية ، الأوكرانية ، الجيكية ، الصينية ، الكردية ، العبرية وغيرها .

## دار المأمون للترجمة والنشر

تأسست في منتصف عام ١٩٨٠ لتتولى مسؤولية الترجمة ونشر المطبوعات الدورية الناطقة باللغات الأجنبية والمطبوعات المترجمة من وإلى اللغة العربية وبما يؤمن الاسهام الفعال في عملية التواصل والتفاعل الحضاريين بين العراق والعالم .

تصدر دار المأمون الصحف التالية :-

- ١ - جريدة بغداد او بزفر - يومية سياسية ناطقة باللغة الانكليزية .
- ٢ - مجلة بغداد - شهرية سياسية عامة ناطقة باللغة الفرنسية .
- ٣ - مجلة كلكامش - مجلة الثقافة العراقية الحديثة - فصلية ثقافية ناطقة باللغة الانكليزية .

وتترجمه الدار كتباً من اللغات الأجنبية الى اللغة العربية واخرى من اللغات العربية الى اللغات الأجنبية وتصدرها .

كما تقدم خدمات الترجمة الفورية والتحريرية للمؤتمرات والندوات الدولية داخل العراق وخارجه .

www.alkottob.com

مكتبة  
الكوئوب

www.library-tarab.com

www.alkottob.com

## صدر عن دار المأمون الكتب الاتية المترجمة الى العربية - حسب تاريخ نشرها

العنوان	السنة	تأليف	ترجمة
١ - دليل مترجم المؤتمرات	١٩٨١	جان هيربرت	سمير عبد الرحيم
٢ - رباعية الحرب (قصص الادب الانكليزي)	١٩٨٥	جورج ماكبث	ياسين طه حافظ
٣ - فن الرواية (دراسة نقدية)	١٩٨٦	كولن ولسن	محمد درويش
٤ - العاصفة (مسرحية من الادب الانكليزي)	١٩٨٦	وليم شكسبير	جبرا ابراهيم جبرا
٥ - كلب الصيد الابيض ذو الاذن السوداء (رواية من الادب الروسي)	١٩٨٦	جافريل تروبيولسكي	عبد الواحد محمد
٦ - مكبث (مسرحية من الادب الانكليزي)	١٩٨٦	وليم شكسبير	جبرا ابراهيم جبرا
٧ - الملك لير (مسرحية من الادب الانكليزي)	١٩٨٦	وليم شكسبير	جبرا ابراهيم جبرا
٨ - بين الفن والعلم (دراسة نقدية)	١٩٨٦	دولف رايسر	د. سلمان الواسطي
٩ - بلاد الثلوج (رواية من الادب الياباني)	١٩٨٦	يوسوناري كاواباتا	لطيفة الدلمي
١٠ - مدن لامرئية (رواية من الادب الايطالي)	١٩٨٦	ايتالوكالفيو	ياسين طه حافظ
١١ - السيدة دالواي (رواية من الادب الانكليزي)	١٩٨٦	فرجينيا وولف	عطا عبد الوهاب
١٢ - (رواية من الادب الفرنسي)	١٩٨٦	الان روب غرييه	د. سعيد علوش وخديجة بناني

- ١٣ - عطيل (مسرحة من الادب ١٩٨٦ وليم شكسبير جبرا ابراهيم جبرا  
الانكليزي)
- ١٤ - هاملت (مسرحة من الادب ١٩٨٦ وليم شكسبير جبرا ابراهيم جبرا  
الانكليزي)
- ١٥ - شكسبير والانسان المستوحس ١٩٨٧ جانيت ديون جبرا ابراهيم جبرا  
(دراسة نقدية)
- ١٦ - الحدائة (الجزء الاول) (دراسة ١٩٨٧ مالكم برادبري مؤيد حسن فوزي  
نقدية) وجيمس ماكفرلن
- ١٧ - صناعة المسرحية (دراسة نقدية) ١٩٨٧ ستوارت عبدالله الدباغ  
غريفتش
- ١٨ - القطار السريع (رواية من الادب ١٩٨٧ ارمگارد كوين اقبال ايوب  
الالمانى)
- ١٩ - الازهار البرية (مجموعة قصص ١٩٨٧ ارسكين كالدويل علي الحلي  
قصيرة من الادب الامريكى)
- ٢٠ - حبة قمح (رواية من الادب الافريقى) ١٩٨٧ نغوي واثيونغو سلمان حسن ابراهيم
- ٢١ - قبو البصل (قصص قصيرة من ١٩٨٧ د. سامي حسين الاحمدى
- ٢٢ - معجم التعابير الاجنبية في اللغة ١٩٨٧ ب. افثيان سمير عبد الرحيم  
الانكليزية
- ٢٣ - مصطلحات المؤتمرات ١٩٨٧ جان هيربرت سمير عبد الرحيم  
الجلبي
- ٢٤ - الثعلب (رواية من الادب الانكليزي) ١٩٨٧ د. هـ لورنس ندير عباس مظفر
- ٢٥ - مذكرات مالتزين عالم الاثار ونوج ١٩٨٧ ماكس مالوان سمير عبد الرحيم  
الجلبي
- ٢٦ - الرجل العاشر (رواية من الادب ١٩٨٧ غزيم غرين هادي عبد الله الطائي  
الانكليزي)
- ٢٧ - النفق (رواية من الادب الاسباني) ١٩٨٧ ارنستو ساباتر مروان ابراهيم صديق



فخري خليل	ناثان نوبلر	١٩٨٧	٢٨ - حوار الرؤية (دراسة فنية)
د. جوزيف نادر بولس	رك. نارايان	١٩٨٧	٢٩ - ملحمة رامايانا (من الأدب الهندي)
عبد الوهاب الوكيل	جون كروس	١٩٨٧	٣٠ - جويس (دراسة نقدية)
د. عباس خلف	ايغور بيرماكوف	١٩٨٧	٣١ - الورقة الخضراء (مختارات شعرية من الأدب السوفييتي المعاصر)
سالم شمعون	اليخو كارينتير	١٩٨٧	٣٢ - الخطوات الضائعة (رواية من ادب امريكا اللاتينية)
فخري خليل	جان ليماري	١٩٨٨	٣٣ - الانطباعية (دراسة فنية)
جبرا ابراهيم جبرا		١٩٨٨	٣٤ - ايلول بلا مطر (قصص قصيرة من الادبين الانكليزي والامريكي)
د. سامي حسين الاحمدي	انازيجرز	١٩٨٨	٣٥ - الانزق .. الانزق
فلاح رحيم	جين ريز	١٩٨٨	٣٦ - بحرسارتاسو الواسع
د. يوثيل يوسف عزيز	وليم راي	١٩٨٨	٣٧ - المعنى الادبي
مي مظفر	نيكولاس ويد	١٩٨٨	٣٨ - الاوهام البصرية
رعد اسكندر	موريس بونس	١٩٨٨	٣٩ - الحلو - المر
باسيل قوزي	كلود سيمون	١٩٨٨	٤٠ - طريق فلاندرنا
محمد درويش	سيتن لويد	١٩٨٨	٤١ - فن الشرق الاذن القديم
د. عبد الواحد لؤلؤة	د. سي. ميويك	١٩٨٨	٤٢ - موسوعة المصطلح النقدي
سامي مهدي	(قصائد مختارة)	١٩٨٨	٤٣ - جاك بريغير
فخري خليل	جي. إي مولر	١٩٨٨	٤٤ - مئة عام من الرثمة الحديث
عبد الواحد محمد	فرانك ايلفر ناسنومي سوسكي	١٩٨٨	٤٥ - كوكورو

www.alkottob.com

مكتبة  
www.library-tarab.com

www.alkottob.com

www.alkottob.com

مكتبة  
www.alkottob.com

www.library-arab.com

## زبد الحديد

يقدم هذا العمل الابداعي ذو المنحى الدرامي الى تيار في  
النحى الواقعي يعتمد على معطيات التحليل النفسي ، ويتناول  
الإنسان الذي لا يستطيع العيش (أو) يخلف سائر  
من البهتان والرياء .

وإلى الأثر الفني هذا يرجع في وقائعه الى سني الحرب العالمية  
الثانية يتحدث عن مصير واحد من مقاتليه غير انه يشرح أيضاً في  
سجل الحوادث الفنية الراهنة . يتناوله قلم من الضمير  
الصارمة سواء في زماننا هذا أو في اي زمان آخر .

ومؤلف هذا السفر الروائي ، إيقان أو خانوف ، هو واحد من  
كتاب النخبة السوفيت الواقعيين المنتمين الى الجيل الأول لما بعد  
الحرب ، الذين يعتمدون التحليل النفسي في اعمالهم الروائية  
وينطلقون من فهم جديد للبطل : حيث ينظر الى  
الاحداث من وجهة نظر القضايا الاخلاقية لوقتنا الراهن  
ويغوصون حتى الاموار في تحليلهم الواقعي ، وفي سعيهم نحو  
الكشف عن طبيعتها الجذرية ، ونحو الادراك الفلسفي للواقع ، تارة  
معنيين - إلا قليلاً - بالجنح العسكري المحض للاحداث .

السعر: دينار واحد  
دار الشؤون للترجمة والنشر

(تصميم الغلاف) ديانا فاروق